


32101 077792370

al-Itlīdī, Muḥammad Diyāb

Iʿlām al-nās

هذا كتاب اعلام الناس * بما وقع
للبرامكة مع بنى العباس * تأليف
الامام الفاضل محمد دياب
الاتليدى رحمه الله
والمسلمين
آمين

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذى انزل الكتاب المبين على اشرف الانبياء والمرسلين وقص عليه اخبار المتقدمين والمتاخرين وعلمه ماكان ومايكون الى يوم الدين نحمده ان جعلنا من امته ونشكره على عطائه ومننه ونشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له اذ من علينا بمعرفة احوال من مضى من الامم ولم يكشف عنا ستره اذ ازل بنا القدم وجعلنا امة عدلا وسطا وشهد لنا بذلك فى الكتاب المعظم المكرم فقال تعالى كنتم خير امة اخرجت للناس تامرون بالمعروف وتنهون عن المنكر فظهر الفضل بما جاد به وتكرم ونشهد ان سيدنا ونبينا محمدا عبده ورسوله الذى قال ادبنى ربى فاحسن تاديبى فساد على جميع الانبياء وعليهم تقدم صلى الله عليه وعلى اله واصحابه وسلم وبعد فيقول العبد الفقير الضعيف ذو العجز والتفريط فى ايامه وكثير التخليط وزيادة اثامه محمد يعرف بدياب الاتليدى من اقليم المنية الخصيبية سالنى بعض الاخوان الموفقين من لا يسعنى مخالفته ان اجمع له شيئا مما وقع فى زمن

الخلفاء

[redacted]

الخلفاء المتقدمين من بنى امية والخلفاء العباسيين فاجبته لذلك مع على
انى لست اهلا لذلك فقد قالوا الامتثال خير من الادب وسميته
اعلام الناس بما وقع للبرامكة مع بنى العباس وابتدات فى ذلك بامير المؤمنين
عمر بن الخطاب رضى الله عنه تبركا به وبذكره قيل لما رجع عمر رضى الله عنه
من الشام الى المدينة انفرد عن الناس ليتعرف اخبار رعيته فمر بعجوز فى
خباء لها فقصدها فقالت ما فعل عمر رضى الله عنه قال قد اقبل من الشام
سالما فقالت يا هذا لا جزاه الله خيرا عنى قال ولم قالت لانه ما انالنى من
عطاياه منذ ولى امر المسلمين دينارا ولا درهما فقال وما يدرى عمر بحالك
وانت فى هذا الموضع فقالت سبحان الله والله ما ظننت ان احدا يلى على الناس
ولا يدرى ما بين مشرقها ومغربها فبكى عمر رضى الله عنه وقال واعمراه
كل احد افقه منك حتى العجائز يا عمر ثم قال لها يا امة الله بكم تبيعينى
ظلامتك من عمر فانى ارحمه من النار فقالت لا تهزأ بنا يرحمك الله فقال عمر
لست اهزأ بك ولم يزل بها حتى اشترى ظلامتها بخمسة وعشرين دينارا
فبينما هو كذلك اذ اقبل على بن ابى طالب رضى الله عنه وعبد الله بن مسعود
رضى الله عنهما فقالا السلام عليك يا امير المؤمنين فوضعت العجوز يدها
على راسها وقالت واسوأتاه شتمت امير المؤمنين فى وجهه فقال لها عمر
رضى الله عنه لا باس عليك يرحمك الله ثم طلب قطعة جلد يكتب فيها فلم
يجد فقطع قطعة من مرقعته وكتب فيها بسم الله الرحمن الرحيم هذا
ما اشترى عمر من فلانة ظلامتها منذ ولى الخلافة الى يوم كذا وكذا بخمسة
وعشرين دينارا فما تدعى عليه عند وقوفه فى المحشر بين يدى الله تعالى
فعمر برئ منه شهد على ذلك على وابن مسعود ثم دفعها الى ولده وقال اذا
انا مت فاجعلها فى كفنى القى بها ربى وقال شرف الدين حسين بن ريان
اغرب ما نقلته من الاخبار واعجب ما عقلته عن الاخيار ممن كان يحضر مجلس

عمر بن الخطاب خليفة الاسلام ويسمع كلامه قال بينهما الامام جالس في بعض الايام وعنده اكابر الصحابة واهل الراى والاصابة وهو يقول في القضايا ويحكم بين الرعايا اذ اقبل شاب حسن الشباب نظيف الاثواب يكتنفه شابان من احسن الشباب نظيفا الثياب قد جذباه وسحباه واوقفاه بين يدى امير المؤمنين ولبباه فلما وقفوا بين يديه نظر اليهما واليه فامرهما بالكف عنه وادنوه منه فقالوا يا امير المومنين نحن اخوان شقيقان جديران باتباع الحق حقيقان كان لنا اب شيخ كبير حسن التدبير معظم في قبائله منزه عن الرذائل معروف بفضائله رباناصغارا واعزنا كبارا واولانا نعما غزارا كما قيل

لنا والد لو كان للناس مثله ... اب آخر اغناهموا بالمناقب

خرج اليوم الى حديقة له يتنزه في اشجارها ويقطف يانع ثمارها فقتله هذا الشاب وعدل عن طريق الصواب ونسالك القصاص عما جناه والحكم فيه بما اراك الله قال الراوى فنظر عمر الى الشاب وقال له قد سمعت فما الجواب والغلام مع ذلك ثابت الجاش خال من الاستيحاش قد خلع ثياب الهلع ونزع جلباب الجزع فتبسم عن مثل الجمان وتكلم بافصح لسان وحياه بكلمات حسان ثم قال يا امير المؤمنين والله لقد وعيا ما ادعيا وصدقا فيما نطقا وخبرا بما جرى وعبرا بما طرى وسانهي قصتي بين يديك والامر فيها اليك اعلم يا امير المؤمنين انى من العرب العربا نبت في منازل البادية وصبحت على اسود السنين العادية فاقبلت الى ظاهر هذا البلد بالاهل والمال والولد فافضت بي بعض طرايقها الى المسير بين حدايقها بنياق حبيبات الى عزيزات على بينهن فحل كريم الاصل كثير النسل مليح الشكل حسن النتاج يمشى بينهن كانه ملك عليه تاج فدنت بعض النوق الى حديقة قد ظهر من الحايط شجرها فتناولته بمشفرها فطردتها عن تلك الحديقة فاذا شيخ قد ظهر وزفر وتسور الحائط وظهر وفي يده اليمنى حجر يتهادى كالليث اذا خطر فضرب الفحل بذلك

الحجر فقتله واصاب مقتله فلما رايت الفحل قد سقط لجنبه وانقلب توقدت
فى جمرات الغضب فتناولت ذلك الحجر بعينه فضربته به فكان سبب حينه
ولقى سوء منقلبه والمرء مقتول بما قتل به بعد ان صاح صيحة عظيمة
وصرخ صرخة اليمة فاسرعت من مكانى فلم يكن باسرع من هذين الشابين فامسكانى
واحضرانى كما ترانى فقال عمر قد اعترفت بما اقترفت وتعذر الخلاص ووجب
القصاص ولات حين مناص فقال الشاب سمعا لما حكم به الامام ورضيت
بما اقتضته شريعة الاسلام لكن لى اخ صغير كان له اب كبير خصه قبل وفاته
بمال جزيل وذهب جليل واحضره بين يدى واسلم امره الى واشهد الله
على وقال هذا لاخيك عندك فاحفظه جهدك فاتخذت لذلك مدفنا
ووضعته فيه ولا يعلم به الا انا فان حكمت الان بقتلى ذهب الذهب وكنت
انت السبب وطالبك الصغير بحقه يوم يقضى الله بين خلقه وان انظرتنى
ثلاثة ايام اقمت من يتولى امر الغلام وعدت وافيا بالزمام ولى يضمننى على هذا
الكلام فاطرق عمر ثم نظر الى من حضر وقال من يقوم على ضمانه والعود الى مكانه
قال فنظر الغلام الى وجوه اهل المجلس الناظرين واشار الى ابى ذر دون الحاضرين
وقال هذا يكفلنى ويضمننى قال عمر يا ابا ذر تضمنه على هذا الكلام قال نعم اضمنه
الى ثلاثة ايام فرضى الشابان بضمانة ابى ذر وانظراه ذلك القدر فلما انقضت
مدة الامهال وكاد وقتها يزول او قد زال حضر الشابان الى مجلس عمر والصحابة
حوله كالنجوم حول القمر وابو ذر قد حضر والخصم ينتظر فقالا اين الغريم
يا ابا ذر كيف يرجع من لا نبرح من مكاننا حتى تفى بضماننا فقال ابو ذر
وحق الملك العلام ان انقضى تمام الايام ولم يحضر الغلام وفيت بالضمان
واسلمت نفسى وبالله المستعان فقال عمر والله ان تاخر الغلام لا
فى ابى ذر ما اقتضته شريعة الاسلام فهمت عبرات الناظرين ال
وزفرات الحاضرين عليه وعظم الضجيج وتزايد النشيج فعرض

على الشابين اخذ الدية واغتنام الانثية فاصرا على عدم القبول وابيا الا الاخذ بثار المقتول فبينما الناس يموجون تلهفا للمامر ويضجون تاسفا على ابى ذر اذ اقبل الغلام ووقف بين يدى الامام وسلم عليه اتم السلام ووجهه يتهلل مشرقا ويتكلل عرقا وقال قد اسلمت الصبى الى اخواله وعرفتهم بخفى امواله واطلعتهم على مكان ماله ثم اقتحمت هاجرات الحر ووفيت وفا الحر فعجب الناس من صدقه ووفائه واقدامه على الموت واجترائه فقال من غدر لم يعف عنه من قدر ومن وفا رحمه الطالب وعفا وتحققت ان الموت اذا حضر لم ينج منه احتراس كى لا يقال ذهب الوفا من الناس فقال ابو ذر والله يا امير المؤمنين لقد ضمنت هذا الغلام ولم اعرفه من اى قوم ولا رايته قبل ذلك اليوم ولكن نظر الى دون من حضر فقصدنى وقال هذا يضمننى فلم استحسن رده وابت المروة ان تخيب قصده اذ ليس فى اجابة القصد من باس كى لا يقال ذهب الفضل من الناس فقال الشابان عند ذلك يا امير المؤمنين قد وهبنا هذا الغلام دم ابينا فبدل وحشته بايناس كى لا يقال ذهب المعروف من الناس فاستبشر الامام بالعفو عن الغلام وصدقه ووفائه واستغزر مروة ابى ذر دون جلسائه واستحسن اعتماد الشابين فى اصطناع المعروف واثنى عليهما احسن ثنائه وتمثل بهذا البيت من يصنع الخير لم يعدم جوائزه لا يذهب العرف بين الله والناس ثم عرض عليهما ان يصرف من بيت المال دية ابيهما اليهما فقالا انما عفونا ابتغاء وجه ربنا الكريم ومن نيته هكذا لا يتبع احسانه منا ولا اذى قال الراوى فاثبتها فى ديوان الغرائب وسطرتها فى عنوان العجائب انتهى واحضر الهرمزان بين يدى امير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه ماسورا فدعاه الى الاسلام فابى فامر بضرب عنقه فقال يا امير المؤمنين قبل ان تقتلنى اسقنى شربة من الماء ولا تقتلنى ظمانا فامر له عمر بقدح

مملوء ماء فلما صار القدح في يد الهرمزان قال انا آمن حتى اشربه قال نعم لك الامان حتى تشربه فالقى الهرمزان الاناء من يده فاراقه ثم قال الوفا يا امير المؤمنين فقال عمر رضي الله عنه دعوه حتى انظر في امره فلما رفع السيف عنه قال اشهد ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله قال عمر رضي الله عنه لقد اسلمت خير الاسلام فما اخرك قال خشيت ان يقال انى اسلمت خوفا من السيف فقال عمر انك لفارس حكيم استحقيت ماكنت فيه من الملك ثم ان عمر رضي الله عنه بعد ذلك كان تشاوره في اخراج الجيوش الى ارض فارس ويعمل برايه انتهى وسياتى نظير ذلك فى اخذ الامان بالحيلة ومما ذكره عبد الملك بن بدرون شارح قصيدة عبد المجيد بن عبدون عما وقع لجبلة بن الايهم حين لطم الفزارى على وجهه لما داس على رداثه وقال له عمر رضي الله عنه دعه يقتص منك او ما هذا معناه فقال لعمر وهل استوى انا وهو فى ذلك فقال له نعم الاسلام ساوى بينكما فقال اجلنى الى غد فلما اصبح مضى الى قيصر ملك الروم وارتد ثم ندم وقال ابياتا وهى هذه

تنصرت الاشراف من اجل لطمة ... وما كان فيها لو صبرت لها ضرر
تكنفنى منها لجاج ونخوة ... فبعت بها العين الصحيحة بالعور
فيا ليت امى لم تلد نى وليتنى ... رجعت الى الامر الذى قال لى عمر
ويا ليتنى ارعى المخاض بقفرة ... وكنت اسيرا فى ربيعة او مضر
ويا ليت لى بالشام ادنى معيشة ... اجالس قومى ذاهب السمع والبصر

ولما تنصر جبلة بن الايهم ولحق بهرقل صاحب القسطنطينية اقطعه هرقل بالاموال والضياع وبقى ما شاء الله ثم ان عمر رضي الله عنه بعث الى قيصر رسولا يدعوه الى الاسلام او الى الجزية فلما اراد الانصراف قال هرقل للرسول القيت ابن عمك هذا الذى عندنا يعنى جبلة الذى اتانا راغبا فى ديننا قال لا قال فالقه ثم ائتنى اعطك جواب كتابك قال الرسول

ثم ذهبت الى دار جبلة فاذا عليه من القهارمة والحجاب والبهجة وكثرة الجمع مثل ما على باب هرقل قال فلم ازل اتلطف بالاذن حتى اذن لى فدخلت عليه فرايته اصهب اللحية ذا سبال وكان عهدى به اسود اللحية والراس فانكرته فاذا هو قد دعا بسحالة الذهب فذرها على لحيته حتى اصهبت وهو قاعد على سرير من قوارير على قوائمه اربعة اسود من ذهب فلما عرفنى رفعنى معه على السرير فجعل يسالنى عن المسلمين فذكرت له خيرا وقلت قد اضعفوا اضعافا على ما نعرف فقال وكيف تركت عمر بن الخطاب فقلت بخير قال فرايت الغم فى وجهه لما ذكرت من سلامة عمر ثم انحدرت عن السرير فقال لم تابى الكرامة التى اكرمناك بها فقلت ان رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى عن هذا فقال نعم نهى صلى الله عليه وسلم ولكن نق قلبك ولا تبالى على ما قعدت فلما سمعته يقول صلى الله عليه وسلم طمعت فيه فقلت له ويحك يا جبلة الا تسلم وقد عرفت الاسلام وفضله فقال ابعد ما كان منى قلت نعم قد فعل رجل من فزارة اكثر ما فعلت ارتد عن الاسلام وضرب وجوه المسلمين بالسيف ثم رجع الى الاسلام وقبل منه وخلفته بالمدينة مسلما وانما ذكرت له ان الذى فعل هذه الفعلة من فزارة وانه ضرب وجوه المسلمين بالسيف وارتد ورجع الى الاسلام لان الرجل الذى كان تنصر جبلة من اجله حين لطمه واراد عمر ان يقتص منه كان فزاريا ايضا فقلت له امرك اخف من امره ان رجعت الى الاسلام فانك لم تضرب وجوه المسلمين بالسيف كما فعل فقال ذرنى من هذا ان كنت تضمن لى ان يزوجنى عمر ابنته ويولينى الامر من بعده رجعت الى الاسلام فضمنت له التزويج ولم اضمن له تولية الامر قال ثم اوما الى خادم كان على راسه فذهب مسرعا فاذا خدم قد جاؤا يحملون الصناديق فيها طعام فوضعت ونصبت موائد الذهب وصحاف الفضة وقال لى كل فقبضت يدى وقلت ان رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى عن الاكل فى انية الذهب والفضة قال نعم نهى صلى الله

عليه

عليه وسلم نهى عن الاكل فى آنية الذهب والفضة قال نعم نهى صلى الله عليه وسلم وليكن نق قلبك وكل فيما احببت قال فاكل فى الذهب و اكلت انا فى الخلنج ثم دعا بطسوت الذهب واباريق الفضة فغسل يديه فى الذهب وغسلت فى الصفر ثم اومأ الى خادم بين يديه فمر مسرعا فسمعت حسا فاذا خدم معهم كراسى مرصعة بالجوهر فوضعت عشرة عن يمينه وعشرة عن شماله ثم جاءت الجوارى وعليهن تيجان الذهب فقعدن عن يمينه وعن يساره على تلك الكراسى ثم جاءت جارية ايضا كانها الشمس حسنا على رأسها تاج على ذلك التاج طائر لم ار احسن منه وفى يدها جامة فيها مسك فتيت وفى يدها الاخرى جامة فيها ماء ورد فاومأت تلك الجارية وصفرت بالطائر الذى على تاجها فوقع فى جامة المسك فاضطرب فيها ثم صفرت به ثانيا فوقع فى جامة ماء الورد فاضطرب فيها ثم اومأت اليه فطار ونزل على صليب فى تاج على جبلة فلم يزل يرفرف حتى نفض ما فى ريشه عليه فضحك جبلة من شدة السرور حتى بدت انيابه ثم التفت الى الجوارى اللواتى عن يمينه فقال لهن اضحكنا فاندفعن يغنين فجعلن تخفق عيدانهن ويقلن

لله در عصابة نادمتهم ... يوما بجلق فى الزمان الاول الى قوله
اولاد جفنة حول قبر أبيهم ... قبر ابن مارية الكريم المفضل
يسقون من ورد البريص عليهم ... بردى يصفق بالرحيق السلسل

قال فضحك جبلة حتى بدت انيابه ثم قال اتدرى من يقول هذا قلت لا قال حسان بن ثابت شاعر النبى صلى الله عليه وسلم ثم اشار الى الجوارى اللواتى عن يساره وقال بكيننا فاندفعن يغنين تخفق عيدانهن ويقلن شعرا

لمن الدار اقفرت بمعان ... بين اعلى اليرموك فالخمان الى قوله

ذاك مغنى لآل جفنة في الدهر وحق تعاقب الازمان

قال فبكى جبلة حتى سالت دموعه على لحيته ثم قال اتدري من يقول
هذا قلت لا قال حسان ثم انشد الابيات التي اولها تنصرت الاشراف
الى آخرها ثم سألني عن حسان احي هو قلت نعم فأمر له بكسوة ولي ايضا
كذلك ثم امر لحسان بمال ونوق موقورة برا ثم قال لي ان وجدته حيا فادفع
الهدية واقريه مني السلام وان وجدته ميتا فادفعها الى اهله وانحر النوق
على قبره قال فلما اخبرت عمر رضي الله عنه بخبره وما اشترطه علي وضمنت
له قال فهلا ضمنت له الامر فاذا افاء الله بحكمه وقضى علينا بحكمته ما كان الا ما
اراد ثم جهزني عمر ثانية الى هرقل وامرني ان اضمن له ما اشترط فلما دخلت
القسطنطينية وجدت الناس منصرفين من جنازته فعلمت ان الشقاء
غلب عليه في ام الكتاب انتهى وقيل انه قدم اهل الكوفة على عمر بن الخطاب
رضي الله عنه يشكون سعد بن ابي وقاص فقال من يعذرني من اهل
الكوفة ان وليتهم التقي ضعفوه وان وليتهم القوي فجروه فقال له المغيرة
ابن شعبة يا امير المؤمنين ان التقي الضعيف له تقاه ولك ضعفه وان القوي
الفاجر لك قوته وعليه فجوره قال صدقت انت القوي الفاجر فاخرج اليهم
فلم يزل عليهم ايام عمر وايام عثمان رضي الله عنهما وايام معاوية حتى مات المغيرة
انتهى وقيل دخل عمرو بن معدي كرب الزبيدي على عمر بن الخطاب
رضي الله عنه فقال عمر اخبرني عن اجبن من لقيت واحيل من لقيت
واشجع من لقيت قال نعم يا امير المؤمنين خرجت مرة اريد الغارة فبينما
انا سائر اذا بفرس مشدود ورمح مركوز واذا رجل جالس كاعظم ما يكون
من الرجال خلقا وهو محتبي بحمائل سيفه فقلت له خذ حذرك فاني قاتلك
فقال ومن انت قلت انا عمرو بن معدي كرب الزبيدي فشهق شهقة
فمات فهذا يا امير المؤمنين اجبن من رايت وخرجت مرة حتى انتهيت

الى حى فاذا انا بفرس مشدود ورمح مركوز واذا صاحبه فى وهدة يقضى
حاجته فقلت خذ حذرك فانى قاتلك فقال ومن انت فاعلمته بى فقال
يا اباثور ما انصفتنى انت على ظهر فرسك وانا على الارض فاعطنى عهدا
انك لا تقتلنى حتى اركب فرسى فاعطيته عهدا فخرج من الموضع الذى كان
فيه واحتبى بحمائل سيفه وجلس فقلت ما هذا فقال ما انا براكب فرسى
ولا بمقاتلك فان نكثت عهدك فانت اعلم بناكث العهد فتركته ومضيت
فهذا يا امير المؤمنين احيل من رايت وخرجت مرة حتى انتهيت الى موضع
كنت اقطع فيه الطريق فلم ار احدا فاجريت فرسى يمينا وشمالا واذا انا
بفارس فلما دنا منى فاذا هو غلام حسن نبت عذاره من اجمل ما رايت
من الفتيان واحسنهم واذا هو قد اقبل من نحو اليمامة فلما قرب منى سلم
على فرددت عليه السلام وقلت من الفتى قال الحارث بن سعد فارس
الشهباء فقلت له خذ حذرك فانى قاتلك فقال الويل لك فمن انت قلت
عمرو بن معدى كرب الزبيدى قال الذليل الحقير والله ما يمنعنى من
قتلك الا استصغارك فتصاغرت نفسى يا امير المؤمنين وعظم عندى
ما استقبلنى به فقلت له دع هذا وخذ حذرك فانى قاتلك والله لا ينصرف
الا احدنا فقال اذهب ثكلتك امك فانا من اهل بيت ما اثكلنا فارس
قط قلت هو الذى تسمعه قال اختر لنفسك فاما ان نطرد لى واما ان
اطرد لك فاغتنمتها منه فقلت له اطرد لى فاطرد وحملت عليه فظننت انى
وضعت الرمح بين كتفيه فاذا هو صار حزاما لفرسه ثم عطف على فقنع
بالقناة راسى وقال يا عمرو خذها اليك واحدة ولولا انى اكره قتل
مثلك لقتلتك قال فتصاغرت نفسى عندى وكان الموت يا امير المؤمنين
احب الى مما رايت فقلت له والله لا ينصرف الا احدنا فعرض على مقالته
الاولى فقلت له اطرد لى فاطرد فظننت انى تمكنت منه فا

حتى ظننت انى وضعت الرمح بين كتفيه فاذا هو صار لبب الفرس ثم عطف علي فقنع بالقناة رأسي وقال خذها اليك يا عمرو ثانية فتصاغرت علي نفسي جداً وقلت والله لا ينصرف الا احدنا فاطردني حتى ظننت انى وضعت الرمح بين كتفيه فوثب عن فرسه فاذا هو على الارض فاخطأته فاستوى على فرسه واتبعني حتى قنع بالقناة رأسي وقال خذها اليك يا عمرو ثالثة ولولا كراهتي لقتل مثلك لقتلتك فقلت اقتلني احب الى ولا تسمع فرسان العرب بهذا فقال يا عمرو انما العفو عن ثلاث واذا استمكنت منك فى الرابعة قتلتك وانشد يقول

وكدت اغلاظا من الايمان ان عدت يا عمرو الى الطعان
لتجدن لهب السنان او لا فلست من بني شيبان

فهبته هيبة شديدة وقلت له ان لى اليك حاجة قال وما هي قلت اكون صاحبا لك قال لست من اصحابي فكان ذلك اشد علي واعظم مما صنع فلم ازل اطلب صحبته حتى قال ويحك اتدري اين اريد قلت لا والله قال اريد الموت الاحمر عيانا قلت اريد الموت معك قال امض بنا فسرنا يومنا اجمع حتى اتانا الليل ومضى شطره فوردنا على حي من احياء العرب فقال لي يا عمرو فى هذا الحي الموت الاحمر فاما ان تمسك على فرسي فانزل وآتي بحاجتي واما ان تنزل وامسك فرسك فتأتيني بحاجتي فقلت بل انزل انت فانت اخبر بحاجتك منى فرمى الي بعنان فرسه فرضيت والله يا امير المؤمنين بان اكون له سايسا ثم مضى الى قبة فاخرج منها جارية لم تر عيناي احسن منها حسنا وجمالا فحملها على ناقة ثم قال يا عمرو فقلت لبيك قال اما ان تحميني واقود الناقة او احميك وتقودها انت قلت لا بل اقودها وتحميني انت فرمى الي بزمام الناقة ثم سرنا حتى اذا اصبحنا قال يا عمرو قلت ما تشاء قال التفت فانظر هل ترى احدا فالتفت فرأيت جمالا فقلت ارى جمالا قال اغذ السير ثم قال يا عمرو

انظر

انظر فان كانوا قليلا فالجلد والقوة وهو الموت الاحمر وان كانوا كثيرا فليبسوا
بشئ فالتفت وقلت هم اربعة او خمسة قال غذ ذا السير ففعلت ووقف و
سمع وقع حوافر الخيل عن قرب فقال يا عمرو كن عن يمين الطريق وقف
وحوّل وجه دوابنا الى الطريق ففعلت ووقفت عن يمين الراحلة ووقف عن
يسارها ودنا القوم منا واذا هم ثلاثة نفر شابان وشيخ كبير وهو ابو الجارية
والشابان اخواها فسلموا فرددنا السلام فقال الشيخ خل عن الجارية يا
ابن اخي فقال ما كنت لاخليها ولا لهذا اخذتها فقال لاحد بنيه اخرج
اليه فخرج وهو يجر رمحه فحمل عليه الحارث وهو يقول

من دون ما ترجوه خضب الذابل ... من فارس ملتثم مقاتل
ينمى الى شيبان خير وائل ... ما كان يسرى نحوها بباطل

ثم شد على ابن الشيخ بطعنة قد منها صلبه فسقط ميتا فقال الشيخ لابنه
الآخر اخرج اليه فلا خير في الحياة على الذل فاقبل الحارث وهو يقول

لقد رايت كيف كانت طعنتي ... والطعن للقرن الشديد الهمة
والموت خير من فراق خلتي ... فقتلتي اليوم ولا مذلتي

ثم شد على ابن الشيخ بطعنة سقط منها ميتا فقال له الشيخ خل عن الظعينة
يا ابن اخي فاني لست كمن رايت فقال ما كنت لاخليها ولا لهذا قصدت فقال
الشيخ يا ابن اخي اختر لنفسك فان شئت نازلتك وان شئت طاردتك
فاغتنمها الفتى ونزل فنزل الشيخ وهو يقول شعرا

ما ارتجي عند فناء عمري ... ساجعل التسعين مثل شهر
تخافني الشجعان طول الدهر ... ان استباح البيض قصم الظهر

فاقبل الحارث وهو ينشد ويقول شعرا

بعد ارتحالي وطال سفري ... وقد ظفرت وشفيت صدري
فالموت خير من لباس الغدر ... والعار اهديه لحي بكر

ثم دنا فقال له الشيخ يا ابن اخي ان شئت ضربتك فان ابقيت فيك بقية
فاضربني وان شئت فاضربني فان ابقيت في بقية ضربتك فاغتنمها الفتى
وقال انا ابدأ فقال الشيخ هات فرفع الحارث يده بالسيف فلما نظر الشيخ
انه قد اهوى به الى رأسه ضرب بطنه بطعنة قد منها امعاءه ووقعت
ضربة الفتى على رأس عمه فسقطا ميتين فاخذت يا امير المؤمنين اربعة
افراس واربعة اسياف ثم اقبلت الى الناقة فقالت الجارية يا عمرو الى اين
ولست بصاحبتك ولست لي بصاحب ولست كمن رايت فقلت اسكتي قالت
ان كنت لي صاحبا فاعطني سيفا ورمحا فان غلبتني فانا لك وان غلبتك قتلتك
فقلت ما انا بمعطي ذلك وقد عرفت اهلك وجراءة قومك وشجاعتهم فرمت
نفسها عن البعير ثم اقبلت تقول

ابعد شيخي ثم بعد اخوتي	يطيب عيشي بعدهم ولذتي
واصحبن من لم يكن ذا همتي	هلا تكون قبل ذا منيتي

ثم اهوت الى الرمح كادت تنزعه من يدي فلما رايت ذلك منها خفت ان ظفرت
بي قتلتني فقتلتها فهذا يا امير المؤمنين اشجع ما رأيت قيل اتى رجل الى عمر بن
الخطاب يستحمله فقال له خذ لك بعيرا من ابل الصدقة فتناول ذنب بعير
فجذبه فاقتلعه فتعجب عمر رضي الله عنه من شدته وقوته فقال له هل رأيت
اقوى منك من احد قال نعم خرجت بامرأة من اهلي اريد بها زوجها فنزلت
على حوض فاقبل رجل معه ذود فضرب ذوده الى الحوض فسار يعني
للمراة فنادتني فما انتهيت اليها حتى خالطها فجئت لادفعه عنها فاخذ رأسي بين
عضده وجنبه فما استطعت التحريك حتى قضى وطره منها فقالت اي فحل هذا
كان منبحة فامهلته حتى امتلأ نوما فقمت له بالسيف فضربت ساقه فانتبه
جله فرماني بها فاهوى اي فاتني واصاب راس بعير فقتله فقال
ه عنه ما فعلت بالمراة فقال هذا حديث الرجل فكرر عليه السؤال

فقم

فلم يزده على هذا فغطن انه قتلها انتهى ويحكى ان عبد الله بن ابى رواحة رضى الله عنه كان عنده جارية جميلة وكان يحبها محبة شديدة ولم يتمكن منها خوفا من زوجته فمضت يوما زوجته لحاجة ثم عادت فوجدته هو والجارية معتنقين نائمين فقالت افعلتها قال لم اكن فاعلها قالت فاقرا فقال اعوذ بالله من الشيطان الرجيم

علمت بان وعد الله حق　　وان النار مثوى الكافرينا
وان العرش فوق الماء طاف　　وفوق العرش رب العالمينا
وتحمله ملائكة كرام　　ملائكة الاله مسومينا

قالت صدقت وكذبت عيناى قال فذهبت واخبرت النبى صلى الله عليه وسلم فضحك حتى بدت نواجذه وصار يكررها ويقول كيف قلت انتهى

اول دولة بنى امية معاوية بن ابى سفيان رضى الله عنه

جلس يوما فى مجلس كان له بدمشق وكان الموضع مفتح الجوانب الاربع يدخل فيه النسيم من كل جانب قال فبينما هو جالس ينظر الى بعض الجهات وكان يوما شديد الحر لا نسيم فيه قال وكان وسط النهار وقد لفحت الهواجر اذ نظر الى رجل يمشى نحوه وهو يتلظى من حر التراب ويحجل فى مشيته حافيا فتأمله وقال لجلسائه هل خلق الله سبحانه وتعالى اشقى ممن يحتاج الى الحركة فى هذا الوقت وفى مثل هذه الساعة فقال بعضهم لعله يقصد امير المؤمنين فقال والله لئن كان قاصدى لاجل شئ لاعطينه واستجلب الاجر به او مظلوما لانصرنه يا غلام قف بالباب فان طلبنى هذا الاعرابى فلا تمنعه من الدخول على فخرج فوافاه فقال ما تريد قال امير المؤمنين قال ادخل فدخل فسلم فقال له معاوية ممن الرجل قال من تميم قال فما الذى جاء بك فى هذا الوقت قال جئتك مشتكيا وبك مستجيرا قال ممن قال من مروان بن الحكم عاملك وانشد يقول

معاوی یاذا الجود والحلم والبذل ... ویاذا الندی والعلم والرشد والنیل
اتیتك لما ضاق فی الارض مذهبی ... فیا غوث لا تقطع رجائی من العدل
وجدلی بانصاف من الجائر الذی ... بلانی بشیء کان ایسره قتلی
سبانی سعدی وانبری لخصومتی ... وجار ولم یعدل واغصبنی اهلی
وهم بقتلی غیر ان منیتی ... تانت ولم استکمل الرزق من اجلی

قال فلما سمع معاویة کلامه والنار تتوقد من فیه قال له مهلا یا اخا العرب اذکر قصتك وابن لی عن امرك فقال یا امیر المؤمنین کانت لی زوجة وکنت لها محبا وبها کلفا وکنت بها قریر العین طیب النفس وکانت لی جذعة من الابل کنت استعین بها علی قوام حالی وکفایة اودی فاصابتنا سنة اذهبت الخف والحافر فبقیت لا املك شیئا فلما قل ما بیدی وذهب مالی وفسد حالی بقیت مهانا ثقیلا علی الذی یألفنی وابعدنی من کان یشتهی قربی وازور من لا یرغب فی زیارتی فلما علم ابوها ما بی من سوء الحال وشر المال اخذها منی وجحدنی وطردنی واغلظ علی فاتیت الی عاملك مروان بن الحکم راجیا لنصرتی فلما احضر اباها وسأله عن حالی قال ما اعرفه قط فقلت اصلح الله الامیر ان رأی ان یحضرها ویسألها عن قول ابیها فیفعل وبعث خلفها فلما حضرت بین یدیه وقعت منه موقع الاعجاب فصار لی خصما وعلی منکرا واظهر لی الغضب وبعث بی الی السجن فبقیت کانما خررت من السماء واستهوت بی الریح فی مکان سحیق ثم قال لابیها هل لك ان تزوجنیها علی الف دینار وعشرة آلاف درهم وانا ضامن خلاصها من هذا الاعرابی فرغب ابوها فی البذل واجابه الی ذلك فلما کان من الغد بعث الی واحضرنی ونظر الی کالاسد الغضبان وقال طلق سعدی فقلت لا فسلط علی جماعة من غلمانه فاخذونی یعذبونی بانواع العذاب فلم اجد لی بدا من طلاقها ففعلت فاعادنی الی السجن فمکثت فیه الی ان انقضت عدتها فتزوجها واطلقنی وقد اتیتك راجیا وبك مستجیرا والیك ملتجیا وانشأ یقول

فى القلب منى غرام | للنار فيه استعار
والجسم منى ليهيم | فيه الطبيب يحار
وفى فؤادى جمر | والجمر فيه شرار
والعين تهطل دمعا | فدمعها مدرار
وليس الا بربى | وبالامير انتصار

قال ثم اضطرب واضطكت لهاته وصار مغشيا عليه واخذ يتلوى كالحية قال فلما سمع معاوية كلامه وانشاده قال تعدى ابن الحكم فى حدود الدين وظلم واجترا على حرم المسلمين ثم قال لقد اتيتنى يا اعرابى بحديث لم اسمع بمثله قط ثم دعا بدواة وقرطاس وكتب الى مروان بن الحكم كتابا يقول فيه انه قد بلغنى انك تعديت على رعيتك فى حدود الدين وينبغى لمن كان واليا ان يكف بصره عن شهواته ويزجر نفسه عن لذاته ثم كتب بعده كلاما طويلا اختصرته وانشد يقول

وليت امرا عظيما لست تدركه | فاستغفر الله من فعل امرئ زان
وقد اتانا الفتى المسكين منتحبا | يشكو الينا ببث ثم احزان
اعطى الاله يمينا لا اكفرها | نعم وابرأ من دينى وايمان
ان انت خالفتنى فيما كتبت به | لاجعلنك لحما بين عقبان
طلق سعاد وعجلها مجهزة | مع الكميت ونصر ابن ذبيان

ثم طوى الكتاب وطبعه واستدعى بالكميت ونصر بن ذبيان وكان يبعثهما فى المهمات لامانتهما فاخذا الكتاب وسارا حتى قدما المدينة فدخلا على مروان بن الحكم وسلما عليه وسلما اليه الكتاب واعلماه بصورة الحال فصار مروان يقرأ ويبكى ثم قام الى سعاد واعلمها ولم يسعه مخالفة معاوية فطلقها بمحضر الكميت ونصر بن ذبيان وجهزهما وصحبتهما سعاد ثم كتب مروان كتابا يقول فيه هذه الابيات

لا تعجلن امير المؤمنين فقد   اوفى بنذر لك فى سر واعلان
وما اتيت حراما حين اعجبنى   فكيف ادعى باسم الخائن الزانى
اعذر فانك لو ابصرتها لجرت   فيك الاماني على تمثال انسان
فسوف يأتيك شمس ليس يدركها   عند الخليفة من انس ومن جان

ثم ختم الكتاب ودفعه الى الرسولين وسارا حتى وصلا الى معاوية وسلما اليه الكتاب وقراءه فقال لقد احسن فى الطاعة واطنب فى ذكر الجارية ثم امر باحضارها فلما رآها راى صورة حسناء لم ير احسن منها ولا مثلها فى الحسن والجمال والقد والاعتدال فخاطبها فوجدها فصيحة اللسان حسنة البيان فقال على بالاعرابى فاتى به وهو فى غاية من تغير الحال فقال يا اعرابى هل لك عنها من سلوة و اعوضك عنها ثلاث جوار نهد ابكار كانهن الاقمار مع كل جارية الف دينار واقسم لك فى بيت المال كل سنة ما يكفيك و ما يغنيك قال فلما سمع الاعرابى كلام معاوية شهق شهقة ظن معاوية انه مات فقال له معاوية ما بالك بشر بال وسوء حال فقال الاعرابى استجرت بعدلك من جور ابن الحكم فبمن استجير من جورك وانشد يقول

لا تجعلنى فداك الله من ملك   كالمستجير من الرمضاء بالنار
اردد سعاد على حيران مكتئب   يمسى و يصبح فى هم وتذكار
اطلق وثاقى ولا تبخل على بها   فان فعلت فانى غير كفار

ثم قال والله يا امير المؤمنين لو اعطيتنى الخلافة ما اخذتها دون سعدى وانشد يقول

ابى القلب الا حب سعدى وبغضت   على نساء ما لهن ذنوب

فقال له معاوية انك مقر على انك طلقتها ومروان مقر بانه طلقها ونحن نخيرها ان اختارت سواك تزوجناها وان اختارتك حولناها اليك قال افعل فقال ما تقولين يا سعدى ايما احب اليك امير المؤمنين فى عزه وشرفه وقصوره وسلطانه و امواله وما ابصرتيه عنده او مروان بن الحكم فى تعسفه وجوره او هذا الاعرابى

في جوعه وفقره فانشدت تقول

هذا وان كان في جوع واضرار ... اعز عندي من قومي ومن جاري
وصاحب التاج او مروان عامله ... وكل ذي درهم عندي ودينار

ثم قالت والله يا امير المؤمنين ما انا بخاذلته لحادثة للزمان ولا لغدرات الايام وان له صحبة قديمة لا انسى ومحبة لا تبلى وانا احق من يصبر معه في الضراء كما تنعمت معه في السراء فتعجب معاوية من عقلها ومودتها له وموافاتها ودفع لها عشرة الاف درهم ودفع مثلها للاعرابي واخذها وانصرف حتى

ومن ثمرات الاوراق عن الاجوبة الهاشمية وبلاغتها في المحل الرفيع فمن اجل ذلك انه اجتمع عند معاوية عمرو بن العاص رضي الله عنه والوليد ابن عقبة وعتبة بن ابي سفيان والمغيرة بن شعبة فقالوا يا امير المؤمنين ابعث الى الحسن بن علي احضره لنا قال لهم ولم قالوا كي نوبخه ونعرفه ان اباه قتل عثمان فقال لهم معاوية انكم لن تطيقوه ولن تنتصفوا منه ولا تقولوا له شيئا الا كذبكم ولا يقول لكم ببلاغته شيئا الا صدقه الناس فقالوا ارسل اليه فانا نكفيه فارسل معاوية فلما حضر قال يا حسن اني لم ارسل اليك ولكن هؤلاء ارسلوا اليك فاسمع مقالتهم فقال الحسن رضي الله عنه فليتكلموا ونحن نسمع فقام عمرو بن العاص رضي الله عنه فحمد الله واثنى عليه ثم قال يا حسن هل تعلم ان اباك اول من اثار الفتنة وطلب الملك فكيف رايت صنع الله تعالى ثم قام الوليد بن عقبة فحمد الله واثنى عليه ثم قال يا بني هاشم كنتم اصهار عثمان بن عفان فنعم الصهر كان لكم لقربه من رسول الله صلى الله عليه وسلم يقربكم ويفضلكم ثم بغيتم عليه وقتلتموه وقد اردنا قتل ابيك فانقذنا الله منه ولو قتلناه ما كان علينا من الله من ذنب ثم قام عتبة بن ابي سفيان فقال يا حسن ان اباك قد تعدى على عثمان فقتله حسدا على الملك والدنيا فسلبهما الله منه ولقد اردنا قتل ابيك حتى قتله الله تعالى ثم قام المغيرة بن شعبة

وقال كلا اما سبا لعلي وتعظيما لعثمان فقام الحسن رضي الله عنه فحمد الله و
اثنى عليه وقال بل ابدا يا معاوية لم يشتمني هؤلاء ولكن انت تشتمني بغضا
وعداوة وخلافا لجدي رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم التفت الى الناس
وقال انشدكم الله ان الذي شتمه هؤلاء اما كان ابي وهو اول من آمن بالله
وصلى الى القبلتين وانت يا معاوية كافر تشرك بالله وكان مع ابي لواء النبي
صلى الله عليه وسلم يوم بدر ولواء المشركين مع معاوية ثم قال انشدكم الله
تعالى ما كان معاوية يكتب لجدي صلى الله عليه وسلم فارسل اليه يوما فرجع
الرسول وقال هو ياكل فرد اليه الرسول ثلاث مرات كل ذلك يقول هو ياكل
فقال النبي صلى الله عليه وسلم لا اشبع الله بطنه يا معاوية اما تعرف ذلك
من بطنك ثم قال وانشدكم الله اما تعلمون ان معاوية كان يقود بابيه وهو على
جمل واخوه هذا يسوقه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما قال وانت تعلم
ذلك هذا كله لك يا معاوية واما انت يا عمرو تنازع على خمسة من قريش فغلب
عليك شبه الأمهم وهو اقلهم حسبا واسوأهم منصبا ثم قمت وسط قريش
فقلت اني شانئ محمدا بثلاثين بيتا من الشعر فقال النبي صلى الله عليه وسلم
اللهم اني لا احسن الشعر اللهم العن عمرو بن العاص بكل بيت لعنة ثم انطلقت
الى النجاشي بما علمت وعملت فكذبك وردك خائبا فانت عدو بني هاشم في الجاهلية والاسلام
فلا نلومك على بغضك الآن واما انت يا ابن ابي معيط فكيف الومك على سبك
لابي وقد جلدك ابي في الخمر ثمانين جلدة وقتل اباك صبرا بامر جدي وقتله جدي
بامر ربي ولما قدمه للقتل قال من للصبية بعدي يا محمد فقال جدي لهم النار
فلم يكن لهم عند جدي غير النار ولم يكن لهم عند ابي غير السوط والسيف واما
انت يا عتبة فكيف تعيب احدا بالقتل لم تقتل الذي وجدته على فراشك
مضاجعا لزوجتك ثم امسكتها بعد ان بغت واما انت يا اعور ثقيف ففي اي
شيء تسب عليا افي بعده من رسول الله صلى الله عليه وسلم ام الحكم جائر في

رعيته في الدنيا فان قلت في شيء من ذلك كذبت وكذبك الناس وان زعمت ان عليا قتل عثمان فقد كذبت وكذبك الناس وانما مثلك كمثل بعوضة وقعت على نخلة فقالت لها استمسكي فاني اريد ان اطير فقالت لها النخلة ما علمت بوقوعك فكيف يشق علي طيرانك فكيف يا اعور ثقيف يشق علينا سبك ثم نفض ثيابه وقام فقال لهم معاوية الم اقل لكم لا تنتصفون منه فوالله لقد اظلم علي البيت حتى قام وروى ان معاوية رضي الله عنه خرج يوما حاجا فمر بالمدينة ففرق على اهلها اموالا جزيلة ولم يحضر الحسن بن علي رضي الله عنهما فلما حضر قال له معاوية مرحبا مرحبا برجل تركنا حتى نفد ما عندنا وتعرض لنا ليبخلنا فقال له الحسن رضي الله عنه كيف ينفد ما عندك وخراج الدنيا يجبى اليك فقال له معاوية قد امرت لك بمثل ما امرت به لاهل المدينة وانا ابن هند فقال الحسن قد رددته عليك وانا ابن فاطمة الزهراء رضي الله عنها وقيل ان معاوية رضي الله عنه جلس يوما بين اصحابه اذ اقبلت قافلتان من البرية فقال لبعض من كان بين يديه انظروا هؤلاء القوم وائتوني باخبارهم فمضوا وعادوا وقالوا يا امير المؤمنين احداهما من اليمن والاخرى من قريش فقال ارجعوا اليهم وادعوا قريشا يأتوننا واما اهل اليمن ينزلون في اماكنهم الى ان ناذن لهم بالدخول فلما دخلت قريش سلم عليهم وقربهم وقال اتدرون يا اهل قريش لم اخرت اهل اليمن وقربتكم قالوا لا والله يا امير المؤمنين قال لانهم لم يزالوا يتطاولون علينا بالفخار ويقولون ما ليس فيهم واني اريد اذا دخلوا غدا واخذوا اماكنهم من الجلوس اقوم فيهم نذيرا والقي عليهم من المسائل ما اقل به اكرامهم وارخص به مقامهم فاذا دخلوا واخذوا اماكنهم من الجلوس وسالوا عن شيء فلا يجيبهم احد غيري (قال الراوي) وكان المقدم عليهم رجل يقال له الطرماح بن الحكم الباهلي فاقبل على اصحابه وقال اتدرون

يا اهل اليمن لم اخر كم ابن هند وقدم قريشا قالوا لا قال لانه فى غداة غد يقوم فيكم نذيرا ويلقى عليكم من المسائل ما يقل به اكرامكم ويرخص به مقامكم فاذا دخلتم عليه واخذتم اماكنكم من الجلوس وسالكم عن شئ فلا يجيبه احد غيرى فلما كان من الغد دخلوا عليه واخذوا اماكنهم فنهض معاوية قائما على قدميه وقال ايها الناس من تكلم بالعربية قبل العرب وعلى من انزلت العربية فقام الطرماح وقال نحن يا معاوية ولم يقل يا امير المؤمنين فقال لماذا فقال لانه لما نزلت العرب ببابل وكانت العبرانية لسان الناس كافة ارسل الله تعالى العربية على لسان يعرب بن قحطان الباهلى وهو جدنا فقرا العربية وتداولتها قومه من بعده الى يومنا هذا فنحن يا معاوية عرب بالجنس وانتم عرب بالتعليم فسكت معاوية زمانا ثم رفع راسه وقال ايها الناس من اقرب العرب ايمانا ومن شهد له بذلك فقال الطرماح نحن يا معاوية قال ولم قال لان الله بعث محمدا صلى الله عليه وسلم فكذبتموه وسفهتموه وجعلتموه مجنونا فآويناه ونصرناه فانزل الله والذين آووا ونصروا اولئك هم المؤمنون حقا وكان النبى صلى الله عليه وسلم محسنا لنا متجاوزا عن سيئاتنا فلم لم تفعل انت كذلك كانك خالفت رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فسكت زمانا ثم رفع راسه وقال ايها الناس من افصح العرب لسانا ومن شهد له بذلك قال الطرماح نحن يا معاوية قال ولم ذلك قال لان امرأ القيس بن حجر الكندى منا قال فى بعض قصائده

يطعمون الناس غبا | فى السنين الممحلات
فى جفان كالجوابى | وقدور راسيات

وقد تكلم بالقرآن قبل ان ينزل وشهد له رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك قال فسكت معاوية زمانا ثم قال ايها الناس من اقوى العرب شجاعة وكرا ومن شهد له بذلك قال الطرماح نحن يا معاوية قال ولم ذلك قال لان منا عمرو بن معدى كرب الزبيدى كان فارسا فى الجاهلية وفارسا فى الاسلام وشهد له

بذلك

بذلك النبی صلی الله علیه وسلم فقال له معاویة وابن انت وقد اتی به مصفدا بالحدید فقال له الطرماح ومن اتی به قال معاویة اتی به علی قال الطرماح والله لو عرفت مقدار ما سلمت الیه الخلافة ولا طمعت فیها ابدا فقال له معاویة اتجیبنی یا عجوز الیمن قال نعم اجبتك یا عجوز مضر لان عجوز الیمن بلقیس آمنت بالله وتزوجت بنبیه سلیمان بن داؤد علیهما السلام وعجوز مضر حمالة الحطب قال الله فی حقها وامرأته حمالة الحطب فی جیدها حبل من مسد قال فسکت معاویة زمانا ثم رفع رأسه وقال جزاك الله خیرا من صاحب وفد عقلت ورحم سلفك واعطاه واحسن الیه انتهی قال الراوی وخطب معاویة یوما فقال یا ایها الناس ان الله تعالی قال وان من شیٔ الا عندنا خزائنه وما ننزله الا بقدر معلوم فعلام تلوموننی اذا اقصرت عنکم فی عطایاکم فقال له الاحنف بن قیس انا والله ما نلومك فیما فی خزائن الله ولکن وضعت یدك علی ما انزل الله من خزائنه فجعلته فی خزائنك وحلت بیننا وبینه ومما یروی عن الشعبی قال استأذنت سودة بنت عمارة بن الاسد علی معاویة بن ابی سفیان فأذن لها فلما دخلت علیه قال لها یا بنت الاسد لست القائلة شعرا

شمر کفعل ابیك یا ابن عمارة ... یوم الطعان وملتقی الاقران
وانصر علیا والحسین ورهطه ... واقصد لهند وابنها بهوان
ان الامام اخا النبی محمد ... علم الهدی ومنارة الایمان
وقد الجیوش وسر امام لوائه ... وارمی بابیض صارم وسنان

قالت بلی یا معاویة ومن مثلی من رغب عن الحق واعتذر قال فما حملك علی ذلك قالت حب علی واتباع الحق قال والله ما اری علیك من اثر علی شیئا قالت انشدك الله یا معاویة لا تذکر اعادة ما مضی قال هیهات وما مثلك ومقام اخیك یسبینی وما لقیت من اخیك قالت صدقت یا معاویة لم یکن اخی ذمیم المقام ولا خفی وهو والله کقول الخنساء

وان صخرا لتأتم الهداة به ... كانه علم في رأسه نار

وانا اسالك يا معاوية اعفاءك مما استعفيت به قال قد فعلت فما حاجتك قالت يا معاوية انك اصبحت للناس سيدا ولأمورهم واليا والله سائلك عن امرنا وما افترض عليك من حقنا ولا تزال تقدم علينا من ينهض بسلطانك ويبطش بسطوتك ويحصدنا حصد السنبل ويدوسنا دوس البقر ويسومنا الخسف ويسلبنا الجليل هذا ابن ارطاة قدم علينا فقتل رجالي واخذ مالي ولولا الطاعة لكان فينا عز ومنعة فاما عزلته فشكرناك واما اقررته فعرفناك فقال لها ابقولك تهدديني هممت ان احملك على قتب جمل اشرس واسيرك اليه لينفذ فيك امره فاطرقت وبكت وانشدت تقول

صلى الاله على روح تضمنه ... قبر فاصبح فيه الحق مدفونا
قد حالف الحق لا يبغي به بدلا ... فصار بالحق والايمان مقرونا

قال ومن ذاك قالت امير المؤمنين علي بن ابي طالب كرم الله وجهه قال ولم ذاك قالت اتيته في رجل ولاه علينا ولم يكن بيننا وبينه الا كما بين الغث والسمين فوجدته قائما يصلي فلما نظر الي انفتل من صلاته ثم قال برافة ورحمة ألك حاجة فاخبرته فبكى ثم قال اللهم اشهد علي وعليهم اني لم آمرهم بظلم خلقك ولا بترك حقك ثم اخرج من جيبه قطعة من جلد كهيئة طرف الجراب فكتب فيها بسم الله الرحمن الرحيم قد جاءتكم بينة من ربكم فاوفوا الكيل والميزان ولا تبخسوا الناس اشياءهم ولا تعثوا في الارض مفسدين بقية الله خير لكم ان كنتم مؤمنين وما انا عليكم بحفيظ اذا قرأت كتابي هذا فاحتفظ بما في يدك حتى يقدم عليك من يقبضه منك والسلام فاخذته منه واوصلته اليه فامتثل ورجع عما كان فيه فقال معاوية اكتبوا لها برد مالها والعدل في احوالها فقالت الي خاصة ام لي ولقومي قال بل انت قالت اذا الفحشاء واللؤم هي والله اما عدلا شاملا والا انا كسائر قومي قال اكتبوا لها بحاجتها هي وقومها ولما اتصلت ميسون بنت بجدل

بمعاوية رضي الله عنه و نقلها من البدو الى الشام كانت تكثر الحنين على ناسها والتذكر لمسقط راسها فاستمع عليها ذات يوم فسمعها تنشد و تقول

لبيت تخفق الارياح فيه … احب الى من قصر منيف
وآكل كسيرة من كسر بيتي … احب الى من اكل الصنوف
واصوات الرياح بكل فج … احب الى من نقر الدفوف
ولبس عباءة و تقر عيني … احب الى من لبس الشفوف
وكلب ينبح الطراق حولي … احب الى من قط الوف
وبكر يتبع الاظعان صعب … احب الى من بغل زفوف
وخرق من بني عمي ضعيف … احب الى من علج عنيف

قال الراوي فلما سمع معاوية الابيات قال ما رضيت ابنة بحدل حتى جعلتني علجا عنيفا حكاية اجنبية عن المقام يحكى ان بهرام لما ولي الملك بعد ابيه اقبل على اللهو واللذات والنزه والصيد ولا يفكر في ملكه ولا في رعيته حتى خرجت البلاد عن يده وخربت في ايامه وقلت العمارة وخلت بيوت الاموال فلما كان في بعض الايام ركب الى بعض منازهه وصيده وهو يسير نحو المدائن وكانت ليلة مقمرة فدعا بالموبذ وهو عند المجوس كالحاخام عند اليهود والقسيس عند النصارى لامر خطر بباله فجعل يحادثه متوسطا في سيرهما بين خرابات كانت من امهات الضياع قد خربت في مدة ملكه لا انيس فيها الا البوم واذا ببوم يصيح وصاحبته تجاوبه من تلك الخرابات فقال بهرام اترى ان احدا من الناس اعطي فهم لغة هذا الطائر المصوت في الليل البهيم فقال الموبذ ايها الملك انا ممن خصه الله بذلك فقال فما يقول هذا الطائر وما يقول الطائر الآخر فقال الموبذ هذا بوم ذكر يخطب بومة ويقول لها امتعيني نفسك حتى يخرج من بيننا اولاد يسبحون الله ويبقى لنا في هذا العالم عقب يكثرون الترحم علينا فاجابت البومة ان الذي تدعوني اليه لي فيه الحظ الاكبر والنصيب الاوفر في العاجل

والآجل الا انی اشترط علیك خصالا ان اعطیتها اجبتك الی ذلك فقال لها الذكر وما تطلبیه منی قالت ان تعطینی من خرابات امهات الضیاع عشرین قریة تما خربت فی ایام هذا الملك السعید فقال له الملك فما الذی قال لها الذكر قال الموبذ كان من قوله لها ان دامت ایام هذا الملك السعید اقطعت منها الف قریة خراب فما تصنعین قالت فی اجتماعنا یحصل ظهور النسل وكثرة الذكر فنقطع لكل ولد من اولادنا ضیعة من هذه الخرابات فقال لها الذكر هذا اسهل امر سألتنیه وانا ملی بذلك ما حی هذا الملك فلما سمع الكلام من الموبذ عمل فی نفسه واستیقظ من نومه وفكر فیما خوطب به فنزل من ساعته ونزل بین وله الناس وخلا بالموبذ فقال ایها القائم بامر الدین والناصح للملك والمنبه له عما اغفله من امور ملكه واضاعة بلاده ورعیته ما هذا الكلام الذی خاطبتنی به فقد حركت منی ما كان ساكنا فقال الموبذ صادفت من الملك السعید جدة وفت سعد العباد والبلاد فجعلت الكلام مثلا وموعظة علی لسان الطائر عند سؤال الملك ایای عما سأل فقال له الملك ایها الناصح اكشف لی عن هذا الغرض ما المراد منه فقال ایها الملك ان الامر لا یتم الا بالشریعة والقیام لله بطاعته ولا قوام للشریعة الا بالملك ولا عز للملك الا بالرجال ولا قوام للرجال الا بالمال ولا سبیل للمال الا بالعمارة ولا سبیل للعمارة الا بالعدل وهو المیزان المنصوب بین الخلیقة نصبه الرب جل وعلا وجعل له قیما وهو الملك فقال الملك اما ما وصفت فحق فابن لی عما الیه تقصد واوضح لی فی البیان قال نعم ایها الملك انك عمدت الی الضیاع فاقطعتها الخدم واهل البطالة فعمدوا الی ما تعجل من غلاتها فاستعجلوا المنفعة وتركوا العمارة والنظر فی العواقب وما یصلح الضیاع وسومحوا فی الخراج لقربهم من الملك ووقع الحیف علی الرعیة وعمار الضیاع فانجلوا عن ضیاعهم وقلت الاموال وهلكت الجنود والرعیة وطمع فی ملك فارس من اطاف بها من الملوك

ولامم

والامم لعلمهم بانقطاع المواد التي بسببها تستنقيهم دعائم الملك فلما سمع الملك
ذلك اقام في موضعه ثلاثة ايام واحضر الوزراء والكتاب وارباب الدواوين
فانتزعت الضياع من ايدي الخاصة والحاشية وردت الى اربابها وحملوا
على رسومهم السالفة واخذوا في العمارة وقوى من ضعف منهم فعمرت البلاد
بذلك واخصبت وكثرت الاموال عند الجباة وقويت الجنود وانقطعت مواد
الاعداء واقبل الملك يباشر الامور بنفسه فحسنت سيرته وانتظم ملكه حتى
كانت ايامه بعده تدعى بالاعياد مما عم الناس من الخصب وشملهم من
العدل اهـ حكاية اخرى اجنبية حكى عن الاصمعي انه قال
دخلت البصرة اريد بادية بني سعد وكان على البصرة يومئذ خالد بن
عبد الله القسري فدخلت عليه يوما فوجدت قوما متعلقين بشاب
ذي جمال وكمال وادب ظاهر بوجه زاهر حسن الصورة طيب الرائحة جميل
البزة عليه سكينة ووقار فقدموه الى خالد فسألهم عن قصته فقالوا هذا لص
اصبناه البارحة في منازلنا فنظر اليه فاعجبه حسن هيئته ونظافته فقال
خلوا عنه ثم ادناه منه وسأله عن قصته فقال ان القول ما قالوه والامر على
ما ذكروه فقال له ما حملك على ذلك وانت في هيئة جميلة وصورة حسنة قال
حملني الشره في الدنيا وبذا قضى الله سبحانه وتعالى فقال له خالد ثكلتك
امك اما كان لك في جمال وجهك وكمال عقلك وحسن ادبك زاجر لك عن
السرقة قال دع عنك هذا ايها الامير وانفذ ما امرك الله تعالى به فذلك بما
كسبت يداي وما الله بظلام للعبيد فسكت خالد ساعة يفكر في امر الفتى ثم ادناه
منه وقال له ان اعترافك على رؤس الاشهاد قد رابني وانا ما اظنك سارقا
وان لك قصة غير السرقة فاخبرني بها فقال ايها الامير لا يقع في نفسك سوى
ما اعترفت به عندك وليس لي قصة اشرحها لك الا اني دخلت دار هؤلاء
فسرقت منها مالا فادركوني واخذوه مني وحملوني اليك فامر خالد بحبسه وأمر

مناديلينادي في البصرة الا من احب ان ينظر الى عقوبة فلان اللص وقطع يده فليحضر من الغد فلما استقر الفتى في الحبس ووضع في رجليه الحديد تنفس الصعدا ثم انشا يقول

هددني خالد بقطع يدي ... ان لم ابح عنده بقصتها
فقلت هيهات ان ابوح بما ... تضمن القلب من محبتها
قطع يدي بالذي اعترفت به ... اهون للقلب من فضيحتها

فسمعه الموكلون فأتوا خالدا واخبروه بذلك فلما جن الليل امر باحضاره عنده فلما حضر استنطقه فرآه اديبا عاقلا لبيبا ظريفا فاعجب به فامر له بطعام فاكلا وتحادثا ساعة ثم قال له خالد قد علمت ان لك قصة غير السرقة فاذا كان غدا وحضر الناس والقضاة وسألتك عن السرقة فانكرها واذكر فيها شبها تدرأ عنك القطع فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ادرؤا الحدود بالشبهات ثم امر به الى السجن فلما اصبح الناس لم يبق بالبصرة رجل ولا امرأة الا حضر ليرى عقوبة ذلك الفتى وركب خالد ومعه وجوه اهل البصرة وغيرهم ثم دعا بالقضاة وأمر باحضار الفتى فاقبل يحجل في قيوده ولم يبق احد من النساء الا بكى عليه وارتفعت اصوات النساء بالبكاء والنحيب فأمر بتسكيت الناس ثم قال له خالد ان هؤلاء القوم يزعمون انك دخلت دارهم وسرقت مالهم فما تقول قال صدقوا ايها الامير دخلت دارهم وسرقت مالهم قال خالد لعلك سرقت دون النصاب فقال بل سرقت نصابا كاملا قال فلعلك سرقته من غير حرز مثله قال بل من حرز مثله قال فلعلك شريك القوم في شئ منه قال بل هو جميعه لهم لا حق لي فيه فغضب خالد وقام اليه بنفسه وضربه على وجهه بالسوط وقال متمثلا بهذا البيت

يريد المرء ان يعطى مناه ... ويابى الله الا ما اراده

ثم دعا بالجلاد ليقطع يده فحضر واخرج السكين ومد يده ووضعها عليها

السكين فبرزت جارية من صف النساء عليها آثار وسخ فصرخت ورمت بنفسها عليه ثم اسفرت عن وجه كانه البدر وارتفع للناس ضجة عظيمة كاد ان تقع منها فتنة ثم نادت باعلى صوتها ناشدتك الله ايها الامير لا تعجل بالقطع حتى تقرأ هذه الورقة ثم دفعت اليه رقعة ففضها خالد فاذا هي مكتوب فيها هذه الابيات

أخالد هذا مستهام متيم ... رمته لحاظي من قسي الحمالق
فاصماه سهم اللحظ مني فقلبه ... حليف الجوى من دائه غير فائق
اقر بما لم يقترفه لانه ... رأى ذاك خيرا من هتيكة عاشق
فمهلا على الصب الكئيب لانه ... كريم السجايا في الهوى غير سارق

فلما قرأ الابيات تنحى وانعزل عن الناس واحضر المرأة ثم سالها عن القصة فاخبرته ان هذا الفتى عاشق لها وهي له كذلك وانه اراد زيارتها وان يعلمها بمكانه فرمى بحجر الى الدار فسمع ابوها واخوتها صوت الحجر فصعدوا اليه فلما احس بهم جمع قماش البيت كله وجعله صرة فاخذوه وقالوا هذا سارق واتوا به اليك فاعترف بالسرقة واصر على ذلك حتى لا يفضحني بين اخوتي وهان عليه قطع يده لكي يستر علي ولا يفضحني كل ذلك لعزازة مروته وكرم نفسه فقال خالد انه خليق بذلك ثم استدعى الفتى اليه وقبل ما بين عينيه وامر باحضار ابي الجارية وقال له يا شيخ انا كنا عزمنا على انفاذ الحكم في هذا الفتى بالقطع وان الله عز وجل عصمني من ذلك وقد امرت له بعشرة آلاف درهم لبذله يده وحفظه لعرضك وعرض ابنتك وصيانته لكما من العار وقد امرت لابنتك بعشرة آلاف درهم وانا اسالك ان تاذن لي في تزويجها منه فقال الشيخ قد اذنت ايها الامير بذلك قال فحمد الله واثنى عليه وخطب خطبة حسنة وقال للفتى قد زوجتك هذه الجارية فلانة الحاضرة باذنها ورضاها واذن ابيها على هذا المال

وقدره عشرة آلاف درهم فقال الفتى قبلت منك هذا التزويج وامر بحمل المال الى دار الفتى مزفوفا فى الصوانى وانصرف الناس مسرورين ولم يبق احد فى سوق البصرة الا نثر عليهما اللوز والسكر حتى دخلا منزلهما مسرورين مزفوفين قال الاصمعى فما رايت يوما اعجب منه اوله بكاء وترح وآخره سرور وفرح وهذه حكاية تشابه ما تقدم قال حماد الراوية كنت عند جعفر بن سليمان بالبصرة اذ اتى بشاب حسن الوجه ومعه جارية كانها قضيب بان فقال صاحب الشرطة اصلح الله الامير انى وجدت هذا وهذه مجتمعين فى خلوة وليس لها بمحرم فقال جعفر للفتى ما تقول فقال صدق ولقد طال والله غرامى بها منذ ثلاث سنين والله ما امكننى الخلوة بها الا فى هذا الوقت وانشد يقول شعرا

تمنيت من ربى افوز بقربها فلما تهيا لى المنى عاقنى العسر
فوالله بل والله ما كان ريبة وما كان الا اللفظ والضحك والبشر
فدونكمو جلدى ولا تجلدونها فكم من حرام كان من دونه ستر

قال فجعلت الجارية تبكى بكاء شديدا فقال لها وانت لم تبكين فقالت والله شفقة على ما حل بنا وكيف احتلت حتى خرجت وكيف بلينا بهذه البلية قال انحيبينه قالت فلم غررت بنفسى فقال لها انت حرة ام مملوكة قالت بل مملوكة فامر بها فاخلت الدار واحضر مولاها فاشتراها منه بمائتى دينار واعتقها وزوجها الفتى ووهب له مائة دينار وكساهما وانشد الفتى يقول

لقد جدت يا ابن الاكرمين بنعمة جمعت بها بين المحبين فى ستر
فلا زلت بالاحسان كهفا وملجأ وقد جل ما قد كان منك عن الشكر

قال فضحك وامر لهما بجائزة وانصرفا مسرورين انتهى فى ايام دولة عبد الملك ابن مروان وهو اول من تسمى عبد الملك فى الاسلام وكان يلقب برشح الحجر ذكره فى حياة الحيوان وذكر محمد بن واسع الهيتى ان عبد الملك بن مروان بعث كتابا الى الحجاج بن يوسف يقول فيه بسم الله الرحمن الرحيم

الى الحجاج بن يوسف اذا ورد عليك كتابي هذا وقرأته نسير لي ثلاث جوار مولدات نهدا ابكارا يكون اليهن المنتهى في الجمال واكتب لي بصفة كل واحدة منهن ومبلغ ثمنها من المال فلما ورد الكتاب على الحجاج دعا بالنخاسين اي الياسرجية ثم امرهم بما امره به امير المؤمنين وامرهم ان يغوصوا في البلاد حتى يقعوا على الغرض فلم يزالوا من بلد الى بلد ومن اقليم الى اقليم حتى وقعوا على الغرض ورجعوا الى الحجاج بثلاث جوار نهدا ابكار مولدات ليس لهن مثيل وكان الحجاج فصيحا فجعل ينظر الى كل واحدة منهن وثمنها من المال فوجدهن لا يقومن بقيمة وان ثمنهن ثمن واحدة منهن. ثم كتب كتابا الى عبد الملك بن مروان يقول فيه بعد الثناء الجميل وصلني كتاب امير المؤمنين متعني الله ببقائه يأمر فيه ان اشتري له ثلاث جوار مولدات نهدا ابكارا وان اكتب له بصفة كل واحدة منهن وثمنها اما الجارية الاولى اطال الله بقاء امير المؤمنين فانها لطيفة السوالف عظيمة الروادف كحلاء العينين حلوة الوجنتين قد انهدت نهداها والتفت فخذاها كانها ذهب شيب بفضة وهي كما قيل

بيضاء في طرفها دعج يزينها كانها فضة قد شابها ذهب

وثمنها يا امير المؤمنين ثلاثون الف درهم واما الجارية الثانية فانها فائقة في الجمال معتدلة القد والكمال يشفي السقيم كلامها الرخيم وثمنها يا امير المؤمنين ثلاثون الف درهم واما الجارية الثالثة فانها فاترة الطرف لطيفة الكف عميمة الردف شاكرة للقليل مسعدة للخليل بديعة الجمال كانها خشف غزال وثمنها يا امير المؤمنين ثمانون الف درهم ثم اطنب في الشكر والثناء على امير المؤمنين وطوى الكتاب وختمه ودعا بالنخاسين وقال تجهزوا للسفر بهؤلاء الجوار لامير المؤمنين فقال احد النخاسين ايد الله الامير اني رجل كبير وضعيف عن السفر ولي ولد ينوب عني أتأذن لي ان اجهزه قال نعم فتجهزوا وخرجوا ففي بعض مسيرهم نزلوا ليستريحوا في بعض الاماكن فنامت الجواري فهبت ريح فانكشفت

احداهن وهي الكوفية فظهر نور ساطع وكان اسمها مكتوم فنظر اليها ابن النحاس وكان شابا جميلا ففتن بها الساعته فأتاها على غفلة من اصحابه وجعل يقول

امكتوم عيني ما تمل من البكاء .. وقلبي باسهام الاسى يتشقق
امكتوم كم من عاشق قتل الهوى وقلبي رهين كيف لا اتعشق

فاجابته تقول

لو كان حقا ما تقول لزرتنا ليلا اذا هجعت عيون الحسد

فلما جن الليل انتضى ابن النحاس سيفه وأتى نحو الجارية فوجدها قائمة تنتظر قدومه فاخذها واراد الهرب بها ففطن به اصحابه فاخذوه وكتفوه واوثقوه بالحديد ولم يزل ما سورا معهم الى ان قدموا على عبد الملك فلما قدموا بالجواري بين يديه اخذ الكتاب وفتحه وقرأه فوجد الصفة موافقة في اثنين ولم توافق في الثالثة ورأى بوجهها صفرة وهي الجارية الكوفية فقال للنخاسين ما بال هذه الجارية لم توافق عليها الصفة التي ذكرها الحجاج في كتابه وما هذا الاصفرار الذي بها وهذا الانتحال فقالوا يا امير المؤمنين تقول وعلينا الامان قال ان صدقتم أمنتم وان كذبتم هلكتم فخرج احد النخاسين واتى بالفتى وهو مصفد بالحديد فلما قدموه بين يدى امير المؤمنين بكى بكاء شديدا وايقن بالعذاب ثم انشأ يقول هذه الابيات

امير المؤمنين اتيت رغما وقد شدت الى عنقي يديا
مقر بالقبيح وسوء فعلي ولست بما رميت به بريا
فان تقتل ففوق القتل ذنبي وان تعفو فمن جود عليا

فقال له عبد الملك يا فتى ما حملك على ما فعلت استخفافا بنا ام هوى للجارية فقال وحقك يا امير المؤمنين وعظيم قدرك ما هو الا هوى بالجارية فقال هي لك بما اعدّ لها فاخذ الغلام الجارية بكل ما اعد لها امير المؤمنين

من الحلي والجمان وسار بها فرحا مسرورا حتى اذا كانا ببعض الطريق نزلا منزلا ليلا ثم ناما فلما اصبح الصباح واراد الاعرابي الرحيل نبههما فوجدهما ميتين فبكوا عليهما ودفنوهما في الطريق ومضى خبرهما الى امير المؤمنين عبد الملك بن مروان فبكى عليهما وتعجب من ذلك انتهى وهذه حكاية تشابهها في العشق حكى عن عبد الله بن معمر القيسي انه قال حججت سنة الى بيت الحرام فلما قضيت حجي عدت لزيارة قبر النبي صلى الله عليه وسلم فبينما انا ذات ليلة جالس بين القبر والروضة اذا سمعت انينا عاليا وحنينا باديا فانصت اليه فاذا هو يقول هذه الابيات

أشجاك نوح حمائم السدر ... فاهجن منك بلابل الصدر
ام عز نومك ذكر غانية ... اهدت اليك وساوس الفكر
يا ليلة طالت على دنف ... يشكو الغرام وقلة الصبر
اسلمت من يهوى لحر جوى ... متوقد كتوقد الجمر
فالبدر يشهد انني كلف ... مغرى بحب شبيهة البدر
ما كنت احسبني بها شجنا ... حتى بليت وكنت لا ادري

قال ثم انقطع الصوت ولم ادر من اين جاءني فبقيت حائرا واذا به قد اعاد البكاء والحنين وانشا يقول هذه الابيات

أشجاك من ريا خيال زائر ... والليل مسود الذوائب عاكر
واعتاد مقلتك الهوى برسيسه ... واهتاج مقلتك الخيال الزاهر
ناديت ليلى والظلام كانه ... يم تلاطم فيه موج زاخر
والبدر يسري في السماء كانه ... ملك ترحل والنجوم عساكر
يا ليل طلت على محب ما له ... الا الصباح مساعد ومؤازر
فاجابني مت حتف انفك واعلمن ... ان الهوى لهو الهوان الحاضر

قال فنهضت عند ابتدائه الابيات اؤم الصوت فما انتهى لآخر الابيات الا وانا عنده فرايته غلاما كما نزل عذاره وقد خرق الدمع وجنتيه خرقين

فقلت نعمت غلاما فقال وانت فمن الرجل قلت عبد الله بن معمر القيسي قال افلك حاجة قلت له كنت جالسا في الروضة فما راعني في هذه الليلة الا صوتك فبنفسي افديك ما الذي تجده قال اجلس فجلست قال انا عتبة بن الحباب بن المنذر بن الجموح الانصاري غدوت الى مسجد الاحزاب فبقيت راكعا وساجدا ثم اعتزلت عن بعيد واذا انبسوة يتهادين كالاقمار وفي وسطهن جارية بديعة الجمال كاملة الملاحة فوقفت علي وقالت يا عتبة ما تقول في وصل من يطلب وصلك ثم تركتني وذهبت فلم اسمع لها خبرا ولا وقفت لها على اثر فانا حيران انتقل من مكان الى مكان ثم صرخ وانكب على الارض مغشيا عليه ثم افاق كانما صبغت خديه بورس ثم انشد يقول هذه الابيات

اراكم بقلبي من بلاد بعيدة ... تراكم تروني بالقلوب على بعدي

فؤادي وطرفي ياسفان عليكم ... وعندكم روحي وذكركم عندي

ولست الذ العيش حتى اراكم ... ولو كنت في الفردوس او جنة الخلد

قال فقلت له يا ابن اخي تب الى ربك واستقل من ذنبك فان بين يديك هول المطلع فقال هيهات ما انا بسال حتى يؤوب القارظان ولم ازل به حتى طلع الفجر فقلت قم بنا الى مسجد الاحزاب فقمنا اليه فجلسنا حتى صلينا الظهر واذا انبسوة قد اقبلن واما الجارية فليست فيهن فقلن يا عتبة ما ظنك بطالبة وصلك وكاشفة ما بك قال وما بالها قلن اخذها ابوها وارتحل الى السماوة فسالتهن عن الجارية فقلن هي ريا بنت الغطريف السلمي فرفع راسه وانشا يقول

خليلي ريا قد اجد بكورها ... وسارت الى ارض السماوة عيرها

خليلي اني قد غشيت من البكا ... فهل عند غيري عبرة استعيرها

فقلت له يا عتبة اني وردت بمال جزيل اريد به اهل الستر ووالله لابذلنه امامك حتى تبلغ رضاك وفوق الرضى قم بنا الى مسجد الانصار فقمنا حتى اشرفنا على ملا منهم فسلمت فاحسنوا الرد ثم قلت ايها الملا ما تقولون

فی عتبة وابیه قالوا من سادات العرب قلت فانه رمی بداهیة من الهوے
فارید منکم المساعدة الی السماوة قالوا سمعا وطاعة وركبنا وركب القوم
معنا حتی اشرفنا علی منازل بنی سلیم فاعلم الغطریف بمکاننا فخرج مبادرا
واستقبلنا وقال حییتم یا کرام قلنا وانت حییت انا لك اضیاف فقال
نزلتم باکرم منزل ثم نادی یا معشر العبید انزلوا فنزل العبید ففرشت الانطاع
والنمارق وذبحت النعم والغنم فقلنا لسنا بذائقین طعاما حتی تقضے
حاجتنا فقال وما حاجتكم قلنا نخطب بنتك الكريمة لعتبة بن الحباب ابن
المنذر العالی المفخر الطیب العنصر فقال یا اخی ان التی تخطبونها امرها الی نفسها
وانا ادخل واخبرها ثم نهض مغضبا ودخل الی ریا فقالت یا ابت مالی اری
الغضب بین عینیك فقال ورد علی قوم من الانصار یخطبونك منی
فقالت سادات کرام استغفر لهم النبی صلی الله علیه وسلم فلمن الخطبة
فیهم قال لفتی یعرف بعتبة بن الحباب قالت سمعت عن عتبة هذا انه یفی
بما وعد ویدرك ما طلب قال اقسمت لا زوجتك به ابدا فقد نمی الی بعض
حدیثك معه قالت ما كان ذلك قال ولكن اقسمت انی ازوجك به قالت
احسن الیهم فان الانصار لا یردون مورد اقبیحا فاحسن الرد قال بای شئے
قالت اغلظ علیهم المهر فانهم یرجعون قال ما احسن ما قلت ثم خرج مبادرا
فقال ان فتاة الحی قد اجابت ولكن ارید لها مهر مثلها فمن القائم به قال
عبد الله فقلت انا فقال ارید لها الف سوارة من ذهب احمر وخمسة آلاف
درهم من ضرب هجر ومائة ثوب من الابراد والحبر وخمسة اكرشة من
العنبر قال قلت لك ذلك فهل اجبت قال اجل فانفذ عبد الله نفرا من الانصار
الی المدینة المنورة فاتوا بجمیع ما ضمنه وذبحت النعم والغنم واجتمع الناس
لاكل الطعام قال فاقمنا علی هذا الحال اربعین یوما ثم قال خذوا فتاتكم
فحملناها علی هودج وجهزها بثلاثین راحلة من التحف ثم ودعنا وانصرف

وسرنا حتى اذا بقي بيننا وبين المدينة المنورة مرحلة خرجت علينا خيل تريد الغارة واحسب انها من بني سليم فحمل عليها عتبة بن الحباب فقتل عدة رجال وانحرف راجعا وبه طعنة ثم سقط الى الارض واتتنا النصرة من سكان تلك الارض فطردوا عنا الخيل وقد قضى عتبة نحبه فقلنا واعتبتاه فسمعنا الجارية تقول واعتبتاه فالقت نفسها من على البعير وانكبت عليه وجعلت تصيح وتقول بحرقة هذه الابيات

تصبرت لا اني صبرت وانما | اعلل نفسي انها بك لاحقه
ولو انصفت روحي لكانت الى الردى | امامك من دون البرية سابقه
فما احد بعدي وبعدك منصف | خليلا ولا نفس لنفس موافقه

ثم شهقت شهقة واحدة قضت نحبها واحتفرنا لهما قبرا واحدا وواريناهما التراب ورجعت الى ديار قومي واقمت سبع سنين ثم عدت الى الحجاز ووردت المدينة المنورة للزيارة فقلت لاعودن الى قبر عتبة فاتيت الى القبر فاذا الشجرة عليها عصائب حمر وصفر وخضر فقلت لارباب المنزل ما يقال لهذه الشجرة فقالوا شجرة العروسين فاقمت عند القبر يوما وليلة وانصرفت وكان آخر العهد به ومثل ما تقدم من العشق وما ورد في كتمان الهوى مع تحقق النظر عندا علانه ما حكي عن بعض المعمرين من ذوي النعم قال بينما انا في منزلي اذ دخل علي خادم لي ومعه كتاب فقال رجل بالباب دفع الي هذا الكتاب ففتحته فاذا فيه شعر

تجنبك البلاء وتلت خيرا | ونجاك المليك من الغموم
فعندك لو منت شفاء نفسي | واعضا ضنين من الكلوم

فقلت عاشق والله وقلت للخادم اخرج واتني به فخرج فلم ير احدا فعجبت من امره واحضرت الجواري كلهن من يخرج منهن ومن لم يخرج منهن وسألتهن عن ذلك فحلفن انهن لا يعرفن من حديث هذا الكتاب شيئا فقلت اني لم

افعل

انعل ذلك بجلا بمن يهوى منكن فمن عرفت بحال هذا الفتى فهو هبة منى له بمالها ومائة دينار وكتبت جوابه اشكره على ذلك واساله قبولها ووضعت الكتاب في جنب البيت ومائة دينار وقلت من عرف شيئا فليأخذه فمكث الكتاب والذهب ايا ما لا يأخذه احد فغمنى ذلك وقلت هذا اقنع ممن يحبه بالنظر فمنعت من يخرج من جوارى من الخروج فما كان الا يوما او بعض يوم اذ دخل على الخادم ومعه كتاب وقال هذا من بعض اصدقائك بعث به اليك فقلت اخرج وائتنى به فخرج فلم يجده ففتحت الكتاب فاذا فيه هذه الابيات

ماذا اتيت الى روح معلقة عند التراقى وحادى الموت حاديها
حثثت حاديها ظلما فجد بها فى السير حتى تخلت عن تراقيها
والله لو قيل لى تأتى بفاحشة وان عقباك دنيانا وما فيها
لقلت لا والذى اخشى عقوبته ولا باضعافها ما كنت آتيها
لولا الحياء لبحنا بالذى سكنت بيت الفؤاد وابدينا امانيها

قال فغمنى امره وقلت للخادم لا يأتينك احد بكتاب الا قبضت عليه قال وقرب موسم الحاج قال فبينما انا قد افضت من عرفة واذا فتى الى جانبى على ناقة لم يبق منه الا الخيال فسلم على فرددت عليه السلام ورحبت به فقال اتعرفنى فقلت وما انكرك بسوء فقال انا صاحب الكتابين فانكببت عليه فقلت له يا اخى لقد غمنى امرك واقلقنى كتمانك لنفسك ووهبت لك طلبتك و مائة دينار فقال بارك الله لك انما اتيتك مستحلا من نظر كنت انظره على غير حكم الكتاب والسنة فقلت غفر الله لك وللجارية فسر معى الى منزلى لاسلمها اليك ومائة دينار ومثلها فى كل سنة فقال لا حاجة لى بذلك فالححت عليه فلم يفعل فقلت له اما اذا ابيت فعرفنى من هى من جوارى لا كرمها من اجلك ما حييت فقال ما كنت لاسميها لاحد وودعنى وانصرف وكان آخر العهد به اهـ وعدنا الى الكلام على ما وقع فى زمان عبد الملك بن مروان

روی انه لما ولی الحجاج الحرمین الشریفین حظی عنده ابراهیم بن محمد بن طلحة فلما اراد الحجاج الرجوع الی الشام الی عبد الملك بن مروان وقد معه ابراهیم ابن محمد بن طلحة وقال اتیتك برجل الحجاز فی الشرف والابوة والفضل والمروة یا امیر المؤمنین مع ما هو علیه من حسن الطاعة وجمیل المناصحة والله لم یکن فی الحجاز له نظیر فبالله علیك یا امیر المؤمنین الا فعلت معه من الخیر ما هو مستحقه فقال عبد الملك من هو یا ابا محمد قال له ابراهیم بن محمد بن طلحة قال یا ابا محمد لقد ذکرتنا بحق واجب ائذن له فی الدخول فلما دخل علی عبد الملك امر بجلوسه فی صدر المجلس ثم قال ان ابا محمد الحجاج ذکر لنا ما نعرفه من کمال مروتك وحسن نصیحتك فلا تدع فی صدرك حاجة الا اعلمتنا بها حتی نقضیها لك ولا نضیع شکر ابی محمد الحجاج فیك قال ابراهیم ان الحاجة التی ابتغی بها وجه الله تعالی والتقرب الی النبی صلی الله علیه وسلم فی القیامة ونصیحة امیر المؤمنین فانا ابدیها یا امیر المؤمنین قال قل قال لا اقولها وبینی وبینك ثالث قال ولا اصد یقك الحجاج قال لا قال قم فقام خجلا وهو لا یعرف این تطأ رجله فلما مضی قال لی هات نصیحتك فقال ابراهیم یا امیر المؤمنین ولیت الحجاج الحرمین الشریفین وفیهما من تعرف من اولاد المهاجرین والانصار وصحابة رسول الله صلی الله علیه وسلم مع ما تعلم من ظلمه وعسفه وجوره وبعده عن الحق وقربه الی الباطل یسومهم الخسف ویطؤهم بالعسف فلیت شعری ای جواب اعددته لرسول الله صلی الله علیه وسلم اذا سألك فی عرصات القیامة عن ذلك فبالله علیك یا امیر المؤمنین الا عزلته وادخرتها قربة الی الله تعالی فقال عبد الملك لقد ظن الحجاج الخیر بغیر اهله ثم قال یا ابراهیم قم فقمت علی اخسر حال وخرجت من المجلس وقد اسودت الدنیا فی وجهی فتبعنی حاجبه وقبض علی ردی وجلس بی فی الدهلیز ثم دعا عبد الملك بالحجاج فدخل فمکث طویلا فما شککت الا انهما یتشاوران فی قتلی ثم دعانی فقمت ودخلت

فوافاني الحجاج خارجا فعانقني وقال جزاك الله عني خيرا في هذه النصيحة اما والله لئن عشت لارفعن قدرك وتركني وخرج ودخلت وانا اقول يهزأ بي وهو معذور فدخلت على عبد الملك فاجلسني مجلسي الاول ثم قال لي قد علمت صدقك وقد عزلته عن الحرمين وولية العراق واعلمته انك استقللت له الحجاز واستدعيت له العراق وانك تطلب له الزيادة في الاعمال وهو يظن انك السبب في توليته العراق وقد تهلل وجهه فرحا لذلك فسر معه اينما توجه يولك خيرا ولا تقطع نصيحتك عنا والله اعلم وفي مروج الذهب للمسعودي وشرح السيرة وغيرهما ان ام الحجاج بن يوسف وهي الفارعة بنت همام ولدته مشوها لا دبر له فنقب دبره وابى ان يقبل ثدي امه او غيرها فاعياهم امره فيقال ان الشيطان تصور لهم في صورة الحارث ابن كلدة فقال ما خبركم فقالوا ولد ليوسف الثقفي من الفارعة ولد وقد ابى ان يقبل ثدي امه فقال اذبحوا له تيسا اسود واولغوه دمه ثم اذبحوا له اسود سالخ واولغوه من دمه واطلوا به وجهه ثلاثة ايام ففعلوا فقبل الثدي في اليوم الرابع فكان لا يصبر عن سفك الدم وارتكاب امور لا يقدر عليها غيره انتهى من حياة الحيوان في حرف التاء وحكي ان الحجاج انفرد يوما من عسكره فلقي اعرابيا فقال له يا وجه العرب كيف الحجاج فقال ظالم غاشم قال هلا شكوته الى عبد الملك بن مروان قال اظلم واغشم عليهما لعنة الله فبينما هو كذلك اذ تلاحقت به عساكره فعلم الاعرابي انه الحجاج فقال الاعرابي ايها الامير السر الذي بيني وبينك لا يطلع عليه احد الا الله فتبسم الحجاج واحسن اليه وانصرف وذكر اهل التواريخ ان الحجاج بن يوسف الثقفي سهر ليلة وعنده جماعة منهم خالد بن عرفطة فقال يا خالد اشتهي بمحدث من المسجد والناس اذ ذاك يطلبون المقام في المسجد فانتهى الى شاب قائم يصلي فجلس حتى سلم ثم قال اجب الامير قال ابعثك الامير الي قاصدا قال نعم فمضى معه حتى انتهى الى الباب فقال له خالد كيف انت ومحادثة الامير قال سيجدني كما يحب ان شاء الله تعالى فلما دخل عليه قال له الحجاج هل قرأت القرآن قال نعم وقد حفظته قال فهل

تروى شيئا من الشعر قال ما من شاعر الا وارى عنه قال فهل تعرف من انساب
العرب ووقائعها قال لا يذهب عنى شئ من ذلك فلم يزل يحدثه بكل ما احب
حتى اذا هم بالانصراف قال يا خالدامر للفتى ببرذون وغلام ووصيفة واربعة
آلاف درهم فقال الفتى اصلح الله الامير بقى من حديثى اظرفه واعجبه فعاد الحجاج
الى مجلسه وقال حدثنى فقال اصلح الله الامير هلك والدى وانا طفل صغير
فنشأت فى حجر عمى وله ابنة بسنى وكان فى الصبا من التصابى وما كنا فيه اعجوبة
حتى اذا بلغت وبلغت تنافس الخطاب فيها وبذلوا فيها اموالا لجمالها وكمالها فلما
رايت ذلك خامرنى السقم وضنيت ورميت على الفراش ثم عمدت الى خابية عظيمة
فملأتها رملا وحصى واقترت راسها ودفنتها تحت فراشى فلما تم على ذلك ايام بعثت
الى عمى فقلت يا عم انى كنت اريد اسافر فوقعت على مال عظيم وخفت ان اموت
ولا يعلم احد فان حدث بى امر فاخرجه واعتق عنى عشر نسمات واحجج عنى عشر
حجج وجهز عنى عشر رجال يجبو لهم واسلحتهم وتصدق عنى بالف دينار ولا تبل
يا عم فان المال كثير فلما سمع عمى مقالتى انى امرأته فاخبرها بقولى فما كان باسرع
من ان اقبلت بجواريها حتى دخلت على فوضعت يدها على راسى ثم قالت والله
يا ابن اخى ما علمت بسقمك وما حل بك حتى اخبرنى ابو فلان الساعة واقبلت بالطف
وتعالجنى بالادوية وحملت لى لطائف وردت الخطاب عن ابنتها فلما رايت ذلك
تحاملت ثم بعثت الى عمى فقلت يا عمى ان الله عز وجل قد احسن الى وعافانى فابتغ
لى جارية من خصالها وكمالها وجمالها كيت وكيت ولا يسالونك شيئا الا اعطيته
فقال يا ابن اخى ما يمنعك من ابنة عمك فقلت هى من اعز خلق الله تعالى على غير انى
قد خطبتها قبل ذلك فامتنعت قال كلا ان الامتناع كان من قبل امها وهى الآن قد
سمحت ورضيت بذلك قلت شأنك فرجع الى امرأته فاخبرها بقولى فجمعت عشيرتها
فزوجونى اياها فقلت عجل على بابنة عمى كيف شئت ثم اريك الخابية فاهديت
الى ولم تدع شيئا يصنع باشراف النساء الا فعلته ثم زفت ابنتها على واحضرتها بكل ما

وجدت اليه سبيلا واخذ عمى متاعا من التجار بعشرة آلاف درهم وكان يأتينا
فى كل صباح من قبل ابويها الطائف وتحف مدة فلما كان بعد ذلك بايام اتانى
عمى وقال يا ابن اخى انا قد اخذنا من التجار متاعا بعشرة آلاف درهم وليسوا
صابرين على حبس الثمن قلت شأنك والخابية فمر مسرعا حتى جآء بالرجال و
الحبال فاستخرجها وحملها ومر مسرعا بها الى منزله فلما بلعها كان فيها ما
عملت فما كان باسرع من ان جآءت امها بجواريها فلم تدع فى منزلى كثيرا ولا
قليلا الا حملته فبقيت مهانا على الارض وجفتنا كل الجفاء فهذا حالى اصلح الله
الامير فانا من خجلى وضيق صدرى آوى الى المساجد فقال الحجاج ياخادم
للفتى بثياب ديباج وفرس ارمنية وجارية وبرذون وغلام وعشرة آلاف درهم
وقال يافتى اغد الى خالد غدا حتى تستوفى منه المال فخرج الفتى من عند الحجاج
قال فلما انتهيت الى باب دارى سمعت ابنة عمى تقول ليت شعرى ما ابطأ ابن عمى
اقتل ام مات ام عرض له سبع قال فدخلت عليها وقلت يا ابنة عمى ابشرى وقرى
عينا فانى دخلت على الحجاج فكان من القصة كيت وكيت وحكيت لها ما كان من امرى
فلما سمعت الفتاة مقالتى لطمت وجهها وصاحت فسمع ابوها وامها واخوتها
صراخها فدخلوا عليها وقالوا لها ما شأنك فقالت لابيها لا وصل الله رحمك ولا
جزاك عنى وعن ابن اخيك خيرا الجفيته وضيعته حتى اصابته الخفة وذهب عقله
اسمع مقالته فقال العم يا ابن اخى ما حالك فقلت والله ما بى من باس الا انى دخلت
على الحجاج وذكر له من امره ما كان وانه امر له بمال جزيل فقال العم لما سمع مقالته
هذه مرة صفراء ثائرة فباتوا يحرسونه تلك الليلة فلما اصبحوا بعثوا الى المعالج
فجعل يعالجه ويسعطه مرة ويمهله اخرى فيقول الفتى والله ما بى من بأس وانما
ادخلت على الحجاج فكان كيت وكيت فلما رأى الفتى ان ذكر الحجاج لا يزيده الا بلاء
كف عنه وعن ذكره ثم قال له ما تقول فى الحجاج قال ما رأيته ثم خرج المعالج فقال
لهم قد ذهب عنه الاذى ولكن لا تعجلوا الحل قيده فبقى الفتى مقيدا مغلولا فلما كان

بعد ايام ذكره الحجاج فقال يا خالد ما فعل بالفتى فقال اصلح الله الامير ما رايته منذ خرج من حضرة الامير قال فابعث اليه احدا قال فبعث اليه خالد حرسيا فمر الحرسي على عم الفتى فقال له ما فعل ابن اخيك فان الحجاج يطلبه قال ان ابن اخي لفي شغل عن الحجاج قد ابتلي ببلاء في عقله قال لا ادري ما تقول لا بد من الذهاب به الساعة فدخل عليه العم فقال يا ابن اخي ان الحجاج قد بعث في طلبك افاحلت قال لا الا بين يديه فحمل في قيوده وغله على ظهور الرجال حتى ادخل على الحجاج فلما نظره من بعد جعل يرحب به حتى انتهى اليه فكشف قيده وغله وقال اصلح الله الامير ان آخر امري اعجب من اوله وحدثه بحديثه فعجب الحجاج وقال يا خالد اضعف للفتى ما كنا قد امرنا له فقبض المال جميعه وحسن حاله ولم يزل مسامرا للحجاج حتى مات انتهى وحضر اعرابي عند الحجاج فقدم الطعام فاكل الناس منه ثم قدمت الحلوى فترك الحجاج الاعرابي حتى اكل منها لقمة ثم قال من اكل من الحلوى ضربت عنقه فامتنع الناس من اكلها وبقي الاعرابي ينظر الى الحجاج مرة والى الحلوى مرة ثم قال ايها الامير اوصيك باولادي خيرا ثم اندفع ياكل فضحك الحجاج حتى استلقى على قفاه وامر له بصلة وحكي ان الحجاج امر صاحب حراسته ان يطوف بالليل فمن وجده بعد العشاء ضرب عنقه فطاف ليلة فوجد ثلاث صبيان يتمايلون وعليهم اثر الشراب فاحاط بهم وقال لهم من انتم حتى خالفتم الامير فقال الاول

انا ابن من دانت الرقاب له ... ما بين مخزومها وهاشمها
تأتي اليه الرقاب صاغرة ... ياخذ من مالها ومن دمها

فامسك عن قتله وقال لعله من اقارب امير المؤمنين وقال الثاني

انا ابن الذي لا ينزل الدهر قدره ... وان نزلت يوما فسوف تعود
ترى الناس افواجا الى ضوء ناره ... فمنهم قيام حولها وقعود

فامسك عن قتله وقال لعله من اشراف العرب وقال الثالث

انا ابن الذی خاض الصفوف بعزمه	وقومها بالسیف حتی استقامت
وكا باه لا تنفك رجلاه منهما	اذا الخيل فی يوم الكريهة ولت

فاسئل عن قتله وقال لعله من شجعان العرب فلما اصبح رفع امرهم الى الحجاج فاحضرهم وكشف عن حالهم فاذا الاول ابن حجام والثانی ابن فوال والثالث ابن حائك فتعجب الحجاج من فصاحتهم وقال لجلسائه علموا اولادكم الادب فوالله لولا الفصاحة لضربت اعناقهم ثم اطلقهم وانشد

كن ابن من شئت واكتسب ادبا	يغنيك محموده عن النسب
ان الفتى من يقول ها انا ذا	ليس الفتى من يقول كان ابی

وقيل امر الحجاج بقتل اسرى فقتل منهم جماعة فقال رجل منهم وقد عرض للقتل يا حجاج ان كنا اسأنا فی الذنب فما احسنت فی العفو والله تعالی يقول فاذا لقيتم الذين كفروا فضرب الرقاب حتى اذا اثخنتموهم فشدوا الوثاق فاما منا بعد واما فداء فهذا قول الله فی الكفار فكيف بالمسلمين

وقد قال الشاعر

وما نقتل الاسرى ولكن نفكهم	اذا اثقل الاعناق حمل الغلائل

فقال الحجاج اف لهؤلاء الجيف والله لو قال هؤلاء مثل ما قال هذا الرجل ماقتلت منهم احدا ولكن اطلقوا بقيتهم قال الراوی ولما ولی الحجاج العراق قال علی بالمرأة الحرورية فلما حضرت قال لها كنت بالامس فی وقعة ابن الزبير تحرضين الناس علی قتل رجالی ونهب اموالی قالت نعم قد كان ذلك يا حجاج فالتفت الحجاج الی وزرائه وقال ما ترون فی امرها فقالوا عجل بقتلها فضحكت المرأة فاغتاظ الحجاج وقال ما اضحكك قالت وزراء اخيك فرعون خير من وزرائك هؤلاء قال وكيف ذلك قالت لانه استشارهم فی موسی فقالوا ارجه واخاه ای انظره الی وقت آخر وهؤلاء يسئلونك تعجيل قتلی فضحك الحجاج وامر لها بعطاء واطلقها وحكی ان هند بنت

النعمان كانت احسن نساء زمانها فوصف للحجاج حسنها فخطبها وبذل لها مالا جزيلا وتزوج بها وشرط لها عليه بعد الصداق مائتي الف درهم ودخل بها ثم انها انحدرت معه الى بلد ابيها المعرة وكانت هند فصيحة اديبة فاقام بها الحجاج بالمعرة مدة طويلة ثم ان الحجاج رحل بها الى العراق فاقامت معه ما شاء الله ثم دخل عليها في بعض الايام وهي تنظر في المرآة وتقول

وما هند الا مهرة عربية		سلالة افراس تحللها بغل
فان ولدت فحلا فلله درها		وان ولدت بغلا فجاء به البغل

فلما سمع الحجاج كلامها انصرف راجعا ولم يدخل عليها ولم تكن علمت به فاراد الحجاج طلاقها فانفذ اليها عبد الله بن طاهر وانفذ لها معه مائتي الف درهم وهي التي كانت لها عليه وقال يا ابن طاهر طلقها بكلمتين ولا تزد عليهما فدخل عبد الله بن طاهر عليها فقال لها يقول لك ابو محمد الحجاج كنت فبنت وهذه المائتا الف درهم التي كانت لك قبله فقالت اعلم يا ابن طاهر انا والله كنا فما حمدنا وبنا فما ندمنا وهذه المائتا الف درهم هي لك بشارتك بخلاصي من كلب ثقيف ثم بعد ذلك بلغ امير المؤمنين عبد الملك بن مروان خبرها ووصف له جمالها فارسل اليها يخطبها لنفسه فارسلت اليه كتابا تقول فيه بعد الثناء عليه اعلم يا امير المؤمنين ان الكلب ولغ في الاناء فلما قرا عبد الملك بن مروان الكتاب ضحك من قولها وكتب اليها يقول اذا ولغ الكلب في اناء احدكم فليغسله سبعا احداهن بالتراب فغسل الاناء يحل الاستعمال فلما قرأت كتاب امير المؤمنين لم يمكنها المخالفة فكتبت اليه تقول بعد الثناء عليه اعلم يا امير المؤمنين اني لا اجري العقد الا بشرط فان قلت ما الشرط اقول ان يقود الحجاج محملي من المعرة الى بلدك التي انت فيها ويكون ماشيا حافيا بحليته التي كان فيها اولا فلما قرأ ذلك الكتاب عبد الملك ضحك ضحكا شديدا وارسل الى الحجاج يأمره بذلك فلما قرأ الحجاج رسالة امير المؤمنين اجاب ولم يخالف وامتثل الامر وارسل الحجاج الى هند يأمرها بالتجهز فتجهزت وسار الحجاج في موكبه حتى وصل المعرة

بلد هند فركبت هند فى محمل وركب حولها جواريها وخدمها فترحل الحجاج وهوحاف واخذ بزمام البعير يقوده ويسير بها فاخذت تهزأ عليه وتضحك مع الهيفاء دايتها ثم انها قالت لدايتها يا دايتي اكشفي لي ستارة المحمل لنشم رائحة النسيم فكشفته فوقع وجهها فى وجهه فضحكت عليه فانشد يقول

فان تضحكي يا هند يا طول ليلة	تركتك فيها كالقباء المفرج

فاجابته تقول

وما نبالي اذا ارواحنا سلمت	بما فقدناه من مال ومن نشب
فالمال مكتسب والعز مرتجع	اذ النفوس وقاها الله من عطب

ولم تزل تلعب وتضحك الى ان قربت من بلد الخليفة فلما قربت من البلد رمت من يدها دينارا على الارض وقالت يا جمال انه سقط منا درهم فادفعه الينا فنظر الحجاج الى الارض فلم ير الا دينارا فقال انما هو دينار فقالت بل درهم قال بل دينار فقالت الحمد لله سقط منا درهم فعوضنا الله دينارا فخجل الحجاج وسكت ولم يرد جوابا ثم دخل بها على عبد الملك بن مروان فتزوج بها وكان من امرها ما كان اذكر فى حياة الحيوان قال عون بن ابى شداد العبدي بلغني ان الحجاج بن يوسف لما ذكر له سعيد بن جبير ارسل قائدا من الشام يسمى المتلمس بن الاحوص ومعه عشرون رجلا فبينما هم يطلبونه اذا هم براهب في صومعة له فسألوه عنه فقال الراهب صفوه لي فوصفوه فدلهم عليه فانطلقوا فوجدوه ساجدا يناجي ربه بأعلى صوته فدنوا منه فسلموا عليه فرفع رأسه فاتم بقية صلوته ثم رد عليهم السلام فقالوا له ارسل الحجاج اليك فاجبه قال ولا بد من الاجابة قالوا لا بد فحمد الله واثنى عليه وصلى على نبيه صلى الله عليه وسلم ثم قام فمشى معهم حتى انتهى الى دير الراهب فقال الراهب يا معشر الفرسان اصبتم صاحبكم قالوا نعم قال اصعدوا الى الدير فان الاسد واللبوة يأويان الدير فعجلوا الدخول قبل المساء ففعلوا ذلك وابى سعيد ان يدخل الدير فقالوا

ما تراك الا تريد الهرب قال لا ولكن لا ادخل منزل مشرك ابدا قالوا فانا لا ندعك فان
السباع تقتلك قال سعيد ان معي ربي يصرفها عني ويجعلها حرسا لي من كل سوء
ان شاء الله تعالى قالوا افانت نبي من الانبياء قال ما انا من الانبياء ولكن عبد
من عبيد الله خاطئ مذنب قالوا احلف لنا انك لا تبرح فحلف لهم فقال لهم الراهب
اصعدوا الدير واوتروا القسي لتنفروا السباع عن هذا العبد الصالح فانه كره الدخول
علي في الصومعة لمكانكم فدخلوا واوتروا القسي فاذا هم بلبوة قد اقبلت فلما دنت من
سعيد تحككت به وتمسحت به ثم ربضت قريبا منه واقبل الاسد فصنع مثل
ذلك فلما رأى الراهب ذلك واصبحوا نزل اليه وساله عن شرائع الاسلام وسنن
رسول الله صلى الله عليه وسلم ففسر سعيد ذلك كله فاسلم الراهب وحسن اسلامه
واقبل القوم على سعيد يعتذرون اليه ويقبلون يديه ورجليه ويأخذون التراب
الذي وطئه بالليل وصلوا عليه وقالوا يا سعيد حلفنا للحجاج بالطلاق والعتاق
ان نحن رايناك لا ندعك حتى نشخصك اليه فمرنا بما شئت قال امضوا لشأنكم فانه
لابد من الرجوع لخالقي ولا راد لقضائه فساروا حتى وصلوا واسط فلما انتهوا قال
لهم سعيد يا معشر القوم قد تحرمت بكم وصحبتكم ولست اشك ان اجلي قد
حضر وان المدة قد انقضت فدعوني الليلة آخذ اهبة الموت واستعد لمنكر و
نكير واذكر عذاب القبر وما يحثى علي من التراب فاذا اصبحتم فالميعاد بيني وبينكم
المكان الذي تريدون فقالوا لبعضهم لا تريد اثرا بعد عين قال بعضهم قد بلغتم
امنيتكم واستوجبتم جوائزكم من الامير فلا تعجزوا عنه فقال بعضهم هو علي ادفعه
اليكم ان شاء الله فنظروا الى سعيد فدمعت عيناه واغبر لونه ولم ياكل ولم يشرب
ولم يضحك منذ لقوه فقالوا باجمعهم يا خير اهل الارض ليتنا لم نعرفك ولم نرسل
اليك الويل لنا كيف ابتلينا بما عذرنا عند خالقنا يوم الحشر الاكبر والمجاوبة له قال
كفيله اسألك يا سعيد بالله الا ما زودتنا من دعائك وكلامك فانا لا نلقى مثلك ابدا
فدعا لهم سعيد ثم خلوا سبيله فغسل رأسه ومدرعته وكساءه وهم مختفون الليل كله

فلما

فلما انكشف عمود الصبح جاءهم سعيد بن جبير فقرع الباب فقالوا صاحبكم ورب الكعبة فنزلوا اليه وبكوا معه طويلا ثم ذهبوا به الى الحجاج فدخل عليه المتلمس فسلم عليه وبشره بقدوم سعيد بن جبير فلما مثل بين يديه قال له ما اسمك قال سعيد بن جبير قال انت شقي ابن كسير قال بل امي كانت اعلم باسمي منك قال شقيت انت وشقيت امك قال الغيب يعلمه غيرك قال لابدلنك بالدنيا نارا قال لو علمت ان ذلك بيدك لاتخذتك الها قال فما قولك في محمد قال نبي الرحمة قال فما قولك في علي افي الجنة ام في النار قال لو دخلتها وعرفت اهلها ما عرفت من فيهما قال فما قولك في الخلفاء قال لست عليهم بوكيل قال فايهم احب اليك قال ارضاهم لخالقي قال فايهم ارضى للخالق قال علم ذلك عند الذي يعلم سرهم ونجواهم قال فما بالك لا تضحك قال ايضحك مخلوق خلق من الطين والطين تأكله النار قال فما بالنا نضحك قال لم تستوا القلوب قال ثم امر الحجاج باللؤلؤ والزبرجد والياقوت فوضعه بين يديه فقال سعيد ان كنت جمعت هذا لتفتدي به من فزع يوم القيمة فصالح والا ففزعة واحدة تذهل كل مرضعة عما ارضعت ولا خير في شيء جمع للدنيا الا ما طاب وزكا ثم دعا الحجاج بآلات اللهو فبكى سعيد فقال الحجاج ويلك يا سعيد اختر اي قتلة تريد ان اقتلك قال اختر لنفسك يا حجاج فوالله لا تقتلني قتلة الا قتلك الله مثلها في الآخرة قال افتريد ان اعفو عنك قال ان كان العفو من الله بلى واما انت فلا قال اذهبوا به فاقتلوه فلما خرج من الباب ضحك فاخبر الحجاج بذلك فامر برده وقال له ما اضحكك قال عجبت من جراءتك على الله وحلم الله عليك فامر بالنطع فبسط بين يديه وقال اقتلوه قال وجهت وجهي للذي فطر السموات والارض حنيفا وما انا من المشركين قال وجهوه لغير القبلة قال سعيد فاينما تولوا فثم وجه الله قال كبوه لوجهه فقال سعيد منها خلقناكم وفيها نعيدكم ومنها نخرجكم تارة اخرى فقال الحجاج اذبحوه فقال سعيد اشهد ان لا اله الا الله واشهد ان محمدا عبده ورسوله اللهم لا تسلطه على احد يقتله بعدي فذبح

على النطع رحمه الله فكانت رأسه بعد قطعها تقول لا اله الا الله وعاش الحجاج
بعدها خمسة عشر يوما وذلك فى سنة خمس وتسعين وكان عمر سعيد رضى الله
عنه تسعا و اربعين سنة والله اعلم

خلافة الوليد بن عبد الملك بن مروان

كان يختم القرآن فى ثلاث وكان يختم فى رمضان سبع عشرة ختمة قال ابراهيم
بن علية كان يعطينى اكياس الدنانير اقسمها فى الصالحين وكان يقول لولا ان
الله عز وجل ذكر اللواط فى كتابه العزيز ما ظننت ان احدا يفعله قال الحافظ ابن عساكر
كان الوليد عند اهل الشام من افضل خلفائهم بنى المسجد بدمشق وفرض
للمجذومين ما يكفيهم وقال لا تسألوا الناس واعطى كل مقعد خادما وكل
اعمى قائدا وذكر ان جملة ما انفق على بناء المسجد الاموى اربعمائة صندوق
فى كل صندوق ثمانية وعشرون الف دينار وكان فيه ستمائة سلسلة
ذهب للقناديل وما كمل بناءه الا اخوه سليمان لما ولى الخلافة وفعل خيرات
كثيرة وآثارا حسنة وبعد هذا كله فقد روى ان عمر بن عبد العزيز رضى الله
عنه قال لما ادرج فى اكفانه غلت يداه الى عنقه نسأل الله العفو والعافية فى
الدنيا والآخرة ونسأله حسن الخاتمة انتهى من حياة الحيوان

خلافة سليمان بن عبد الملك بن مروان

فمما يذكر من محاسنه ان رجلا دخل عليه فقال يا امير المؤمنين انشدك الله والاذان
فقال سليمان اما انشدك الله فقد عرفناه فما الاذان قال قوله تعالى فاذن
مؤذن بينهم ان لعنة الله على الظالمين فقال سليمان ما ظلامتك قال ضيعتى
الفلانية غلبنى عليها عامل فلان فنزل سليمان عن سريره ورفع البساط ووضع
خده على الارض وقال والله لا ارفعت خدى من الارض حتى يكتب له برد ضيعته
فكتب الكتاب وهو واضع خده على الارض لما سمع كلام ربه الذى خلقه وخوله
فى نعمه تخشى من لعن الله وطرده رحمه الله قيل انه اطلق من سجن الحجاج ثلثمائة

الف نفس ما بين رجل وامرأة وصادر آل الحجاج واتخذ ابن عمه عمر بن عبد العزيز
وزيرا ومشيرا وكان شرها فى الاكل نكاحا قال ابن خلكان فى ترجمته انه كان
ياكل كل يوم نحو مائة رطل شامى قال محمد بن سيرين رحمه الله سليمان افتتح خلافته
بخير وختمها بخير افتتحها باقامة الصلاة لمواقيتها الاولى وختمها باستخلافه لعمر بن
عبد العزيز رضى الله عنه وقال ابو سويد حدثنى ابو زيد الاسدى قال دخلت
على سليمان بن عبد الملك وهو جالس فى ايوان مبلط بالرخام الاحمر مفروش بالديباج
الاخضر فى وسط بستان ملتف قد اثمر واينع وعلى رأسه وصائف كل واحدة منهن
احسن من صاحبتها وقد غابت الشمس وغنت الاطيار فتجاوبت وصفقت الرياح
على الاشجار وتمايلت فقلت السلام عليك ايها الامير ورحمة الله وبركاته وكان
مطرقا فرفع رأسه وقال يا ابا زيد فى مثل هذا الحين تصابحنا فقلت اصلح الله
الامير او قامت القيامة قال نعم على اهل المحبة ثم اطرق مليا ورفع رأسه وقال يا ابا زيد
ما يطيب فى يومنا هذا قلت اعز الله الامير قهوة حمراء فى زجاجة بيضاء تناولها
غادة هيفاء ملفوفة لفاء اشربها من كفها وامسح فمى بخدها فاطرق سليمان مليا
لا يرد جوابا تتحدر من عينيه عبرات بلا شهيق فلما رأين الوصائف ذلك تنحين عنه
ثم رفع رأسه فقال يا ابا زيد حضرت فى يوم انقضاء اجلك ومنتهى مدتك وتصرم
عمرك والله لاضربن عنقك او لتخبرنى ما اثار هذه الصفة من قلبك قلت نعم
ايها الامير كنت جالسا على باب اخيك سعيد بن عبد الملك فاذا انا بجارية قد خرجت
من باب القصر كانها غزال انفلتت من شبكة صياد عليها قميص سكب اسكندرانى
يبين منها بياض ثديها وتدوير سرتها ونقش تكتها وفى رجليها نعلان صراران قد
اشرق بياض قدميها على حمرة نعليها بذوائبين تضرب حقويها ولها صدغان كانهما
نونان وحاجبان قد تقوسا على محاجر عينيها وعينان مملوءتان سحرا وانف كانه
قصبة بلور وفم كانه جرح يقطر دما وهى تقول عباد الله من لى بدواء من لا يسلى
وعلاج من لا يسمى طال الحجاب وابطأ الجواب فالقلب طائر والعقل عازب والنفس

والهة والفؤاد مختلس والنوم مختلس رحمة الله على قوم عاشوا تجلدا وماتوا كمدا ولو كان الى الصبر حيلة والى العزاء سبيل لكان امرا جميلا ثم اطرقت مليا ورفعت رأسها فقلت ايتها الجارية انسية انت ام جنية سماوية اما رضية فقد اعجبني ذكاء عقلك واذهلني حسن منطقك فسترت وجهها بكمها كانها لم ترني ثم قالت اعذر ايها المتكلم فما اوحش الساعد بلا مساعد والمقاساة لصب معاند ثم انصرفت فوالله اصلح الله الامير ما اكلت طيبا الا غصصت به لذكرها وما رايت حسنا الا سمج في عيني لحسنها فقال سليمان يا ابا زيد كاد الجهل يستفزني والصبا يعاودني والحلم يعزب عني لشجو ما سمعت اعلم يا ابا زيد ان تلك الجارية التي رايتها هي الذلفاء التي قيل فيها

كانما الذلفاء ياقوتة ... اخرجت من كيس دهقان

شراؤها على اخي الف درهم وهي عاشقة لمن باعها والله انه مات انما يموت بحبها ولا يدخل القبر الا بعضها وفي الصبر سلوة وفي توقع الموت هيبة قم يا ابا زيد في دعة الله يا غلام ثقله ببدرة فاخذتها وانصرفت قال فلما افضت الخلافة له صارت اليه الذلفاء فامر بفسطاط فاخرج على دهناء الغوطة وضرب في روضة خضراء مونقة زهراء ذات حدائق بهجة تحتها انواع الزهر من اصفر فاقع واحمر ساطع وابيض ناصع وكان لسليمان مغن يقال له سنان كان به يأنس واليه يسكن فامره ان يضرب فسطاطه بالقرب منه وكانت الذلفاء قد خرجت مع سليمان الى ذلك المتنزه فلم يزل في اكل وشرب وسرور تم حبور الى ان انصرف شيء من الليل فذهب الى فسطاطه وذهب سنان ايضا فنزل اليه جماعة من اخوانه فقالوا له نريد قرى اصلحك الله قال وما قراكم قالوا اكل وشرب وسماع قال اما الاكل والشرب فمباحان لكم واما السماع فقد عرفتم غيرة امير المؤمنين ونهيه الا ما كان في مجلسه قالوا لا حاجة لنا بطعامك وشرابك ان لم تسمعنا قال فاختاروا صوتا واحدا اغنيكموه قالوا غننا بصوت كذا وكذا قال فشرع يتغنى بهذه الابيات

مجحوبة سمعت صوتي فارقها من آخر الليل لما نبه السحر
في ليلة البدر ما يدري مضاجعها اوجهها عنده ام عنده القمر
لم يحجب الصوب احراس ولا غلق فدمعها الطرق الصوت ينحدر
لو مكنت لمشت نحوي على قدم وكاد من لينها المشي ينفطر

قال فسمعت الذلفاء صوت سنان فخرجت الى صحن الفسطاط فجعلت لا تسمع شيئا من حسن خلق ولطافة الالات ذلك كله في نفسها وهيئتها فحرك ذلك ساكنا من قلبها فهملت عيناها وعلا نحيبها فانتبه سليمان فلم يجدها معه فخرج الى صحن الفسطاط فرآها على تلك الحالة فقال ماهذا يا ذلفاء فقالت

الا رب شخص رائع ومشوه تهيج الحيا واصح الاب والجد
يروحك منه صوته ولعله الى امة يعزى معا والى عبد

فقال سليمان دعيني من هذه الحال فوالله لقد خامر قلبك منه يا غلام على بسنان فدعت الذلفاء خادما لها وقالت له ان سبقت رسول امير المؤمنين الى سنان فحذرته فلك عشرة آلاف درهم وانت حر لوجه الله تعالى فخرج الرسولان فسبق رسول امير المؤمنين فلما اتى به قال يا سنان الم انهك عن مثل هذا قال يا امير المؤمنين حملني الشمول وانا عبد امير المؤمنين وغرس نعمته فان رأى امير المؤمنين ان يعفو عني فليفعل قال قد عفوت عنك ولكن اما علمت ان الفرس اذا صهل تودقت له الحجرة وان الفحل اذا هدر ضبعت له الناقة وان الرجل اذا تغنى صغت اليه المرأة واياك والعود الى ماكان منك فيطول غمك انتهى وقيل كان في ايام سليمان رجل يقال له خزيمة بن بشر من بني اسد كانت له مروءة ظاهرة ونعمة حسنة وفضل وبر بالاخوان فلم يزل على تلك الحالة حتى قعد به الدهر فاحتاج الى اخوانه الذين كان يتفضل عليهم وكانوا يواسيهم فواسوه حينا ثم ملوه فلما لاح له تغيرهم اتى امرأته وكانت ابنة عمه فقال لها يا ابنة عمي قد رايت من اخواني تغيرا وقد عزمت على ان الزم بيتي الى

ان يأتيني الموت فاغلق بابه واقام يتقوت بما عنده حتى نفد وبقي حائرا
وكان يعرفه عكرمة الفياض الربعي متولي الجزيرة فبينما هو في مجلسه اذ ذكر خزيمة
ابن بشر فقال عكرمة الفياض ما حاله فقالوا انه قد صار الى امر لا يوصف وانه اغلق
بابه ولزم بيته وانما سمي بذلك لاجل كرمه فما وجد خزيمة بن بشر مواسيا
ولا مكافئا فقالوا لا فامسك عن الكلام ثم لما كان الليل عمد الى اربعة الاف
دينار فجعلها في كيس واحد ثم امر باسراج دابته وخرج سرا من اهله فركب
ومعه غلام من غلمانه يحمل المال ثم سار حتى وقف بباب خزيمة فاخذ الكيس
من الغلام ثم ابعده عنه وتقدم الى الباب فدفعه بنفسه فخرج اليه خزيمة
فناوله الكيس وقال اصلح بهذا شأنك فتناوله فرآه ثقيلا فوضعه عن يده ثم
امسك بلجام الدابة وقال له من انت جعلت فداك فقال له عكرمة يا هذا ما جئتك
في هذا الوقت والساعة واريد ان تعرفني قال فما اقبله الا ان عرفتني من انت
فقال انا جابر عثرات الكرام قال زدني قال لا ثم مضى ودخل خزيمة بالكيس الى
ابنة عمه فقال لها ابشري فقد اتى الله بالفرج والخير ولو كانت فلوسا فهي كثيرة
قومي فاسرجي قالت لا سبيل الى السراج فبات يلمسها بيده فيجد خشونة الدنانير
ولا يصدق واما عكرمة فانه رجع الى منزله فوجد امرأته فقدته وسألت عنه
فاخبرت بركوبه فانكرت ذلك وارتابت وقالت له والي الجزيرة يخرج بعد هدو
من الليل منفردا من غلمانه في سر من اهله الا الى زوجة او سرية فقال اعلمي انني
ما خرجت في واحدة منهما قالت فخبرني فيم خرجت قال يا هذه ما خرجت في هذا
الوقت وانا اريد ان يعلم بي احد قالت لا بد ان تخبرني قال فاكتميه اذن قالت فاني
افعل فاخبرها بالقصة على وجهها وما كان من قوله ورده عليه ثم قال اتحبين ان
احلف لك ايضا قالت لا فان قلبي قد سكن وركن الى ما ذكرت واما خزيمة فلما
اصبح صالح الغرماء واصلح ما كان من حاله ثم انه تجهز يريد سليمان بن عبد الملك
وكان نازلا يومئذ بفلسطين فلما وقف ببابه واستأذن دخل الحاجب فاخبره

بمكانه

بمكانه وكان مشهورا بمروته وكرمه وكان سليمان به عارفا فاذن له فلما دخل سلم
عليه بالخلافة فقال له سليمان بن عبد الملك يا خزيمة ما ابطاك عنا قال سوء الحال
قال فما منعك من النهضة الينا قال ضعفي يا امير المؤمنين قال فبم نهضت الينا الآن
قال لم اعلم يا امير المؤمنين الا اني بعد هدو من الليل لم اشعر الا و رجل يطرق
الباب وكان من امره كيت وكيت واخبره بقصته من اولها الى آخرها فقال سليمان
هل تعرف الرجل فقال خزيمة ما عرفته يا امير المؤمنين وذلك انه كان متنكرا وما
سمعت من لفظه الا اني جابر عثرات الكرام قال فتلهب وتلهف سليمان بن عبد
الملك على معرفته وقال لو عرفناه لكافأناه على مروته ثم قال علي بقناة فاتي بها
فعقد لخزيمة بن بشر المذكور على الجزيرة عاملا عوضا عن عكرمة الفياض فخرج
خزيمة طالب الجزيرة فلما اقترب منها خرج عكرمة واهل البلد للقائه فسلما على
بعضهما بعضا ثم سار جميعا الى ان دخلا البلد فنزل خزيمة في دار الامارة و
امر ان يؤخذ لعكرمة كفيل وان يحاسب فحوسب فوجد عليه فضول اموال كثيرة
فطالبه باداءها قال ما لي الى شيء من سبيل قال لا بد منها قال ليست عندي
فاصنع ما انت صانع فامر به الى الحبس ثم انفذ اليه من يطالبه فارسل يقول
اني لست ممن يصون ماله بعرضه فاصنع ما شئت فامر ان يكبل بالحديد فاقام
شهرا اكثر من ذلك او اكثر فاضناه ذلك فاضر به وبلغ ابنة عمه خبره فجزعت واغتمت
لذلك ثم دعت مولاة لها وكانت ذا عقل ومعرفة وقالت لها امضي الساعة الى
باب هذا الامير خزيمة بن بشر وقولي عندي نصيحة فاذا طلبت منك فقولي
لا اقولها الا للامير خزيمة بن بشر فاذا دخلت عليه فسليه ان يخليك فاذا فعل ذلك
فقولي له ما كان هذا جزاء جابر عثرات الكرام منك كافاته بالحبس والضيق و
الحديد ففعلت الجارية ذلك فلما سمع خزيمة كلامها نادى برفيع صوته واسوأتاه
وانه لهو قالت نعم فامر لوقته بدابته فاسرجت وبعث الى وجوه اهل البلد فجمعهم
اليه واتى بهم الى باب الحبس ففتح ودخل خزيمة ومن معه فرآه قاعدا في قاعة الحبس

متغيرا اضناه الضر والالم وثقل القيود والاغلال فلما نظر اليه عكرمة والى الناس احتشم ذلك فنكس رأسه فاقبل خزيمة حتى اكب على رأسه فقبلها فرفع عكرمة اليه رأسه وقال ما اعقب هذا منك قال كريم فعالك وسوء مكافاتي قال يغفر الله لنا ولك ثم اتى بالحداد ففك القيود عنه وامر خزيمة ان توضع القيود في رجل نفسه فقال عكرمة ماذا تريد فقال اريد ان ينالني من الضر مثل ما نالك فقال اقسم عليك بالله لا تفعل فخرجا جميعا حتى وصلا الى دار خزيمة فودعه عكرمة واراد الانصراف عنه فقال ما انت ببارح قال وما تريد قال اغير حالك وان حيائي من ابنة عمك اشد حياء منك ثم امر بالحمام فاخلي ودخلاه معا فقام خزيمة وتولى امره وخدمه بنفسه ثم خرجا فخلع عليه وحمله وحمل معه مالا كثيرا ثم سار معه الى داره واستأذنه في الاعتذار الى ابنة عمه فاعتذر اليها وتذمم من ذلك قال ثم سأله بعد ذلك ان يسير معه الى سليمان بن عبد الملك وهو يومئذ مقيم بالرملة فانعم له بذلك وسارا جميعا حتى قدما على سليمان بن عبد الملك فدخل الحاجب فاعلمه بقدوم خزيمة بن بشر فراعه ذلك وقال والي الجزيرة يقدم بغير امرنا ما هذا الا لحادث عظيم فلما دخل قال له قبل ان يسلم ما وراءك يا خزيمة قال الخير يا امير المؤمنين قال فما الذي اقدمك قال ظفرت بجابر عثرات الكرام فاحببت ان اسرك به لما رايت من تلهفك وتشوقك الى رؤيته قال ومن هو قال عكرمة الفياض قال فاذن له بالدخول فدخل وسلم عليه بالخلافة فرحب به وادناه من مجلسه وقال يا عكرمة ما كان خيرك له الا وبالا عليك ثم قال سليمان اكتب حوائجك كلها وما تحتاج اليه في رقعة ففعل ذلك فامر بقضائها من ساعته وامر له بعشرة الآف دينار وسفطين ثيابا ثم دعا بقناة وعقد له على الجزيرة وارمينية واذربيجان وقال له امر خزيمة اليك ان شئت ان تبقيه وان شئت عزلته قال بل ردده الى عمله يا امير المؤمنين ثم انصرفا من عنده جميعا ولم يزالا عاملين لسليمان مدة خلافته والله اعلم

خلافة امير المؤمنين عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه

امه ام عاصم بنت عاصم بن عمر بن الخطاب رضي الله عنه فهو تابعي جليل قال الامام احمد بن حنبل ليس احد من التابعين قوله حجة الا عمر بن عبد العزيز كان رضي الله عنه عفيفا زاهدا ناسكا عابدا مؤمنا تقيا صادقا ازال ما كانت بنو امية تذكر به رضي الله عنه على المنابر وجعل مكان ذلك قوله تعالى ان الله يأمر بالعدل والاحسان الآية ولما ولي الخلافة رضي الله عنه وفد الشعراء اليه واقاموا ببابه اياما لا يؤذن لهم فبينما هم كذلك اذ مر بهم رجاء بن حيوة وكان جليس عمر فلما رآه جرير داخلا قام اليه وانشد يقول هذه الابيات

يا ايها الرجل المرخي عمامته	هذا زمانك فاستأذن لنا عمرا

فدخل ولم يذكر شيئا من امرهم ثم مر بهم عدي بن ارطاة فقال جرير ابياتا آخرها قوله

لا تنس حاجتنا لقيت مغفرة	قد طال مكثي عن اهلي وعن وطني

قال فدخل عدي على عمر وقال يا امير المؤمنين الشعراء ببابك وسهامهم مسمومة واقوالهم نافذة فقال ويحك يا عدي ما لي وللشعراء قال اعز الله امير المؤمنين ان رسول الله قد امتدح واعطى ولك في رسول الله اسوة حسنة قال كيف قال امتدحه العباس بن مرداس السلمي فاعطاه حلة قطع بها كلامه قال اوتروي من قوله قال نعم وانشد يقول

رأيتك يا خير البرية كلها	نشرت كتابا جاء بالحق معلما
شرعت لنا دين الهدى بعد جورنا	عن الحق لما اصبح الحق مظلما
ونورت بالبرهان امرا مدنسا	واطفأت بالاسلام نارا تضرما
فمن مبلغ عن النبي محمدا	وكل امرئ يجزى بما كان قدما
اقمت سبيل الحق بعد اعوجاجه	وقد كان قدما ركنه قد تهدما

فقال ويلك يا عدي من بالباب منهم قال عمر بن ربيعة قال اليس هو الذي

يقول شعرا

ثم نبهتها فهبت كعابا طفلة ما تبين رجع الكلام
ساعة ثم انها لي قالت ويلتي قد عجلت يا ابن الكرام

فلو كان عدو الله اذ فجر كتم على نفسه لكان استر له لا يدخل على والله ابدا ممن بالباب سواه قال الفرزدق قال اوليس هو الذي يقول

هما دلتاني من ثمانين قامة كما انقض باز أكتم الرأس كاسره
فلما استوت رجلاي في الارض قالتا احي فيرجى ام قتيل نحاذره

لا يدخل على والله ابدا ممن سواه منهم قال الاخطل قال يا عدي هو الذي قال

ولست بصائم رمضان طوعا ولست بآكل لحم الاضاحي
ولست بزاجر عيسى بكورا الى بطحاء مكة للنجاح
ولست بقائم كالعود ادعوا قبيل الصبح حي على الفلاح
ولكني سأشربها شمولا واسجد عند منبلج الصباح

والله لا يدخل على ابدا وهو كافر فمن بالباب سوى من ذكرت قال الاحوص قال هو الذي يقول

الله بيني وبين سيدها يفر بها عني واتبعه

فمن بالباب دون من ذكرت ايضا قال جميل بن معمر قال اوليس هو الذي يقول

فيا ليتنا نحيا جميعا وان امت يوافق موتي موتها وضريحها

فلو كان عدو الله تمنى لقاءها في الدنيا ليعمل بعد ذلك صالحا لكان اصلح والله لا يدخل على ابدا فهل احد سوى من ذكرت قال جرير قال اوليس هو الذي يقول

طرقتك صائدة القلوب وليس ذا وقت الزيارة فارجعي بسلام

فان كان ولا بد فهو الذي يدخل فلما مثل بين يديه قال يا جرير اتق الله

ولا تقل الاحقا فانشد قصيدته الرائية المشهورة التى منها هذه الابيات

انا لنرجو اذا ما الغيث اخلفنا ... من الخليفة ما نرجو من المطر

جاء الخلافة او كانت له قدرا ... كما اتى ربه موسى على قدر

هذى الارامل قد قضيت حاجتها ... فمن لحاجة هذا الارمل الذكر

الخير ما دمت حيا لا يفارقنا ... بوركت يا عمر الخيرات من عمر

فقال يا جرير لا ارى لك فيما ههنا حقا قال بلى يا امير المومنين انا ابن سبيل منقطع فاعطاه من طيب ماله مائة درهم وقال ويحك يا جرير لقد ولينا هذا الامر ولم نملك الا ثلثمائة درهم فمائة اخذها عبد الله ومائة اخذتها ام عبد الله يا غلام اعطه المائة الاخرى فاخذها جرير وقال والله لهى احب الى مما اكتسبته فى عمرى ثم خرج فقال له الشعراء ما وراءك يا جرير فقال ما يسؤكم خرجت من عند خليفة يعطى الفقراء ويمنع الشعراء وانى عنه لراض وانشد يقول

رايت رقى الشيطان لا يستفزه ... وقد كان شيطانى من الجن راقيا

خلافة هشام بن عبد الملك بن مروان

قال ابو الفرج الاصبهانى فى كتاب الاغانى قال يونس الكاتب خرجت الى الشام فى خلافة هشام بن عبد الملك ومعى جارية غانية وكنت علمتها جميع ما تحتاج اليه وانا اقدر فيها انها تساوى مائة الف درهم قال فلما اقتربنا من الشام نزلت القافلة على غدير من الماء ونزلت ناحية منه واصبت من طعام كان معى واخرجت ركوة كان فيها نبيذ فبينما انا كذلك واذا بفتى حسن الوجه والهيئة على فرس اشقر ومعه خادمان فسلم على وقال اتقبل ضيفا قلت نعم فاخذت بركابه ونزل وقال اسقنا من شرابك فسقيته فقال ان شئت ان تغنى صوتا فغنيته

حازت من الحسن ما لا حازه البشر ... فلذلى فى هواها الدمع والسهر

فطرب طربا شديدا واستعاده مرارا ثم قال قل لجاريتك فلتغن فامرتها فغنت

جوهرة حار قلبى فى محاسنها ... فلا قضيب ولا شمس ولا قمر

فطرب طربا شديدا واستعاده مرارا ولم يزل مقيما الى ان صلينا العشاء ثم قال ما اقدمك
علينا هذا البلد قلت اردت بيع جاريتي هذه فقال كم املت فيها من الثمن قلت ما اقضي
به ديني واصلح به حالي قال ثلاثون الفا قلت ما احوجني الى فضل الله والمزيد فيه
قال ايقنعك اربعون الفا قلت فيها قضاء ديني وابقى صفر اليد قال قد اخذناها
بخمسين الفا من الدراهم ولك بعد ذلك كسوة ونفقة طريقك واشركك في
حالي ابدا ما بقيت فقلت قد بعتكها قال افتثق بي ان اوصل ذلك غدا اليك
واحملها معي او تكون عندك الى ان احمل ذلك اليك غدا فحملني السكر والحياء
مع الخشية منه على ان قلت نعم قد وثقت بك فخذها بارك الله لك فيها فقال
لاحد غلاميه احملها على دابتك وارتدف وراءها وامض بها ثم ركب فرسه وودعني
وانصرف فما هو الا ان غاب عني ساعة فعرفت موضع خطاي وغلطي وقلت ماذا
صنعت بنفسي اسلم جاريتي الى رجل لا اعرفه ولا ادري من هو وهب اني
عرفته فمن اين الصلة اليه فجلست متفكرا الى ان صليت الصبح ودخلوا اصحابي
دمشق وجلست حائرا لا ادري ما اصنع وقرعتني الشمس وكرهت المقام فهممت
بالدخول الى دمشق ثم قلت لم آمن ان الرسول يأتي فلا يجدني فاكون قد جنيت
على نفسي جناية ثانية فجلست في ظل جدار هناك فلما اضحى النهار واذا احد الغلامين
اللذين كانا معه قد اقبل علي فما اذكر اني سررت بشيء اعظم من سروري ذلك
الوقت بالنظر اليه فقال لي يا سيدي ابطأنا عليك فلم اذكر له شيئا مما كان بي ثم
قال لي تعرف الرجل قلت لا قال هو الوليد بن هشام ولي العهد فسكت عند ذلك
ثم قال قم فاركب واذا معه دابة فركبتها وسرنا الى ان وصلنا الى داره فدخلت
اليه واذا بالجارية قد وثبت وسلمت علي فقلت ما كان من امرك قالت انزلني
هذه الحجرة وامر لي بما احتاج اليه فجلست عندها ساعة واذا انا قد اتاني خادم له
فقال لي قم فقمت فادخلني على سيده فاذا هو صاحبي بالامس وهو جالس على
سريره فقال من تكون فقلت يونس الكاتب قال مرحبا بك قد كنت والله اليك

بمنين

بضنين وكنت اسمع بخبرك فكيف كان مبيتك في ليلتك قلت بخير اعزك الله قال فلعلك ندمت على ما كان منك البارحة وقلت دفعت جاريتي الى رجل لا اعرفه ولا اعرف اسمه ولا من اى البلاد هو فقلت معاذ الله ايها الامير ان اندم ولو اهديتها الى الامير كانت اقل واخس وما قدر هذه الجارية فقال والله ولكني ندمت على اخذها منك وقلت رجل غريب لا يعرفني وقد دهمته وسفهت عليه في استعجالي لاخذ الجارية افتذكر ما كان بيننا قلت نعم قال بعتني هذه الجارية بخمسين الف درهم قلت نعم قال هات يا غلام المال فوضعوه بين يديه فقال هات يا غلام الف دينار فأتى بها ثم قال يا غلام هات خمسمائة دينار اخرى فجاء بها ثم قال هذا ثمن جاريتك نضمه اليك هذه الف دينار لحسن ظنك بنا وهذه الخمسمائة دينار لنفقة طريقك وما تبتاعه لاهلك رضيت قلت رضيت وقبلت يده وقلت والله قد ملأت عيني ويدي ثم قال والله اني لم ادخل بها ولا شبعت من غنائها علي بها فجاءت فامرها بالجلوس فجلست

فقال لها غني فانشدت تقول شعرا

ايا من حاز كل الحسن طرا	ويا حلو الشمايل والدلال
جميع الحسن في عجم وعرب	وما في الكل مثلك يا غزالي
فاعطف يا مليح على محب	بوعدك او بطيف من خيال
حلا لي فيك ذلي وافتضاحي	وطاب لمقلتي سهر الليالي
وما انا فيك اول مستهام	فكم قبلي قتلت من الرجال
رضيتك لي من الدنيا نصيبا	وانت اعز من روحي ومالي

فطرب طربا شديدا وشكر حسن تاديبي لها وتعليمي اياها ثم قال يا غلام قدم له دابة بسرجها وآلتها لركوبه وبغلا لحمل حوائجه وثقله ثم قال يا يونس اذا بلغك ان هذا الامر قد افضى الى فالحق بي فوالله لاملأن لك يديك ولاعلين قدرك ولاغنينك ما بقيت قال فاخذت المال وانصرفت فلما افضت الخلافة اليه سرت اليه فوفى والله بوعده وزاد في اكرامي وكنت معه على اسر حال واسنى منزلة وقد اتسعت احوالي

وكثرت اموالى وصار لى من الضياع والاملاك ما يكفينى الى مماتى ويكفى من بعدى ولم ازل معه حتى قتل عفا الله عنه وقيل انه لما حج هشام فى ايام ابيه طاف بالبيت و جهد ان يصل الى الحجر الاسود ليستلمه فلم يقدر عليه لكثرة الزحام فنصب له منبر وجلس عليه ينظر الى الناس ومعه جماعة من اهل الشام فبينما هو كذلك اذ اقبل زين العابدين على بن الحسين على بن ابيطالب رضى الله عنهم اجمعين وكان من احسن الناس وجها واطيبهم ارجا فطاف بالبيت فلما انتهى الى الحجر الاسود تنحى له الناس حتى استلمه فقال رجل من اهل الشام من هذا الذى قد هابه الناس هذه الهيبة فقال هشام لا اعرفه مخافة ان يرغب فيه اهل الشام وكان ابو فراس الفرزدق حاضرا فقال انا اعرفه فقال الشامى من هذا يا ابا فراس فقال

هذا الذى تعرف البطحاء وطأته ... والبيت يعرفه والحل والحرام
هذا ابن خير عباد الله كلهم ... هذا التقى النقى الطاهر العلم
اذا راته قريش قال قائلها ... الى مكارم هذا ينتهى الكرم
ينمى الى ذروة العز التى قصرت ... عن نيلها عرب الاسلام والعجم
يكاد يمسكه عرفان راحته ... ركن الحطيم اذا ما جاء يستلم
فى كفه خيزران ريحه عبق ... من كف اروع فى عرنينه شمم
يغضى حياء ويغضى من مهابته ... فما يكلم الا حين يبتسم
ينشق نور الهدى من نور غرته ... كالشمس ينجاب عن اشراقها القتم
مشتقة من رسول الله نبعته ... طابت عناصره والخيم والشيم
هذا ابن فاطمة ان كنت جاهله ... بجده انبياء الله قد ختموا
الله شرفه قدرا وعظمه ... جرى بذاك له فى لوحه القلم
وليس قولك من هذا بضائره ... العرب تعرف من انكرت والعجم
كلتا يديه غياث عم نفعهما ... يستوكفان ولا يعروهما عدم
سهل الخليقة لا تخشى بوادره ... يزينه اثنان حسن الخلق والشيم

حمال اثقال اقوام اذا افتدحوا … حلو الشمائل تحلو عنده نعم

ما قال لا قط الا فى تشهده … لولا التشهد كانت لاءه نعم

عم البرية بالاحسان فانقشعت … عنها الغياهب والاملاق والعدم

من معشر حبهم دين وبغضهم … كفر وقربهم منجى ومعتصم

ان عد اهل التقى كانوا ائمتهم … او قيل من خير اهل الارض قيل هم

لا يستطيع جواد بعد غايتهم … ولا يدانيهم قوم وان كرموا

هم الغيوث اذا ما ازمة ازمت … والاسد اسد الشرى والبأس محتدم

لا ينقص العسر بسطا من اكفهم … سيان ذلك ان اثروا وان عدموا

مقدم بعد ذكر الله ذكرهم … فى كل بدء ومختوم به الكلم

يأبى لهم ان يحل الذم ساحتهم … خلق كريم وايد بالندى هضم

اى الخلائق ليست فى رقابهم … لاولية هذا اوله نعم

من يعرف الله يعرف اولية ذا … فالدين من بيت هذا ناله الامم

فلما سمع هشام ذلك غضب وحبس الفرزدق فانفذ له زين العابدين رضى الله عنه اثنى عشر الف درهم فردها وقال مدحته لله لا للعطاء والصلات فقال زين العابدين انا اهل بيت اذا وهبنا شيئا لا نعيد فيه فقبلها الفرزدق اهـ

ومما يحكى ان هشام بن عبد الملك كان ذات يوم فى صيده وقنصه اذ نظر الى ظبى تتبعه الكلاب فتبعه واحالته الى خباء اعرابى يرعى غنما فقال هشام يا صبى دونك هذا الظبى فأتنى به فرفع الصبى رأسه اليه وقال له يا جاهل بقدر الاخيار لقد نظرت الى باستصغار وكلمتنى باحتقار فكلامك كلام جبار وفعلك فعل حمار فقال هشام يا صبى ويلك ما تعرفنى فقال قد عرفنى بك سوء ادبك اذ بدأتنى بكلامك قبل سلامك فقال له ويلك انا هشام بن عبد الملك فقال له الاعرابى لا قرب دارك ولا حيا مزارك ما اكثر كلامك واقل اكرامك فما استتم حتى احدقت به الجيوش من كل جانب كل منهم يقول السلام عليك يا امير المؤمنين فقال هشام اقصروا الكلام واحفظوا الغلام فقبضوا

عليه ورجع هشام الى قصره وجلس في مجلسه وقال علي بالغلام البدوي فاتي به فلما رأى الغلام كثرة الغلمان والحجاب والوزراء والكتاب وابناء الدولة وارباب الصولة لم يكترث بهم ولم يسأل عنهم بل جعل ذقنه على صدره وجعل ينظر حيث تقع قدماه الى ان وصل الى هشام فوقف بين يديه ونكس راسه الى الارض وسكت الغلام وامتنع من الكلام فقال بعض الخدام يا كلب العرب ما منعك ان تسلم على امير المؤمنين فالتفت اليه مغضبا وقال يا برذعة الحمار منعني من ذلك طول الطريق ونهز الدرجة والتعويق فقال هشام وقد تزايد به الغضب يا صبي قد حضرت في يوم حضر فيه اجلك وخاب فيه املك وانصرم فيه عمرك فقال له الصبي والله يا هشام لئن كان في المدة تأخير ما ضرني من كلامك قليل ولا كثير فقال له الحاجب بلغ من امرك ومحلك يا اخس العرب ان تخاطب امير المؤمنين كلمة بكلمة فقال له سريعا لقيك الخذل ولازمك الويل والهبل اما سمعت ما قال الله تعالى يوم تأتي كل نفس تجادل عن نفسها فاذا كان الله يجادل جدالا فمن هشام حتى لا يخاطب خطابا فعند ذلك قام هشام واغتاظ غيظا شديدا وقال يا سياف علي برأس هذا الغلام فقد اكثر الكلام فيما لا يخطر على الاوهام فقام السياف واخذ الغلام وبركه في نطع الدم وسل سيف النقمة على راسه وقال يا امير المؤمنين عبدك المدل بنفسه المنقلب في رمسه اضرب عنقه وانا بريء من دمه قال نعم فاستأذنه فاذن له ثم استأذنه ثالثة فهم ان يأذن له فضحك الصبي حتى بدت نواجذه فازداد هشام منه تعجبا وقال يا صبي اظنك معتوها ترى انك مفارق الدنيا ومزايل الحياة وانت تضحك هزوا بنفسك فقال يا امير المؤمنين لئن كان في المدة تأخير ولم يكن في الاجل تقصير ما ضرني منك قليل ولا كثير ولكن ابيات حضرت الساعة فاسمعها فقتلي لا يفوت فاكثر الصموت فقال هشام هات واوجز فهذا اول اوقاتك من الآخرة وآخر اوقاتك من الدنيا فانشأ يقول هذه الابيات

نبئت ان الباز علق مرة ... عصفور بر ساقه المقدور
فتعلق العصفور في اظفاره ... والباز منهمك عليه يطير

فانی لسان الحال يخبر قائلا ... ها قد ظفرت وانی ماسور

مثلی فما يغنی لمثلك جوعة ... ولئن اكلت فانني محقور

فتبسم الباز المدل بنفسه ... طربا واطلق ذلك العصفور

قال فتبسم هشام وقال قرابتي من رسول الله صلى الله عليه وسلم لو تلفظ بهذا من اول وقت من اوقاته وطلب مادون الخلافة لاعطيته يا خادم احش فاه درا وجوهرا واحسن جائزته ودعه يمضی الی حال سبيله وقيل وفد عروة بن اذينة علی هشام بن عبد الملك فشكا اليه فقره فقال الست القائل

لقد علمت وما الاسراف من خلقی ... ان الذی هو رزقی سياتينی

اسعی اليه فيعيينی تطلبه ... وان قعدت اتانی ليس يعيينی

وخرجت الآن من الحجاز الی الشام فی طلب الرزق فقال يا امير المؤمنين وعظت فابلغت وخرج فركب ناقته وكر الی الحجاز راجعا فلما كان الليل نام هشام علی فراشه فذكر عروة فقال رجل من قريش قال حكمة ووفد علی فرديته خائبا فلما اصبح وجه اليه بالفی دينار فقرع عليه الرسول باب داره بالمدينة فاعطاه المال فقال ابلغ عنی امير المؤمنين السلام وقل له كيف رايت قولی سعيت فاكديت فرجعت خائبا فجلست فی داری فاتانی رزقی فی منزلی انتهی

ابتداء دولة العباسية

كان القائم بهذه الدولة ابو مسلم الخراسانی وكان اسمه عبد الرحمن بن مسلم فمن قوله هذه الابيات

ادركت بالحزم والكتمان ما عجزت ... عنه ملوك بنی مروان اذ حشدوا

مازلت اسعی بجهدی فی دمارهم ... والقوم فی غفلة والناس قد رقدوا

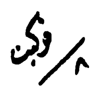
حتی ضربتهم بالسيف فانتبهوا ... من نومة لم ينمها قبلهم احد

ومن رعی غنما فی ارض مسبعة ... ونام عنها تولی رعيها الاسد

اولهم ابو عبد الله السفاح

ذكر ابن الجوزی فی كتاب الاذكياء عن خالد بن صفوان انه دخل يوما علی ابی العباس

السفاح وليس عنده احد فقال يا امير المؤمنين انى والله ما زلت منذ قلدك الله خلافته اطلب ان اصير معك بمثل هذا الموقف فى الخلوة فان رأى امير المؤمنين ان يأمر بامساك الباب فعل حتى نفرغ فامر الحاجب بذلك فقال يا امير المؤمنين انى فكرت فى امرك واستجليت الفكر فيك فلم ار احدا له قدرة واتساع فى الاستمتاع بالنساء ولا اضيق فيهن عيشا منك انك ملكت نفسك امراة من نساء العالمين فاقتصرت عليها فان مرضت مرضت وان غابت غبت وان عزلت عزلت وحرمت يا امير المؤمنين على نفسك التلذذ بما تشتهى منهن فان منهن الطويلة التى تشتهى لحسنها والبيضاء التى تحب لرؤيتها والسمراء اللعساء والصفراء الذهبية ومولدات المدينة والطائف واليمامة ذوات الالسنة العذبة والجواب الحاضر وبنات سائر الملوك وما يشتهى من نضارتهن ونظافتهن وتحلل خالد لسانه فاطنب فى صفات ضروب الجوارى وشوقه اليهن فلما فرغ من كلامه قال له السفاح ويحك ملأت مسامعى ما اشغل خاطرى والله ما سلك مسامعى كلام احسن من هذا فاعد على كلامك فقد وقع منى موقعا فاعاد عليه خالد كلامه باحسن مما ابتدأ به ثم قال له انصرف فانصرف وبقى ابو العباس مفكرا فدخلت عليه ام سلمة زوجته وكان قد حلف لها انه لا يتزوج عليها ولا يتخذ عليها سرية ووفى لها فلما رأته على تلك الحالة قالت له انى لا انكرك يا امير المؤمنين فهل حدث شىء تكرهه او اتاك خبر ارتعت له قال لا فلم تزل به حتى اخبرها بمقالة خالد فقالت له وما قلت لابن الفاعلة فقال لها اينصحنى وتشتمينه فخرجت الى مواليها وامرتهم بضرب خالد قال خالد فخرجت من الدار مسرورا بما القيت الى امير المؤمنين ولم اشك فى الصلة فبينما انا واقف اذ اقبلوا يسألوا عنى فحققت الجائزة فقلت لهم ها انا واقف فاستبق الى احدهم بخشبة فغمزت برذونى فلحقنى وضرب كفل البرذون فركضت ففتهم واستخفيت فى منزلى اياما ووقع فى قلبى انى أتيت من ام سلمة فبينما انا ذات يوم جالس فى المنزل فلم اشعر الا بقوم قد هجموا على فقالوا اجب امير المؤمنين فسبق الى قلبى انه الموت فقلت انا لله وانا اليه راجعون لم ار دم شيخ اضيع من دمى



ركبت الى دار امير المؤمنين فاصبته جالسا ولحظت فى المجلس بيتا عليه ستور رقاق
وسمعت حسا خفيفا خلف الستر فاجلسنى ثم قال يا خالد انت وصفت لامير المؤمنين
صفة فاعدها فقلت نعم يا امير المؤمنين اعلمتك ان العرب ما اشتقت اسم
الضرتين الا من الضر وان احدا لم يكثر من النساء اكثر من واحدة الا كان فى
ضر وتنغيص فقال السفاح لم يكن هذا من كلامك اولا قلت بلى يا امير المؤمنين
واخبرتك ان الثلاث من النساء يدخلن على الرجل البؤس وتشييب الرؤس فقال
برئت من رسول الله صلى الله عليه وسلم ان كنت سمعت هذا منك اولا ومر فى
حديثك قلت بلى يا امير المؤمنين واخبرتك ان الاربع من النساء شر مجتمع لصاحبهن
يشيبنه ويهرمنه قال والله ما سمعت هذا منك اولا قلت بلى يا امير المؤمنين و
اخبرتك ان ابكار الاماء رجال الا انه ليست لهن خصاء قال امير المؤمنين افتكذبنى
قلت افتقتلنى قال خالد فسمعت ضحكا خلف الستر ثم قلت واخبرتك ان عندك
ريحانة قريش وانك تطمح بعينيك الى النساء والجوارى فقيل لى من وراء الستر صدقت
والله يا عماه هذا حديثك ولكنه غير حديثك ونطق بما فى خاطره عن لسانك
فقال السفاح ما لك قاتلك الله قال خالد فانسللت وخرجت فبعثت الى ام سلمة بعشرة
آلاف درهم وبرذون وتخت ثياب انتهى (وروى) ان ابا دلامة الشاعر كان واقفا
بين يدى السفاح فى بعض الايام فقال سلنى حاجتك فقال له ابو دلامة اريد كلب
صيد فقال اعطوه اياه فقال ودابة اتصيد عليها فقال اعطوه دابة فقال وغلاما
يقود الكلب والصيد فقال اعطوه غلاما فقال وجارية تصلح لنا الصيد وتطعمنا
منه فقال اعطوه جارية فقال هؤلاء يا امير المؤمنين عيال ولا بد لهم من دار يسكنونها
فقال اعطوه دارا تجمعهم ثم قال وان تكن لهم الدار فمن اين يعيشون قال قد اقطعتك
عشر ضياع غامرة من فيافى بنى اسرائيل قال وما معنى الغامرة يا امير المؤمنين
قال ما لا نبات فيها قال قد اقطعتك انا يا امير المؤمنين مائة ضيعة عامرة من فيافى بنى
سعد فضحك منه وقال اعطوها كلها عامرة قال الجاحظ فانظر الى حذقه بالمسألة و

ولطفه فيها كيف ابتدأ بكلب صيد فسهل القضية وجعل يأتي بمسألة على ترتيب وفكاهة
حتى نال ما سأله ولو سأل ذلك بديهة لما وصل اليها بارك الله فيه انتهى وروى
عن الحسن بن الحصين قال لما افضت الخلافة الى بني العباس كان من جملة ما اختفى
ابراهيم بن سليمان بن عبد الملك فلم يزل مختفيا الى ان اضناه واضجره الاختفاء فاخذ له
امان من السفاح وكان ابراهيم رجلا اديبا بليغا حسن المحاضرة فحظي عند السفاح
فقال له لقد مكثت زمانا طويلا مختفيا فحدثني باعجب ما رايت في اختفائك فلم
ايام تنكرت فقال يا امير المؤمنين وهل سمع باعجب من حديثي لقد كنت مختفيا في
منزل انظر منه الى البطحاء فبينما انا على مثل ذلك واذا باعلام سود قد خرجت من
الكوفة تريد الحيرة فوقع في ذهني انها خرجت تطلبني فخرجت متنكرا حتى اتيت
الكوفة من غير الطريق وانا والله متحير ولا اعرف بها احدا واذا انا بباب كبير في
رحبة منيعة فدخلت لتلك الرحبة فوقفت قريبا من الدار واذا برجل حسن الهيئة
وهو راكب فرسا ومعه جماعة من اصحابه وغلمانه فدخل الرحبة فرآني واقفا مرتابا
فقال لي ألك حاجة قلت غريب خائف من القتل قال ادخل فدخلت الى حجرة في داره
فقال هذه لك وهيأ لي ما احتاج اليه من فرش وآنية ولباس وطعام وشراب
واقمت عنده ووالله ما سألني قط من انا ولا ممن اخاف وهو في اثناء ذلك
يركب في كل يوم ويعود متعوبا متأسفا كانه يطلب شيئا فاته ولم يجده فقلت
له يوما اراك تركب في كل يوم وتعود متعوبا متأسفا كانك تطلب شيئا فاتك فقال
لي ان ابراهيم بن سليمان بن عبد الملك قتل ابي وقد بلغني انه مختف من السفاح
وانا اطلبه لعلي اجده آخذ بثاري منه فتعجبت والله يا امير المؤمنين من هربي وشؤم
بختي الذي ساقني الى منزل رجل يريد قتلي ويطلب ثاره مني فكرهت الحياة
واستعجلت الموت لما انا فيه من الشدة فسألت الرجل عن اسم ابيه وعن سبب قتله
فعرفت الخبر فوجدته صحيحا فقلت يا هذا قد وجب علي حقك وان من حقك ان
ادلك على قاتل ابيك واقرب عليك الخطوة واسهل عليك ما بعد فقال أتعلم اين

هو قلت نعم فقال اين هو فقلت والله هوانا فخذ بثارك منى فقال لى اطن ان الاختفاء اضناك فكرهت الحياة قلت نعم والله انا قتلته يوم كذا وكذا فلما علم صدقى تغير لونه واحمرت عيناه واطرق راسه ساعة ثم رفع رأسه الى وقال لى اما ابى سيلقاك غدا يوم القيمة فيحاكمك عند من لا تخفى عليه خافية واما انا فلست مخفرا ذمتى ولا مضيعا نزيلى اخرج عنى فانى لا آمن نفسى عليك بعد هذا اليوم ثم وثب يا امير المؤمنين الى صندوق فاخرج منه صرة فيها خمسمائة دينار وقال خذ هذه واستعن بها على اختفائك فكرهت اخذها وخرجت من عنده وهو اكرم رجل رايت فبقى السفاح يهتز طربا ويتعجب

وعن الهيثم بن عدى قال كان ابو العباس السفاح تعجبه المسامرة ومنازعة الرجال فحضرت ذات ليلة فى مسامرة ابراهيم بن مخرمة الكندى وناس من بنى الحارث ابن كعب وهم اخواله وخالد بن صفوان بن ابراهيم التميمى فخاضوا فى الحديث وتذاكروا مضر واليمن فقال ابراهيم يا امير المؤمنين ان اليمن هم العرب الذين دانت لهم الدنيا وكانت لهم القرى ولم يزالوا ملوكا اربابا وورثوا ذلك كابرا عن كابر اولا عن آخر منهم النعمانيات والمنذريات والقابوسيات والتابعة ومنهم من مدحته الزبر ومنهم غسيل الملائكة ومنهم من اهتز لموته العرش ومنهم من كلمه الذئب ومنهم الذى كان يأخذ كل سفينة غصبا وليس شئ له خطر الا واليهم ينسب فرس رائع او سيف قاطع او درع حصينة او حلة مصونة او درة مكنونة ان سئلوا اعطوا وان سيموا ابوا وان نزل بهم ضيف قروا لا يبلغهم مكابر ولا ينالهم مفاخرهم العرب العرباء وغيرهم المتعربة قال ابو العباس السفاح ما اظن التميمى يرضى بقولك ثم قال له ما تقول يا خالد قال ان اذنت فى الكلام تكلمت فقال قد اذنت فى الكلام فتكلم ولا تهب احدا فقال اخطأ يا امير المؤمنين المقتحم بغير علم والناطق بغير صواب فكيف يكون ما قال وان القوم ليست لهم السن فصيحة ولا لغة صحيحة ولا حجة رجيحة نزل بها كتاب ولا جاءت بها سنة وهم منا على منزلتين ان جاروا عن قصدنا اكلوا وان جاوزوا احكمنا قتلوا يفخرون علينا بالنعمانيات والمنذريات

وغير ذلك مما سنأتي عليه ونفخر عليهم بخير الانام واكرم الكرام محمد عليه افضل الصلاة
والسلام ولله المنة علينا وعليهم لقد كانوا لنا قباعد فيه عزوا وله اكرموا فمنا النبي صلى الله عليه
والسلم ومنا الخليفة المرتضى ولنا البيت المعمور والمسعى وزمزم المقام والمنبر والركن
والحطيم والمشاعر والحجابة والبطحاء مع ما لا يخفى من المآثر ولا يدرك من المفاخر
فليس يعدل بنا عادل ولا يبلغ فضلنا قول قائل ومنا الصديق والفاروق والوصي
واسد الله وسيد الشهداء وذو الجناحين وسيف الله عرفوا الله واتاهم اليقين
فمن زاحمنا زاحمناه ومن عادانا اصطلمناه ثم التفت الى ابراهيم فقال اعالم انت
بلغة قومك قال نعم قال فما اسم العين قال الجحمة قال فما اسم السن قال الميذن
قال فما اسم الاذن قال الصنارة قال فما اسم الاصابع قال الشناتر قال فما اسم اللحية
قال الزب قال فما اسم الذئب قال الكنع قال افمؤمن انت بكتاب الله قال نعم قال فان
الله تعالى يقول انا انزلناه قرانا عربيا لعلكم تعقلون وقال تعالى بلسان عربي
مبين وقال وما ارسلنا من رسول الا بلسان قومه فنحن العرب والقران بلساننا
نزل الم تر ان الله قال العين بالعين ولم يقل الجحمة بالجحمة وقال السن بالسن
ولم يقل الميذن بالميذن وقال الاذن بالاذن ولم يقل الصنارة بالصنارة وقال
يجعلون اصابعهم في آذانهم ولم يقل شناترهم وقال لا تأخذ بلحيتي ولا برأسي
ولم يقل بزبي وقال تعالى يأكله الذئب ولم يقل يأكله الكنع ثم قال اسألك عن
اربع ان انت اقررت بهن قهرت وان جحدتهن كفرت قال وما هن قال الرسول
منا او منكم قال منكم قال فالقران نزل علينا او عليكم قال عليكم قال فالبيت
الحرام لنا او لكم قال لكم قال فالخلافة فينا او فيكم قال فيكم قال خالد فما كان بعد

هذه الاربع فهو لكم

خلافة ابي جعفر المنصور

قيل انه كان يحفظ الشعر من مرة وله مملوك يحفظه من مرتين وكانت له جارية
تحفظه من ثلاث مرات وكان بخيلا جدا حتى انه كان يلقب بالدوانيقي لانه كان

يحاسب على الدوانق فكان اذا جاءه شاعر بقصيدة قال له ان كانت مطروقة بان يكون احد يحفظها او احد انشاءها اى بان كان اتى بها احد قبلك فلا نعطيك لها جائزة وان لم يكن احد يحفظها نعطك زنة ما هى مكتوبة فيه فيقرأ الشاعر القصيدة فيحفظها الخليفة من اول مرة ولو كانت الف بيت ويقول للشاعر اسمعها منى و ينشدها بكمالها ثم يقول له وهذا المملوك يحفظها وقد سمعها المملوك مرتين مرة من الشاعر ومرة من الخليفة فيقرأها ثم يقول الخليفة وهذه الجارية التى خلف الستارة تحفظها ايضا وقد سمعتها الجارية ثلاث مرات فتقرأها بحروفها فيذهب الشاعر بغير شئ قال الراوى وكان الاصمعى من جلسائه او ندمائه فنظم ابياتا صعبة وكتبها على قطعة عمود من رخام ولفها فى عباءة وجعلها على ظهر بعير وغير حليته فى صفة اعرابى غريب وضرب له لثاما ولم يبين منه غير عينيه وجاء الى الخليفة وقال انى امتدحت امير المؤمنين بقصيدة فقال يا اخا العرب ان كانت لغيرك لا نعطيك عليها جائزة والا نعطيك زنة ما هى مكتوبة عليه

فانشد الاصمعى هذه القصيدة

صوت صفير البلبلى	هيج قلب الثملى
الماء والزهر معا	مع زهر لحظ المقلى
وانت يا سيد دلى	وسيدى و مولى
وكم وكم تيمنى	غزيل عقيقلى
قطفت من وجنته	باللثم ورد الخجلى
وقلت بس بسبسنى	فلم يجد بالقبلى
وقال لا لا لالا	وقد غدا مهرولى
والخود مالت طربا	من فعل هذا الرجلى
وولولت و لولة	ولى ولى يا ويللى
فقلت لا تولولى	وبينى اللؤ لؤلى

لما راته اشمطا — يريد غير القبلى
وبعدها ما يكتفى — الا بطيب الوصلى
قالت له حين كذا — انهض وجد بالنقلى
وفتية سقونني — قهيوة كالعسلى
ثم متها في انفقى — ازكى من القرنفلى
في وسط بستان حسن — بالزهر والسرولى
والعود دندن دنلى — والطبل طبطبطبلى
والرقص ارطب طبطبلى — والسقف سقسقسقلى
شو واشا هوا شو وا — على ورق سفرجلى
وغرد القمرى يصيح — من ملل في مللى
فلو تراني راكبا — على حمار اهزلى
يمشى على ثلاثة — كمشية العرنجلى
والناس ترجم جملى — في السوق بالقلقللى
والكل كعكع كعكع — خلفي ومن حوللى
لكن مشيت هاربا — من خشية العقنقلى
الى لقاء ملك — معظم مبجلى
يأمر لي بخلعة — حمراء كالدم دملى
اجر فيها ماشيا — مبغددا للذيل
انا الاديب الالمعى — من حى ارض الموصلى
نظمت قطعا زخرفت — تعجز الادبلى
اقول في مطلعها — صوت صفير البلبلى

(قال الراوى) فلم يحفظها الملك لصعوبتها ونظر الى المملوك والى الجارية فلم يحفظها احد منهما فقال يا اخا العرب هات الذى هى مكتوبة فيه نعطك زنته

فقال

فقال يا مولاى انى لم اجد ورقا اكتب فيه وكان عندى قطعة عمود من رخام من عهد ابى وهى ملقاة ليس لى بها حاجة فنقشتها فيه فلم يسع الخليفة الا انه اعطاه وزنها ذهبا فنفد ما فى خزينته من المال فاخذه وانصرف فلما ولى قال الخليفة يغلب على ظنى ان هذا الاصمعى فاحضره وكشف عن وجهه فاذا هو الاصمعى فتعجب منه ومن صنيعه واجازه على عادته ثم قال يا امير المؤمنين ان الشعراء فقراء واصحاب عيال وانت تمنعهم العطاء بشدة فهمك وفهم هذا المملوك وهذه الجارية فاذا اعطيتهم ما تيسر ليستعينوا به على عيالهم لم يضرك انتهى والله اعلم وذكر الغزالى وابن بليان وغيرهما ان اباجعفر المنصور حج ونزل فى دار الندوة وكان يخرج سحرا فيطوف بالبيت فخرج ذات ليلة سحرا فبينما هو يطوف اذ سمع قائلا يقول اللهم انى اشكو اليك ظهور البغى والفساد فى الارض وما يحول بين الحق واهله من الطمع فهرول المنصور فى مشيته حتى ملأ سمعه ثم رجع الى دار الندوة وقال لصاحب شرطته ان بالبيت رجلا يطوف فاتنى به فخرج صاحب الشرطة فوجد رجلا عند الركن اليمانى فقال اجب امير المؤمنين فلما دخل عليه قال ما الذى سمعتك آنفا تشكو الى الله من ظهور البغى والفساد فى الارض وما يحول بين الحق واهله من الطمع فوالله لقد حشوت مسامعى ما امرضنى فقال له يا امير المؤمنين ان الذى دخله الطمع حتى حال بين الحق واهله وامتلأت بلاد الله بذلك بغيا وفسادا انت هو فقال له المنصور ويحك كيف يدخلنى الطمع والصفراء والبيضاء ببابى وملك الارض فى قبضتى فقال الرجل سبحان الله يا امير المؤمنين هل دخل احد من الطمع ما داخلك ان الله استرعاك امور المؤمنين واموالهم فاهملت امورهم واهتممت بجمع اموالهم وجعلت بينك وبين رعيتك حجابا من الجص والآجر وحجبة معهم السلاح وامرت ان لا يدخل عليك الا فلان وفلان نفرا استخلصتهم لنفسك وامرتهم على رعيتك ولم تأمر بايصال المظلوم ولا الجائع ولا العارى ولا احد الا وله فى هذا المال حق فلما رآك هؤلاء الذين استخلصتهم لنفسك وآثرتهم على رعيتك تجمع الاموال ولا تقسمها قالوا هذا خان الله ورسوله فما لنا لا نخونه فاجمعوا على ان لا يصل اليك من اموال الناس

الا ما ارادوا وانصار هؤلاء شركاءك في سلطانك وانت غافل عنهم فاذا جاء المظلوم الى بابك وجدك او قفت رجلا ينظر في مظالم الناس فان كان الظالم من بطانتك علل صاحب المظالم بالمظلوم وسوف من وقت الى وقت فاذا اجتهد وظهرت انت صرخ بين يديك فضربه اعوانك ضربا شديدا ليكون نكالا لغيره وانت ترى ذلك ولا تنكر ولقد كانت الخلفاء قبلك من بني امية اذا اتت اليهم الظلامة ازيلت في الحال ولقد كنت اسافر الصين يا امير المؤمنين فقدمت مرة فوجدت الملك الذي به قد فقد سمعه فبكى فقال له وزراؤه ما يبكيك ايها الملك لا ابكى الله لك عينا الا من خشيته فقال والله ما بكيت لمصيبة نزلت بي وانما ابكي لمظلوم يصرخ بالباب فلا اسمعه ثم قال ان كان سمعي ذهب فان بصري لم يذهب نادوا في الناس لا يلبس احد ثوبا احمر الا مظلوم وكان يركب الفيل طرفي النهار ويدور في البلد لعله يجد احدا لابسا ثوبا احمر فيعلم انه مظلوم فينصفه هذا يا امير المؤمنين رجل مشرك غلبت عليه رأفته على شح نفسه بالمشركين وانت مؤمن بالله ورسوله وابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم يا امير المؤمنين لا تجمع الاموال الا لاحدى ثلاث ان قلت انما اجمع المال لصالح الملك فقد اراك الله عبرة في الملوك والقرون من قبلك ما اغنى عنهم ما اعدوا من الاموال والرجال والكراع حين اراد الله بهم ما اراد وان قلت انما اجمع للولد فقد اراك الله عبرة فيمن تقدم ممن جمع المال للولد فلم يغن ذلك عنهم شيئا بل ربما مات فقيرا ذليلا حقيرا وان قلت انما اجمعه لغاية هي اجسم من الغاية التي انت فيها فوالله ما فوق منزلتك الا منزلة لا تدرك الا بالعمل الصالح فبكى المنصور بكاء شديدا ثم قال وكيف اعمل وقد فرت مني العباد ولم تقربني والصالحون ولم يدخلوا علي فقال يا امير المؤمنين افتح الباب وسهل الحجاب وانتصر للمظلوم وخذ المال مما حل وطاب واقسمه بالحق والعدل وانا ضامن من هرب ان يعود اليك فقال المنصور نفعل ان شاء الله تعالى وجاء المؤذن فأذن للصلاة فقام وصلى فلما اقضى صلاته طلب الرجل فلم يجده فقال لصاحب الشرطة علي بالرجل الساعة فخرج يتطلبه فوجده عند



الركن اليمانى فقال له اجب امير المؤمنين فقال ليس الى ذلك من سبيل فقال اذن يضرب عنقى فقال ولا الى ضرب رقبتك من سبيل ثم اخرج من مزود كان معه رقا مكتوبا فقال له خذه فان فيه دعاء الفرج من دعا به صباحا ومات من يومه مات شهيدا ومن دعا به مساء ومات من ليلته مات شهيدا وذكر له فضلا عظيما وثوابا جزيلا فاخذه صاحب الشرطة واتى به المنصور فلما رآه قال له ويلك او تحسن السحر قال لا والله يا امير المؤمنين ثم قص عليه القصة فامر المنصور بنقله وامر له بالف دينار وهو هذا اللهم كما لطفت فى عظمتك دون اللطفاء وعلوت بعظمتك على العظماء وعلمت بما تحت ارضك كعلمك بما فوق عرشك وكانت وساوس الصدور كالعلانية عندك وعلانية القول كالسر فى علمك وانقاد كل شئ لعظمتك وخضع كل ذى سلطان لسلطانك وصار امر الدنيا والآخرة كله بيدك اجعل لى من كل هم وغم اصبحت او امسيت فيه فرجا ومخرجا اللهم ان عفوك عن ذنوبى وتجاوزك عن خطيئتى وسترك على قبيح عملى اطمعنى ان اسألك ما لا استوجبه مما قصرت فيه ادعوك آمنا واسألك مستأنسا وانك انت المحسن الى وانا المسئ الى نفسى فيما بينى وبينك تتودد الى بالنعم واتبغض اليك بالمعاصى ولكن الثقة بك حملتنى على الجراءة عليك فجد بفضلك واحسانك على انك انت الرؤف الرحيم انتهى من حياة الحيوان (وحدث عبد الله البلتاجى) قال دخل ابن ابى ليلى على ابى جعفر المنصور وكان ابن ابى ليلى قاضيا فقال ابو جعفر ان القاضى قد يرد عليه من طرائف الناس ونوادرهم امور فان كان ورد عليك شئ فحدثنيه فقد طال على يومى قال والله يا امير المؤمنين قد ورد على منذ ثلاثة ايام امر ما ورد على مثله اتتنى عجوز تكاد ان تنال الارض بوجهها او تسقط من انحنائها فقالت انا بالله وبالقاضى ان يأخذ لى بحقى وان ينصفنى على خصمى قلت ومن خصمك قالت ابنة اخ لى فدعوت بها فجاءت امرأة ضخمة ممتلئة شحما فجلست منبهرة فذهبت العجوز تتظلم فقالت الشابة اصلح الله القاضى امرها فلتسكت حتى اتكلم بحجتى وحجتها فان لحنت بشئ فلترد على فان اذنت لى اسفرت

فقالت العجوز ان اسفرت فضيت لها فقلت لها اسفري فاسفرت عن وجه والله ما ظننت
انه يكون مثله الا في الجنة فقالت اصلح الله القاضي هذه عمتي مات والدي وتركني
يتيمة في حجرها فربتني فاحسنت التربية حتى اذا بلغت مبلغ النساء قالت لي يا بنت
اخي هل لك في التزويج قلت ما اكره ذلك يا عمة قالت العجوز نعم قالت فخطبني وجوه
اهل الكوفة فلم ترض الا رجلا صيرفيا فتزوجني فكنا كأنا ريحانتان ما يظن ان الله
خلق غيري وما اظن ان الله خلق غيره يغدو الى سوقه ويروح علي بما رزقه الله تعالى
فلما رات العمة موقعه مني وموقعي منه حسدتنا على ذلك وكانت لها ابنة فشوقتها
وهيأتها لدخول زوجي فوقعت عينه عليها فقال يا عمة هل لك ان تزوجيني
ابنتك قالت نعم بشرط فقال لها وما الشرط قالت تصير امر ابنة اخي الي قال قد صيرت
امرها اليك قالت فاني قد طلقتها ثلاثا ثابتة وزوجت ابنتها من زوجي فكان
يغدو عليها ويروح فقلت لها يا عمتي اتأذنين لي ان انتقل عنك قالت نعم فانتقلت
عنها وكان لعمتي زوج غائب فقدم فلما توسط منزلها قال ما لي لا ارى ربيبتنا
قالت طلقها زوجها فانتقلت عنا فقال ان لها من الحق علينا ان نعزيها بمصيبتها
فلما بلغني مجيئه الي تهيأت له وتشوفت فلما دخل علي عزاني بمصيبتي ثم قال ان فيك
بقية من الشباب فهل لك ان اتزوج بك قلت ما اكره ذلك ولكن على شرط قال لي
وما الشرط قلت تصير امر عمتي بيدي قال فاني قد فعلت وصيرت امرها بيدك قلت
فاني قد طلقتها ثلاثا ثابتة قالت فقدم علي بثقله من الغد ومعه ستة آلاف درهم
فاقام عندي ما اقام ثم انه اعتل وتوفي فلما انقضت عدتي جاء زوجي الاول الصيرفي
يعزيني بمصيبتي فلما بلغني مجيئه تهيأت وتشوفت له فلما دخل علي قال لي يا فلانة
انك لتعلمين انك كنت اعز الناس علي واحبهم الي وقد حلت المراجعة فهل لك
في ذلك قلت ما اكره ذلك ولكن اجعل امر ابنة عمتي بيدي قال فاني قد فعلت
قلت فاني قد طلقتها ثلاثا ثابتة اصلح الله القاضي فرجعت الى زوجي فما اعتدائي
عليها فقالت العجوز انا فعلت مرة وفعلت هي مرة بعد اخرى فقالت ان الله وقت

فی هذا و قتا و قد اللہ قال و من عاقب بمثل ما عوقب به ثم بغی علیه لینصرنه الله فواحدة بواحدة والبادی اظلم فقال القاضی ان زوج العمة لم یکن له ان یتزوج ابنة اخیها وهی فی عدته فارادت العجوز ان تتولی التفریق بینه وبینها استیفاء لها او مجازاة لها علی فعلها فقلت لها قد فرقت بینکما قومی الی منزلک انتهی و ذکر المنصور یوما فی مجلسه زوال ملک بنی امیة وما جری علیهم وانهم عاشوا سعداء وماتوا فقراء فقال له اسماعیل بن علی الهاشمی ان عبد الله بن مروان بن محمد فی حبسک وله قصة مع ملک النوبة فاحضره واسأله عنها فاحضره فقال السلام علیک یا امیر المؤمنین ورحمة الله وبرکاته فقال المنصور رد السلام امن ولم تسمح نفسی بذلک ولکن اقعد فقعد فقال ما قصتک مع ملک النوبة فقال یا امیر المؤمنین کنت ولی عهد ابی فلما طلبتنا دعوت عشرة من غلمانی ودفنت لکل واحد الف دینار واوسقت خمس بغال وشددت فی وسطی جوهر الدقیمة عظیمة وخرجت هاربا الی بلاد النوبة فلما اقربنا بعثت غلاما لی فقلت امض الی هذا الملک واقرئه السلام وخذ لنا منه الامان وابتغ لنا مسیرة فمضی وابطأ حتی اسات به الظن ثم اقبل ومعه رجل فدخل وسلم وقال الملک یقرئک السلام ویقول لک من انت وما جاء بک الی بلادی امحارب ام راغب فی دینی ام مستجیر بی فقلت له رد علی الملک وقل له ما انا بمحارب ولا راغب فی دینک ولا ممن یبتغی بدینه بدلا بل مستجیر به فذهب الرسول ورجع الی وقال الملک یقول لک انی اجیء الیک غدا فلا تحدث نفسک حدثا ولا شیئا من المیرة فقلت لاصحابی افرشوا الفرش ففرش لی وجلست من الغد ارقبه واذا هو قد اقبل وعلیه بردان قد ائتزر باحدهما وارتدی بالاخر حافی الرجلین ومعه عشرة معهم الحراب ثلاثة یقدمونه وسبعة خلفه فاستصغرت امره وسولت لی نفسی قتله فلما قرب اذا سواد عظیم قلت ما هذا قالوا الخیل فوافی بها عشرة آلاف عنان ووافت الخیل عند دخوله فاحدقوا بنا فلما دخل جلس علی الارض قال فقلت لترجمانه لم لم یقعد علی الموضع الذی وطئ له فسأله فقال قل له انه

ملك وكل ملك حقه ان يكون متواضعا لله وعظمته اذ رفعه الله على عباده ثم
نكث باصبعه الارض طويلا ورفع راسه وقال قل له كيف سلبتم هذا الملك
فاخذ منكم وانتم اقرب الناس الى نبيكم فقلت جاء من هو اقرب منا قرابة اليه
فسلبنا وغلبنا وطردنا فخرجت اليك مستجيرا بالله ثم بك قال فلم كنتم تشربون
الخمر وهو محرم عليكم قلت فعل ذلك عبيد واعاجم دخلوا في ديننا وفي ملكنا
من غير راينا قال فلم تركبون على الديباج وعلى خيولكم سروج الذهب والفضة
وهي محرمة عليكم قلت فعل ذلك عبيد واعاجم دخلوا في ديننا وفي ملكنا
بغير راينا قال فلم كنتم اذا خرجتم الى الصيد مررتم على القرى وكلفتم اهلها ما لا طاقة
لهم به بالضرب والاهانة ولا يقنعكم ذلك حتى تخطوا زرعهم في طلب دراج قيمته
نصف درهم والتكليف والعناء محرم عليكم قلت فعل ذلك عبيد وغلمان واتباع
قال لا ولكنكم استحللتم ما حرم الله عليكم واتيتم ما نهاكم الله عنه فسلبكم الله العز
والبسكم الذل ونصر اعداءكم عليكم ولله فيكم نقمة لم تبلغ غايتها بعد واني اخاف
ان ينزل بك النقمة اذا كنت من الظلمة فتشملني معك فان النقمة اذا نزلت شملت
فاخرج بعد ثلاث فان وجدتك بعدها اخذت ما معك وقتلتك ومن معك
ثم وثب قائما وخرج واقمت ثلاثا ورجعت الى مصر فاخذني عاملك وبعث بي
اليك وها انا ذا والموت احب الي من الحياة فرق له المنصور وهم باطلاقه فقال
له اسمعيل بن علي في عنقي بيعة هذا قال فما ترى قال ينزل في دار من دورنا و
يجري عليه ما يجري على مثله ففعل به ذلك انتهى وخطب المنصور يوما بالشام
فقال ايها الناس ينبغي لكم ان تحمدوا الله تعالى على ما وهبكم الله في زماني منذ
وليتكم صرف الله عنكم الطاعون الذي كان يجيئكم فقال له اعرابي ان الله اكرم من
ان يجمع علينا انت والطاعون ودخل ابن هرمة على المنصور وامتدحه فقال له
المنصور سل حاجتك قال تكتب الى عاملك بالمدينة انه اذا وجدني سكران
لا يحدني فقال له المنصور هذا حد لا سبيل الى تركه فقال ما لي حاجة غيرها

فقال

فقال لكتابته اكتب الى عاملنا بالمدينة من اتاك بابن هرمة وهو سكران فاجلده ثمانين واجلد الذي جاء به مائة فكان الشرطة يمرون عليه وهو سكران ويقولون من يشتري ثمانين بمائة فيمرون عليه ويتركونه انتهى (وحدث) احمد بن موسى قال ما رايت رجلا اثبت جنانا ولا احسن معرفة ولا اظهر حجة من رجل رفع فيه عند المنصور بان عنده اموالا لبني امية فامر المنصور حاجبه الربيع ان يحضره فلما حضر بين يديه قال المنصور رفع الينا ان عندك ودائع واموالا وسلاحا لبني امية فاخرجها لنا لنجمع ذلك الى بيت المال فقال الرجل يا امير المؤمنين انت وارث لبني امية قال لا قال فلم تسأل اذن عما في يدي من اموال بني امية ولست بوارثلهم ولا وصي فاطرق المنصور ساعة ثم قال ان بني امية ظلموا الناس وغصبوا اموال المسلمين فقال الرجل يحتاج امير المؤمنين الى بينة يقبلها الحاكم تشهد ان المال الذي لبني امية هو الذي في يدي وانه هو الذي غصبوه من الناس وان امير المؤمنين يعلم ان بني امية كانت لهم اموال لانفسهم غير اموال المسلمين التي اغتصبوها على ما يتهم امير المؤمنين قال فسكت المنصور ساعة ثم قال يا ربيع صدق الرجل ما يجب لنا على الرجل شئ ثم قال للرجل ألك حاجة قال نعم قال ما هي قال ان تجمع بيني وبين من سعى في اليك فوالله يا امير المؤمنين ما لبني امية عندي مال ولا سلاح وانما احضرت بين يديك وعلمت ما انت فيه من العدل والانصاف واتباع الحق واجتناب المظالم فايقنت ان الكلام الذي صدر مني هو انجح واصلح لما سألتني عنه فقال المنصور يا ربيع اجمع بينه وبين الذي سعى به فجمع بينهما فقال يا امير المؤمنين هذا اخذ لي خمسمائة دينار وهرب ولي عليه مسطور شرعي فسأل المنصور الرجل فاقر بالمال قال فما حملك على السعي كاذبا قال اردت قتله ليخلص لي المال فقال الرجل قد وهبتها له يا امير المؤمنين لاجل وقوفي بين يديك وحضوري مجلسك ووهبته خمسمائة دينارا اخرى لكلامك لي فاستحسن المنصور فعله واكرمه ورده الى بلده مكرما وكان المنصور كل وقت يقول ما

رایت مثل هذا الشیخ قط ولا اثبت من جنانه ولا من جهنی مثله ولا رایت مثل حلمه ومروته انتهی

خلافة المهدی

اسمہ محمد بن المنصور (حدثنا) داؤد بن رشید قال قلت للهیثم بن علی بای شئ استحق سعید بن عبد الرحمن ان ولاه المهدی القضاء وانزله منه تلك المنزلة الرفیعة فقال ان خبره باتصاله بالمهدی ظریف فان احببت شرحته لك قلت واللہ قد احببت قال اعلم انه فی الربیع الحاجب حین افضت الخلافة الی المهدی وقال له استاذن لی علی امیر المؤمنین فقال له من انت وما حاجتك قال انا رجل قد رایت لامیر المؤمنین اعزه الله رؤیا صالحة وقد احببت ان تذکرنی له فقال الربیع یا هذا ان القوم لا یصدقون فیما یرونه لانفسهم فکیف بما یراه لهم غیرهم فاحتل بحیلة غیر هذه فقال له ان لم تخبره بمکانی سألت من یوصلنی الیه واخبره انی سألتك الاذن لی علیه فلم تفعل فدخل الربیع علی المهدی فقال له یا امیر المؤمنین انکم قد اطمعتم الناس فی انفسکم فقد احتالوا علیکم بکل ضرب فقال له المهدی هکذا تصنع الملوك فماذا قال رجل بالباب یزعم انه رأی لامیر المؤمنین ایده الله رؤیا حسنة وقد احب ان یقصها علیك فقال المهدی یا ربیع انی والله اری الرؤیا لنفسی فلا تصح لی فکیف یمکن ادعاؤها من لعله قد افتعلها قال والله قلت له مثل هذا فلم یقبل قال هات الرجل قال فادخل علیه سعید وکان له رؤیا وجمال ومروة ظاهرة ولحیة عظیمة ولسان طلق فقال له ما رایت بارك الله فیك قال رایت یا امیر المؤمنین آتیا اتانی فی منامی فقال اخبر امیر المؤمنین انه یعیش ثلاثین سنة فی الخلافة وآیة ذلك انه یری فی لیلته الآتیة فی منامه کانه یقلب یواقیت ثم یعدها فیجدهم ثلاثین یاقوتة کانها قد وهبت له فقال المهدی ما احسن ما رایت ونحن نمتحن رؤیاك فی لیلتنا المقبلة علی ما اخبرتنا فان کان الامر علی ما ذکرت اعطیناك فوق ما ترید وان کان الامر بخلاف ذلك لم نعاقبك لعلمنا ان الرؤیا الصالحة ربما صدقت وربما اختلفت قال سعید یا امیر المؤمنین فماذا اصنع انا الساعة

اذا صرت منزلي وعيالي واخبرتهم اني كنت عند امير المؤمنين اكرمه الله
ثم رجعت صفر اليد فقال له المهدي فكيف نعمل فقال يعجل لي امير المؤمنين
اعزه الله تعالى ما احب واحلف له بالطلاق اني قد صدقت فامر له بعشرة
آلاف درهم وأمر بان يؤخذ له كفيل ليحضر من غد ذلك اليوم فقبض المال
وقال له من يكفلك فمد عينيه الى خادم حسن الوجه والزي وقال هذا يكفلني
فقال له المهدي اتكفله يا غلام فاحمر وخجل وقال نعم يا امير المؤمنين نكفله
وانصرف سعيد بن عبد الرحمن بالعشرة آلاف درهم فلما كانت تلك الليلة
رأى المهدي ما ذكره له سعيد حرفا بحرف واصبح سعيد فوافى الباب واستأذن
فأذن له فلما وقعت عين المهدي عليه قال له ابن مصداق ما قلت لنا عليه
فقال له سعيد وما رأى امير المؤمنين فضجع في جوابه فقال له امرأتي
طالق ان لم تكن رايت شيئا قال له المهدي ما اجراك على هذا الحلف بالطلاق
فقال لاني احلف على صدق قال له المهدي فقد والله رايت ذلك مبينا
فقال له سعيد الله اكبر فانجز لي يا امير المؤمنين ما وعدتني قال حبا وكرامة
ثم امر له بثلاثة آلاف دينار وعشرة تخوت ثياب من كل صنف وثلاثة مراكب
من انفس دوابه محلاة فاخذ ذلك وانصرف فلحق به الخادم الذي كان
كفله وقال له سالتك بالله هل لهذه الرؤيا من اصل فقال سعيد لا والله فقال
الخادم كيف وقد رأى امير المؤمنين ما ذكرته قال هذا من المخاريف التي لا اب
لها وذلك لما القيت له هذا الكلام خطر بباله وحدث به نفسه واسر به قلبه
واشتغل به فكره ففي ساعة نام خيل له ما حل في قلبه واشتغل به فكره فنام
فرآه فقال له الخادم قد حلفت بالطلاق قال طلقة واحدة وبقيت معي على
ثنتين وازيد مهرها عشرة دراهم واحصل على عشرة آلاف درهم وثلاثة
آلاف دينار وعشر تخوت من اصناف الثياب وثلاثة مراكب فاوهنه فبهت الخادم
وتعجب من ذلك فقال له سعيد قد اصدقتك وجعلت ذلك مكافاتك على

كفالتك فاستتر على ثم طلبه المهدى لمنادمته فنادمه وحظى عنده وقلده النفقة
على العسكر فلم يزل حتى مات انتهى (ويحكى) ان المهدى خرج يتصيد فغار به
فرسه حتى دخل الى خباء اعرابى فقال يا اعرابى هل من قرى قال نعم فاخرج له
قرص شعير فاكله ثم اخرج له فضلة من لبن فسقاه ثم اتاه بنبيذ فى ركوة فسقاه
قعبا فلما شرب قال يا اخا العرب اتدرى من انا قال لا والله قال انا من خدم
امير المؤمنين الخاصة قال له بارك الله فى موضعك ثم سقاه قعبا آخر فشربه
فقال يا اعرابى اتدرى من انا قال زعمت انك من خدم امير المؤمنين الخاصة
قال لا بل انا من قواد امير المؤمنين قال رحبت بلادك وطاب مرادك ثم سقاه
ثالثا فلما فرغ منه قال يا اعرابى اتدرى من انا قال زعمت انك من قواد امير
المؤمنين قال لا ولكنى امير المؤمنين فاخذ الاعرابى الركوة واوكاها وقال
والله لو شربت الرابع لادعيت انك رسول الله فضحك المهدى حتى غشى عليه
واحاطت به الخيل ونزلت اليه الملوك والاشراف فطار قلب الاعرابى فقال
له لا بأس عليك ولا خوف ثم امر له بكسوة ومال انتهى (وقيل) كان لاسماء
بنت المهدى جارية يقال لها كاعب وكانت بكرا ناهدا ذات حسن وجمال وقد
واعتدال وكانت بنت ستة عشر سنة قال فتلاعب عليها ابو نواس لينيلها
فمنعت منه مرارا فظفر بها ليلة من الليالى فى ناحية من نواحى القصر فمسكها
فبكت وقالت الموت دون ذلك فقال ابو نواس فى نفسه هذا جزع الابكار
فتركها مدة فاتفق له انه خرج من القصر ليلة وقد رفرف الدجى فوجدها
نائمة سكرانة فتقرب منها وحل سراويل من وسطها ودهمها فاذا هى خالية
من البكارة فارتاع وظن انه يكون اتاها ادم فلم يجد وقام عنها وندم على
ما كان منه واخذ يقول

وناهدة الثديين من خدم القصر	مرفرقة الخدين ليلية الشعر
كلفت بها دهرا على حسن وجهها	طويلا وصاحب الكواعب من امرى

فمازلت بالاشعار حتى خدعتها	وروضتها والشعر من خدع السحر
الطالبها شيئا فقالت بعبرة	اموت به داء ودمعها تجرى
فلما تعانقنا توسطت لجة	غرقت بها يا قوم فى لجج البحر
فصحت اغثنى يا غلام فجاءنى	وقد زلقت رجلى ورحت الى الصدر
ولولا صياحى بالغلام وانه	تداركنى بالحبل رحت الى القعر
فاقسمت عمرى لا ركبت سفينة	ولاسرت طول الدهر الا على الظهر

(حكاية اجنبية) قال المبرد صعدت من البصرة الى بغداد فمررت بدير العاقول فرايت مجنونا فيه فلم ارقط اظرف منه ولا احسن شيا وبيده الواحدة

(على صدره فلما دنوت منه انشأ يقول)

الله يعلم اننى كمد	لا استطيع ابث ما اجد
روحان لى روح تملكها	بلد واخرى حازها بلد
وارى القيامة ليس ينفعها	صبر وليس لمثلها جلد
واظن طاعنتى كشاهدتى	بمكانها تجد الذى اجد

فقلت احسنت والله لله درك يا مجنون فاهوى بشئ برمينى به فبعدت عنه فقال لى اشدتك ما تجيد واستحسنته وتقول لى يا مجنون وتكون مع الزمان على فقلت لما خطأت فقال اذن اعترفت بخطائك ثم قال انشدك شعرا

(ايضا فقلت نعم فانشأ يقول)

ما اقتل البين للمحب وما	اوجع قلب المحب بالكمد
عرضت نفسى على البلاء لقد	اسرع فى مهجتى وفى كبدى
يا حسرة ان ابيت معتقلا	بين اعتلاج الهموم والسهد

(فقلت احسنت والله زدنا فقال)

ان فتشونى فمحرق الكبد	او كشفونى فناحل الجسد
اضعف ما بى وزادنى الما	ان لست اشكو النوى الى احد

الا ما ارادوا وانصار هؤلاء شركاءك في سلطانك وانت غافل عنهم د
الى بابك وجدك او قفت رجلا ينظر في مظالم الناس فان كان الظا
على صاحب المظالم بالمظلوم وسوف من وقت الى وقت فاذا اجتهد
صرخ بين يديك فضربه اعوانك ضربا شديدا ليكون نكالا لغيره وانت
ولا تنكر ولقد كانت الخلفاء قبلك من بني امية اذا اتت اليهم الظلامة از
ولقد كنت اسافر الصين يا امير المؤمنين فقدمت مرة فوجدت الملك
قد فقد سمعه فبكى فقال له وزراؤه ما يبكيك ايها الملك لا ابكى الله لك
من خشيته فقال والله ما بكيت لمصيبة نزلت بي وانما ابكي لمظلوم يصرخ با
فلا اسمعه ثم قال ان كان سمعي ذهب فان بصري لم يذهب نادوا في الناس لا
احد ثوبا احمر الا مظلوم وكان يركب الفيل طرفي النهار ويدور في البلد لعله
لابسا ثوبا احمر فيعلم انه مظلوم فينصفه هذا يا امير المؤمنين رجل مشرك غلبت
رأفته على شح نفسه بالمشركين وانت مؤمن بالله ورسوله وابن عم رسول الله صلى الله
عليه وسلم يا امير المؤمنين لا تجمع الاموال الا لاحدى ثلاث ان قلت انما اجمع المال
لمصالح الملك فقد اراك الله عبرة في الملوك والقرون من قبلك ما اغنى عنهم ما اعدوا من
الاموال والرجال والكراع حين اراد الله بهم ما اراد وان قلت انما اجمع للولد فقد
اراك الله عبرة فيمن تقدم ممن جمع المال للولد فلم يغن ذلك عنهم شيئا بل ربما مات
فقيرا ذليلا حقيرا وان قلت انما اجمعه لغاية هي اجسم من الغاية التي انت فيها فوالله
ما فوق منزلتك الا منزلة لا تدرك الا بالعمل الصالح فبكى المنصور بكاء شديدا ثم
قال وكيف اعمل وقد فرت مني العباد ولم تقربني والصالحون ولم يدخلوا على فقال
يا امير المؤمنين افتح الباب وسهل الحجاب وانتصر المظلوم وخذ المال مما حل وطاب
واقسم بالحق والعدل وانا ضامن من هرب ان يعود اليك فقال المنصور نفعل
ان شاء الله تعالى وجاء المؤذن فأذن للصلاة فقام وصلى فلما قضى صلاته طلب
الرجل فلم يجده فقال لصاحب الشرطة على بالرجل الساعة فخرج يتطلبه فوجده عند

به ثم بغى عليه لينصرنه الله
ج العمة لم يكن له ان يتزوج
بين بينه وبينها استيفاء لها و
الى منزلك انتهى وذكر
عليهم وانهم عاشوا سعداء
ن مروان بن محمد في جيشك
ال السلام عليك يا امير
ن ولم تسمح نفسي بذلك
يا امير المؤمنين كنت
كل واحد الف دينا
وخرجت هاربا
واقرئه السلام
ثم اقبل ومعه
بك الى
تل له ما
ذهب
ك
اغد

فقالت العجوز ان اسفرت فضيت لها فقلت لها اسفري فاسفرت عن وجه والله ما ظننت
انه يكون مثله الا في الجنة فقالت اصلح الله القاضي هذه عمتي مات والدي وتركني
يتيمة في حجرها فربتني فاحسنت التربية حتى اذا بلغت مبلغ النساء قالت لي يا بنت
اخي هل لك في التزويج قلت ما اكره ذلك يا عمة قالت العجوز نعم قالت فخطبني وجوه
اهل الكوفة فلم ترض الا رجلا صيرفيا فتزوجني فكنا كأننا ريحانتان ما يظن ان الله
خلق غيري وما اظن ان الله خلق غيره يغدو الى سوقه ويروح علي بما رزقه الله تعالى
فلما رات العمة موقعه مني وموقعي منه حسدتنا على ذلك وكانت لها ابنة فشوفتها
وهيأتها لدخول زوجي فوقعت عينه عليها فقال يا عمة هل لك ان تزوجيني
ابنتك قالت نعم بشرط فقال لها وما الشرط قالت تصير امر ابنة اخي الي قال قد صيرت
امرها اليك قالت فاني قد طلقتها ثلاثا ثابتة وزوجت ابنتها من زوجي فكان
يغدو عليها ويروح فقلت لها يا عمتي اتأذنين لي ان انتقل عنك قالت نعم فانتقلت
عنها وكان لعمتي زوج غائب فقدم فلما توسط منزلها قال ما لي لا ارى ربيبتنا
قالت طلقها زوجها فانتقلت عنا فقال ان لها من الحق علينا ان نعزيها بمصيبتها
فلما بلغني مجيئه الي تهيأت له وتشوفت فلما دخل علي عزاني بمصيبتي ثم قال ان فيك
بقية من الشباب فهل لك ان اتزوج بك قلت ما اكره ذلك ولكن على شرط قال لي
وما الشرط قلت تصير امر عمتي بيدي قال فاني قد فعلت وصيرت امرها بيدك قلت
فاني قد طلقتها ثلاثا ثابتة قالت فقدم علي بثقله من الغد ومعه ستة آلاف درهم
فاقام عندي ما اقام ثم انه اغتسل وتوفي فلما انقضت عدتي جاء زوجي الاول الصيرفي
يعزيني بمصيبتي فلما بلغني مجيئه تهيأت وتشوفت له فلما دخل علي قال لي يا فلانة
انك لتعلمين انك كنت اعز الناس علي واحبهم الي وقد حلت المراجعة فهل لك
في ذلك قلت ما اكره ذلك ولكن اجعل امر ابنة عمتي بيدي قال فاني قد فعلت
قلت فاني قد طلقتها ثلاثا ثابتة اصلح الله القاضي فرجعت الى زوجي فما اعتدائي
عليها فقالت العجوز انا فعلت مرة وفعلت هي مرة بعد اخرى فقالت ان الله وقت

فی هذا وقتا وقد قال ومن عاقب بمثل ما عوقب به ثم بغی علیه لینصرنه الله
فواحدة بواحدة والبادی اظلم فقال القاضی ان زوج العمة لم یکن له ان یتزوج
ابنة اخیها وهی فی مدته فارادت العجوز ان تتولی التفریق بینه وبینها استیفاء لها او
مجازاة لها علی فعلها فقلت لها قد فرقت بینکما قومی الی منزلک انتهی وذکر
المنصور یوما فی مجلسه زوال ملک بنی امیة وما جری علیهم وانهم عاشوا سعداء
وماتوا فقراء فقال له اسماعیل بن علی الهاشمی ان عبد الله بن مروان بن محمد فی حبسک
وله قصة مع ملک النوبة فاحضره واسأله عنها فاحضره فقال السلام علیک یا امیر
المؤمنین ورحمة الله وبرکاته فقال المنصور رد السلام امن ولم تسمح نفسی بذلک
ولکن اقعد فقعد فقال ما قصتک مع ملک النوبة فقال یا امیر المؤمنین کنت
ولی عهد ابی فلما طلبتنا دعوت عشرة من غلمانی ودفنت لکل واحد الف دینار
واوسقت خمس بغال وشددت فی وسطی جوهر الدقیقة عظیمة وخرجت هاربا
الی بلاد النوبة فلما قربنا بعثت غلاما لی فقلت امض لی هذا الملک واقرئه السلام
وخذ لنا منه الامان وابتغ لنا مسیرة فمضی وابطأ حتی اسات به الظن ثم اقبل ومعه
رجل فدخل وسلم وقال الملک یقرئک السلام ویقول لک من انت وما جاء بک الی
بلادی امحارب ام راغب فی دینی ام مستجیر بی فقلت له رد علی الملک وقل له ما
انا بمحارب ولا راغب فی دینک ولا ممن یبتغی بدینه بدلا بل مستجیر به فذهب
الرسول ورجع الی وقال الملک یقول لک انی اجیء الیک غدا فلا تحدث نفسک
حدثا ولا شیئا من المیرة فقلت لاصحابی افرشوا الفرش ففرش لی وجلست من الغد
ارقبه واذا هو قد اقبل وعلیه بردان قد اتزر باحدهما وارتدی بالآخر حافی الرجلین
ومعه عشرة معهم الحراب ثلاثة یقدمونه وسبعة خلفه فاستصغرت امره وسولت
لی نفسی قتله فلما قرب اذا سواد عظیم قلت ما هذا قالوا الخیل فوافی بها عشرة
الآف عنان ووافت الخیل عند دخوله فاحدقوا بنا فلما دخل جلس علی الارض
قال فقلت لترجمانه لم لم یقعد علی الموضع الذی وطئ له فسأله فقال قل له انه

ملك وكل ملك حقه ان يكون متواضعا لله وعظمته اذ رفعه الله على عباده ثم
نكث باصبعه الارض طويلا ورفع راسه وقال لى كيف سلبتم هذا الملك
فاخذ منكم وانتم اقرب الناس الى نبيكم فقلت جاء من هو اقرب منا قرابة اليه
فسلبنا وغلبنا وطردنا فخرجت اليك مستجيرا بالله ثم بك قال فلم كنتم تشربون
الخمر وهو محرم عليكم قلت فعل ذلك عبيد واعاجم دخلوا فى ديننا وفى ملكنا
من غير راينا قال فلم تركبون على الديباج وعلى خيولكم سروج الذهب والفضة
وهى محرمة عليكم قلت فعل ذلك عبيد واعاجم دخلوا في ديننا وفى ملكنا
بغير راينا قال فلم كنتم اذا خرجتم الى الصيد مررتم على القرى وكلفتم اهلها ما لا
طاقة لهم به بالضرب والاهانة ولا يقنعكم ذلك حتى تحطوا زرعهم فى طلب دراج قيمته
نصف درهم والتكاليف والعناء محرم عليكم قلت فعل ذلك عبيد وغلمان واتباع
قال لا ولكنكم استحللتم ما حرم الله عليكم واتيتم ما نهاكم الله عنه فسلبكم الله العز
والبسكم الذل ونصر اعداءكم عليكم والله فيكم نقمة لم تبلغ غايتها بعد وانى اخاف
ان ينزل بك النقمة اذا كنت من الظلمة فتشملنى معك فان النقمة اذا نزلت شملت
فاخرج بعد ثلاث فان وجدتك بعدها اخذت ما معك وقتلتك ومن معك
ثم وثب قائما وخرج واقمت ثلاثا ورجعت الى مصر فاخذنى عاملك وبعث بى
اليك وها انا ذا والموت احب الى من الحياة فرق له المنصور وهم باطلاقه فقال
له اسمعيل بن على فى عنقى تبعة هذا قال فما ترى قال ينزل فى دار من دورنا و
يجرى عليه ما يجرى على مثله ففعل به ذلك انتهى وخطب المنصور يوما بالشام
فقال ايها الناس ينبغى لكم ان تحمدوا الله تعالى على ما وهبكم الله فى زمانى منذ
وليتكم صرف الله عنكم الطاعون الذى كان يجيئكم فقال له اعرابى ان الله اكرم من
ان يجمع علينا انت والطاعون ودخل ابن هرمة على المنصور وامتدحه فقال له
المنصور سل حاجتك قال تكتب الى عاملك بالمدينة انه اذا وجدنى سكران
لا يحدنى فقال له المنصور هذا حد لا سبيل الى تركه فقال ما لى حاجة غيرها

فقال

فقال لكتابته اكتب الى عاملنا بالمدينة من اتاك بابن هرمة وهو سكران فاجلده ثمانين واجلد الذى جاء به مائة فكان الشرط يمرون عليه وهو سكران ويقولون من يشترى ثمانين بمائة فيمرون عليه ويتركونه انتهى (وحدث) احمد بن موسى قال ما رايت رجلا اثبت جنانا ولا احسن معرفة ولا اظهر حجة من رجل رفع فيه عند المنصور بان عنده اموالا لبنى امية فامر المنصور حاجبه الربيع ان يحضره فلما حضر بين يديه قال المنصور رفع الينا ان عندك ودائع واموالا وسلاحا لبنى امية فاخرجها لنا لنجمع ذلك الى بيت المال فقال الرجل يا امير المؤمنين انت وارث لبنى امية قال لا قال فلم تسأل اذن عما فى يدى من اموال بنى امية ولست بوارث لهم ولا وصى فاطرق المنصور ساعة ثم قال ان بنى امية ظلموا الناس وغصبوا اموال المسلمين فقال الرجل يحتاج امير المؤمنين الى بينة يقبلها الحاكم تشهد ان المال الذى لبنى امية هو الذى فى يدى وانه هو الذى غصبوه من الناس وان امير المؤمنين يعلم ان بنى امية كانت لهم اموال لانفسهم غير اموال المسلمين التى اغتصبوها على ما يتهم امير المؤمنين قال فسكت المنصور ساعة ثم قال يا ربيع صدق الرجل ما يجب لنا على الرجل شئ ثم قال للرجل ألك حاجة قال نعم قال ما هى قال ان تجمع بينى وبين من سعى فى اليك فوالله يا امير المؤمنين ما لبنى امية عندى مال ولا سلاح وانما احضرت بين يديك وعلمت ما انت فيه من العدل والانصاف واتباع الحق واجتناب المظالم فايقنت ان الكلام الذى صدر منى هو انجح واصلح لما سألتنى عنه فقال المنصور يا ربيع اجمع بينه وبين الذى سعى به فجمع بينهما فقال يا امير المؤمنين هذا اخذ لى خمسمائة دينار وهرب ولى عليه مسطور شرعى فسأل المنصور الرجل فاقر بالمال قال فما حملك على السعى كاذبا قال اردت قتله ليخلص لى المال فقال الرجل قد وهبتها له يا امير المؤمنين لاجل وقوفى بين يديك وحضورى مجلسك ووهبته خمسمائة دينار اخرى لكلامك لى فاستحسن المنصور فعله واكرمه ورده الى بلده مكرما وكان المنصور كل وقت يقول ما

رایت مثل هذا الشیخ قط ولا اثبت من جنانه ولا من حجنی مثله ولا رایت مثل حلمه و مروته اشهر

خلافة المهدی

اسمه محمد بن المنصور (حدثنا) داؤد بن رشید قال قلت للهیثم بن علی بابی شیئ استحق سعید بن عبد الرحمن ان ولاه المهدی القضاء وانزله منه تلک المنزلة الرفیعة فقال ان خبره باتصاله بالمهدی ظریف فان احببت شرحته لک قلت والله قد احببت قال اعلم انه فی الربیع الحاجب حین افضت الخلافة الی المهدی وقال له استأذن لی علی امیر المؤمنین فقال له من انت وما حاجتک قال انا رجل قد رایت لامیر المؤمنین اعزه الله رؤیا صالحة وقد احببت ان تذکرنی له فقال الربیع یا هذا ان القوم لا یصدقون فیما یرونه لانفسهم فکیف بما یراه لهم غیرهم فاحتل بحیلة غیر هذه فقال له ان لم تخبره بمکانی سألت من یوصلنی الیه واخبره انی سألتک الاذن لی علیه فلم تفعل فدخل الربیع علی المهدی فقال له یا امیر المؤمنین انکم قد اطمعتم الناس فی انفسکم فقد احتالوا علیکم بکل ضرب فقال له المهدی هکذا تصنع الملوک فماذا قال رجل بالباب یزعم انه رأی لامیر المؤمنین ایده الله رؤیا حسنة وقد احب ان یقصها علیک فقال المهدی یا ربیع انی والله اری الرؤیا لنفسی فلا تصح لی فکیف یمکن ادعاؤها من لعله قد افتعلها قال والله قلت له مثل هذا فلم یقبل قال هات الرجل قال فادخل علیه سعید وکان له رؤیا وجمال ومروة ظاهرة ولحیة عظیمة ولسان طلق فقال له ما رایت بارک الله فیک قال رایت یا امیر المؤمنین آتیا اتانی فی منامی فقال اخبر امیر المؤمنین انه یعیش ثلاثین سنة فی الخلافة وآیة ذلک انه یری فی لیلته الآتیة فی منامه کانه یقلب یواقیت ثم یعدها فیجدهم ثلاثین یاقوتة کانها قد وهبت له فقال المهدی ما احسن ما رایت ونحن نمتحن رؤیاک فی لیلتنا المقبلة علی ما اخبرتنا فان کان الامر علی ما ذکرت اعطیناک فوق ما ترید وان کان الامر بخلاف ذلک لم نعاقبک لعلمنا ان الرؤیا الصالحة ربما صدقت وربما اختلفت قال سعید یا امیر المؤمنین فماذا اصنع انا الساعة

اذا صرت منزلی وعیالی واخبرتهم انی کنت عند امیر المؤمنین اکرمه الله
ثم رجعت صفر الید فقال له المهدی فکیف نعمل فقال یعجل لی امیر المؤمنین
اعزه الله تعالی ما احب واحلف له بالطلاق انی قد صدقت فامر له بعشرة
آلاف درهم وأمر بان یؤخذ له کفیل لیحضر من غد ذلک الیوم فقبض المال
وقال له من یکفلك فمد عینیه الی خادم حسن الوجه والزی وقال هذا یکفلنی
فقال له المهدی اتکفله یا غلام فاحمر وخجل وقال نعم یا امیر المؤمنین نکفله
وانصرف سعید بن عبد الرحمن بالعشرة آلاف درهم فلما کانت تلك اللیلة
رأی المهدی ما ذکره له سعید حرفا بحرف واصبح سعید فوافی الباب واستأذن
فأذن له فلما وقعت عین المهدی علیه قال له این مصداق ما قلت لنا علیه
فقال له سعید وما رأی امیر المؤمنین فضجع فی جوابه فقال له امرأتی
طالق ان لم تکن رایت شیئا قال له المهدی ما اجراك علی هذا الحلف بالطلاق
فقال لانی احلف علی صدق قال له المهدی فقد والله رایت ذلك مبینا
فقال له سعید الله اکبر فانجز لی یا امیر المؤمنین ما وعدتنی قال حبا وکرامة
ثم امر له بثلاثة آلاف دینار وعشرة تخوت ثیاب من کل صنف وثلاثة مراکب
من انفس دوابه محلاة فاخذ ذلك وانصرف فلحق به الخادم الذی کان
کفله وقال له سالتك بالله هل لهذه الرؤیا من اصل فقال سعید لا والله فقال
الخادم کیف وقد رأی امیر المؤمنین ما ذکرته قال هذا من المخاریف التی لا اب
لها وذلك لما القیت له هذا الکلام خطر ببالـه وحدث به نفسه واسر به قلبه
واشتغل به فکره ففی ساعة نام خیل له ما حل فی قلبه واشتغل به فکره فنام
فرآه فقال له الخادم قد حلفت بالطلاق قال طلقة واحدة وبقیت معی علی
ثنتین وازید مهرها عشرة دراهم واحصل علی عشرة آلاف درهم وثلاثة
آلاف دینار وعشر تخوت من اصناف الثیاب وثلاثة مراکب فاوهت فبهت الخادم
وتعجب من ذلك فقال له سعید قد اصدقتك وجعلت ذلك مکافاتك علی

كفالتك فاستتر على ثم طلبه المهدى لمنادمته فنادمه وحظى عنده وقلده النفقات على العسكر فلم يزل حتى مات انتهى (ويحكى) ان المهدى خرج يتصيد فغار به فرسه حتى دخل الى خباء اعرابى فقال يا اعرابى هل من قرى قال نعم فاخرج له قرص شعير فاكله ثم اخرج له فضلة من لبن فسقاه ثم اتاه بنبيذ فى ركوة فسقاه قعبا فلما شرب قال يا اخا العرب اتدرى من انا قال لا والله قال انا من خدم امير المؤمنين الخاصة قال له بارك الله فى موضعك ثم سقاه قعبا آخر فشربه فقال يا اعرابى اتدرى من انا قال زعمت انك من خدم امير المؤمنين الخاصة قال لا بل انا من قواد امير المؤمنين قال رحبت بلادك وطاب مرادك ثم سقاه ثالثا فلما فرغ منه قال يا اعرابى اتدرى من انا قال زعمت انك من قواد امير المؤمنين قال لا ولكنى امير المؤمنين فاخذ الاعرابى الركوة واوكاها وقال والله لو شربت الرابع لادعيت انك رسول الله فضحك المهدى حتى غشى عليه واحاطت به الخيل ونزلت اليه الملوك والاشراف فطار قلب الاعرابى فقال له لا بأس عليك ولا خوف ثم امر له بكسوة ومال انتهى (وقيل) كان لاسماء بنت المهدى جارية يقال لها كاعب وكانت بكرا ناهدا ذات حسن وجمال وقد واعتدال وكانت بنت ستة عشر سنة قال فتلاعب عليها ابو نواس لينيلها فمنعت منه مرارا فظفر بها ليلة من الليالى فى ناحية من نواحى القصر فمسكها فبكت وقالت الموت دون ذلك فقال ابو نواس فى نفسه هذا جزع الابكار فتركها مدة فاتفق له انه خرج من القصر ليلة وقد رفرق الدجى فوجدها نائمة سكرانة فتقرب منها وحل سراويل من وسطها ودهمها فاذا هى خالية من البكارة فارتاع وظن انه يكون اتاها ادم فلم يجد وقام عنها وندم على ما كان منه واخذ يقول

وناهدة الثديين من خدم القصر	مرفرقة الخدين ليلية الشعر
كلفت بها دهرا على حسن وجهها	طويلا وصاحب الكواعب من امرى

فمازلت بالاشعار حتى خدعتها	وروضتها والشعر من خدع السحر
الطالبها شيئا فقالت بعبرة	اموت به داء ودمعتها تجرى
فلما تعانقنا توسطت لجة	غرقت بها يا قوم فى لجج البحر
فصحت اغثنى يا غلام فجاءنى	وقد زلقت رجلى ورحت الى الصدر
ولولا صياحى بالغلام وانه	تداركنى بالحبل رحت الى القعر
فاقسمت عمرى لاركبت سفينة	ولا سرت طول الدهر الا على الظهر

(حكاية اجنبية) قال المبرد صعدت من البصرة الى بغداد فمررت بدير العاقول فرايت مجنونا فيه فلم ارقط اظرف منه ولا احسن شيابا وبيده الواحدة على صدره فلما دنوت منه انشأ يقول

الله يعلم اننى كمد	لا استطيع ابث ما اجد
روحان لى روح تملكها	بلد واخرى حازها بلد
وارى القيامة ليس ينفعها	صبر وليس لمثلها جلد
واظن طاعنتى كشاهدتى	بمكانها تجد الذى اجد

فقلت احسنت والله لله درك يا مجنون فاهوى بشىء يرمينى به فبعدت عنه فقال لى اشدتك ما تحبه واستحسنته وتقول لى يا مجنون وتكون مع الزمان على فقلت له اخطأت فقال اذن اعترفت بخطائك ثم قال انشدك شعرا ايضا فقلت نعم فانشأ يقول

ما اقتل البين للمحب وما	اوجع قلب المحب بالكمد
عرضت نفسى على البلاء لقد	اسرع فى مهجتى وفى كبدى
يا حسرة ان ابيت معتقلا	بين اعتلاج الهموم والسهد

فقلت احسنت والله زدنا فقال

ان فتشونى فحرق الكبد	او كشفونى فناحل الجسد
اضعف ما بى وزادنى الما	ان لست اشكو النوى الى احد

فقلت احسنت والله زدنا فقال يا فتى اراك كلما انشدتك بيتا قلت زدنا وما ذاك الا لمفارقة حبيب وخل اريب ثم قال حسبك ابا العباس المبرد بالله انت هو قلت انا ذلك فمن اين عرفتني فقال وهل يخفى القمر ثم قال يا ابا العباس انشدني من شعرك شيئا تنتعش به روحي فانشدته فقلت

بكيت حتى بكى من رحمتي الطلل ... ومن بكائي بكت عيناي اذ رحلوا
يا منزل الحي اين الحي قد نزلوا ... نفسي تساق اذا ما سيقت الابل
انعم صباحا سقاك الله من طلل ... عينا وجاد عليك الوابل الهطل
سقيا لعهدهم والدار جامعة ... والشمل ملتئم والحبل متصل
فطال ما قد نعمنا والحبيب بها ... والدهر يبعد والواشون قد غفلوا
قد غير الدهر ما قد كنت اعرفه ... والدهر ذو دول بالناس ينتقل
بانوا فبان الذي قد كنت آمله ... والبين اعظم ما يبلى به الرجل
فالشمل مفترق والقلب محترق ... والدمع منسكب والركب مرتحل
كان قلبي لما سار عيسهم ... صب به دنف او شارب ثمل
لما اناخوا قبيل الصبح عيسهم ... وثوروها وسارت بالهوى الابل
وقلبت من خلال السجن ناظرها ... ترنوا الي ودمع العين منهمل
يا حادي العيس عرج بي اودعهم ... يا حادي العيس في ترحالك الاجل
اني وحقك لا انسى مودتهم ... يا ليت شعري لطول العهد ما فعلوا

قال ابو العباس المبرد فلما اتممت شعري قال لي ما فعلوا قلت ماتوا فصاح صيحة عظيمة وخر مغشيا عليه فحركته فوجدته قد مات رحمة الله عليه انتهى

خلافة موسى الهادي ابن محمد

لم ار فيه شيئا ومن رأى فيه شيئا فليضعه قال بعض الفضلاء من حيث ان المؤلف امر بان من راى فيه شيئا فليضعه فرايت هذا النثر واليسير مذكورا في تاريخ الاسحاقي فاحببت ذكره امتثالا لامره فقلت ذكر صاحب لسكردان

ان الهادى كان يوما فى بستان يتنزه على حمار ولا سلاح معه وبحضرته جماعة من خواصه واهل بيته فدخل عليه حاجبه واخبره ان بالباب بعض الخوارج له باس ومكايد وقد ظفر به بعض القواد فامر الهادى بادخاله فدخل عليه بين رجلين قد قبضا على يديه فلما ابصر الخارجى الهادى جذب يديه من الرجلين واختطف سيف احدهما وقصد الهادى ففر كل من كان حوله وبقى وحده وهو ثابت على حماره حتى اذا دنا منه الخارجى وهم ان يعلوه بالسيف اوما الى وراء الخارجى واوهمه ان غلاما وراءه وقال يا غلام اضرب عنقه فظن الخارجى ان غلاما وراءه فالتفت الخارجى فنزل الهادى مسرعا عن حماره فقبض على عنق الخارجى وذبحه بالسيف الذى كان معه ثم عاد الى ظهر حماره من فوره واتباع الهادى ينظرون اليه ويتسللون عليه وقد ملئوا منه حياء ورعبا فما عاتبهم ولا خاطبهم فى ذلك بكلمة. ولم يفارق السلاح بعد ذلك اليوم ولم يركب الا جوادا من الخيل فانظر الى هذا المقدار فى ثبات جاش الملوك فانه قل من يفعل ذلك وهذه مرتبة لم يصل اليها احد الا نادرا (حكى عن عبد الحق) انه قال مما ابتلى به الهادى من المحبة انه كان مغرما بجارية تسمى غادرا وكانت من احسن النساء وجها واطيبهن غناء اشتراها بعشرة آلاف دينار فبينما هو يشرب مع ندمائه اذ فكر ساعة وتغير لونه وقطع الشراب فقيل له ما بال امير المؤمنين قال وقع فى قلبى انى اموت وان اخى هارون يلى الخلافة ويتزوج غادرا فامضوا واتونى براسه ثم رجع عن ذلك وامر باحضاره وحكى له ما خطر بباله فجعل هارون يترفق به فقال لا ارضى حتى تحلف لى بكل ما احلفك به انى اذا مت لا تتزوج بها فرضى بذلك وحلف ايمانا غليظة ودخل الى الجارية وحلفها ايضا على مثل ذلك فلم يلبث بعد ذلك سوى شهر ومات وولى الخلافة هارون الرشيد فطلب الجارية فقالت يا امير المؤمنين كيف تصنع بالايمان فقال قد كفرت عنك وعنى ثم تزوج بها ووقعت فى قلبه

موقعا عظيما وافتتن بها اعظم من اخيه الهادي حتى كانت تسكر وتنام في حجره فلا يتحرك ولا ينقلب فبينما هي في بعض الليالي وهي في حجره نائمة اذا بها انتبهت فزعة مرعوبة فقال لها ما بالك فديتك قالت رايت اخاك الهادي الساعة في النوم

فانشد في هذه الابيات

اخلفت عهدي بعد ما	جاورت سكان المقابر
ونسيتني وحنثت في	ايمانك الزور الفواجر
ونكحت غادرة اخي	صدق الذي سماك غادر
لا يهنك الالف الجديد	ولا تدر عنك الدوائر
ولحقتني قبل الصباح	وصرت حيث غدوت صائر

قالت ثم ولى عني وكانت الابيات مكتوبة في قلبي ما نسيت منها كلمة فقال لها هذه احلام الشيطان فقالت كلا والله يا امير المؤمنين ثم اضطربت بين يديه وماتت في تلك الساعة ولا تسأل عن هارون الرشيد وما لقي

بعدها انتهى

خلافة هارون الرشيد ابن محمد المهدي

هو اخو موسى الهادي وهو خامس بني العباس قال ابراهيم الموصلي في تهنئة الخلافة حين ولي الرشيد بعد اخيه موسى الهادي

الم تران الشمس كانت مريضة	فلما اتى هارون اشرق نورها
تلبست الدنيا جمالا بملكه	فهارون واليها ويحيي وزيرها

وقدم اعرابي حين ولي هارون الخلافة فقيل له فيم جئت قال اتيت برسالة قال ائت بها قال اتاني آت في منامي فقال ائت امير المؤمنين فابلغه هذه الابيات

توارثت الخلافة من قريش	تزف اليك ما ابدا عروسا
الى هارون تهدى بعد موسى	تميس وما لها ان لا تميسا

فاعطاه الرشيد عطاء جزيلا وصرفه بويع له بالخلافة في الليلة التي توفي فيها

اخوه وولد فی تلك اللیلة المأمون وكانت لیلة عظیمة لم یر مثلها فی بنی العباس مات فیها خلیفة وولی فیها خلیفة وولد فیها خلیفة ولما بویع الرشید قلد جعفر بن یحیی بن خالد بن برمك وزارته وسیأتی ایقاع الرشید بالبرامكة وسبب ذلك ویحكی ان هارون الرشید مر فی بعض الایام وصحبته جعفر البرمكی واذا هو بعدة بنات یستقون الماء فعرج علیهن یرید الشرب واذا احداهن تقول

قولی لطیفك ینثنی	عن مضجعی وقت المنام
كی استریح وتنطفی	نار تأجج فی العظام
دنف تقلبه الاكف	علی بساط من سقام
اما انا فكما علمت	فهل لوصلك من دوام

فاعجب امیر المؤمنین ملاحتها وفصاحتها فقال لها یا بنت الكرام هذا من قولك ام من منقولك قالت من قولی قال ان كان كلامك صحیحا فامسكی المعنی وغیری القافیة فانشدت تقول

قولی لطیفك ینثنی	عن مضجعی وقت الوسن
كی استریح وتنطفی	نار تأجج فی البدن
دنف تقلبه الأكف	علی بساط من شجن
اما انا فكما علمت	فهل لوصلك من ثمن

فقال لها والآخر مسروق قالت بل كلامی فقال ان كان كلامك ایضا فامسكی المعنی وغیری القافیة فقالت

قولی لطیفك ینثنی	عن مضجعی وقت الرقاد
كی استریح وتنطفی	نار تأجج فی الفؤاد
دنف تقلبه الأكف	علی بساط من حداد
اما انا فكما علمت	فهل لوصلك من سداد

فقال لها و الآخر مسروق فقالت بل كلامي فقال لها ان كان كلامك فلم سكن المعنى وغير القافية فقالت

قولي لطيفك ينثني	عن مضجعي وقت الهجوع
كي استريح وتنطفي	نار تأجج في الضلوع
دنف تقلبه الأكف	على بساط من دموع
اما انا فكما علمت	فهل لوصلك من رجوع

فقال لها امير المؤمنين انت من اي هذا الحي قالت من اوسطه بيتا و اعلاه عمودا فعلم امير المؤمنين انها بنت كبير الحي ثم قالت وانت من اي راعي الخيل فقال من اعلاها شجرة واينعها ثمرة فقبلت الارض وقالت ايد الله امير المؤمنين ودعت له ثم انصرفت مع بنات العرب فقال الخليفة لجعفر لا بد من اخذها فتوجه جعفر الى ابيها وقال له امير المؤمنين يريد ابنتك فقال حبا وكرامة تهدى جارية الى امير المؤمنين مولانا ثم جهزها وحملها اليه فتزوجها ودخل بها فكانت عنده من اعز نسائه واعطى والدها ما يستره بين العرب من الانعام ثم بعد مدة انتقل والدها بالوفاة الى رحمة الله تعالى فورد على الخليفة خبر وفاته فدخل عليها وهو كئيب فلما شاهدته وعليه الكآبة نهضت ودخلت الى حجرتها وقلعت كل ما عليها من الثياب الفاخرة ولبست ثياب الحزن واقامت النعي له فقيل لها ما سبب هذا فقالت مات والدي فمضوا الى الخليفة فاخبروه فقام واتى اليها وسألها من اعلمها بهذا الخبر قالت وجهك يا امير المؤمنين قال كيف ذلك قالت منذ انا عندك ما رايتك هكذا ولم يكن لي من اخاف عليه الا والدي لكبره وتعيش رأسك انت يا امير المؤمنين فتغرغرت عيناه بالدموع وعزاها فيه واقامت مدة وهي حزينة على والدها ثم لحقت به رحمة الله عليهم اجمعين (ويحكى) ان امير المؤمنين هارون الرشيد ارق ذات ليلة فقام يتمشى في قصره بين المقاصير فرأى جارية من جواريه نائمة فاعجبته

نداس على رجلها فانتبهت فرأته امير المؤمنين فاستحيت منه وقالت يا
(امين الله ما هذا الخبر فاجابها بقوله)

قلت ضيف طارق في ارضكم	هل تضيفوه الى وقت السحر

(فاجابته تقول)

بسرور وهناء سيدي	اخدم الضيف بسمعي والبصر

فبات عندها الى الصباح فسأل امير المؤمنين من بالباب من الشعراء قيل له ابو نواس فامر به فدخل عليه فقال له هات على يا امين الله ما

(هذا الخبر فانشأ يقول)

طال ليلي حين وافاني السهر	فتفكرت فاحسنت الفكر
قمت امشي في المجال ساعة	ثم اجري في مقاصير الحجر
فاذا وجه جميل مشرق	زانه الرحمن من بين البشر
فلمست الرجل منها موطئا	فدنت مني ومدت للبصر
واشارت لي بقول مفصح	يا امين الله ما هذا الخبر
قلت ضيف طارق في ارضكم	هل تضيفوه الى وقت السحر
فاجابت بسرور سيدي	اخدم الضيف بسمعي والبصر

قال فتعجب امير المؤمنين من ذلك وامر له بصلة (ويحكى) ان هارون الرشيد هجر جارية له ثم لقيها في بعض الليالي في القصر سكرى تدور في جوانب القصر وعليها مطرف خز وهي تسحب اذيالها من التيه والعجب وسقط رداؤها عن منكبيها والريح ابان نهدها كانهما رمانتان ولها ردفان ثقيلان فراودها عن نفسها فقالت يا امير المؤمنين هجرتني هذه المدة وليس لي علم بملاقاتك فانظرني الى غد حتى اتهيأ وآتيك فلما اصبح قال للحاجب لا تدع احدا يدخل علي الا فلانة وانتظرها فلم تجي فقام ودخل عليها وسألها انجاز الموعد فقالت يا امير المؤمنين كلام الليل يمحوه النهار فقام واستدعى من

بالباب من الشعراء فدخل عليه ابو نواس والرقاشي وابو مصعب فقال لهم هاتوا على كلام الليل يمحوه النهار فقال الرقاشي انا قائل في ذلك ثلاث

(ابيات وانشأ يقول)

انسلوها وقلبك مستطار	وقد منع القرار فلا قرار
وقد تركتك صبا مستهاما	فتاة لا تزور ولا تزار
فولت وانثنت تيها وقالت	كلام الليل يمحوه النهار

(وقال ابو مصعب وانا قائل في ذلك ثلاثة ابيات وانشأ يقول)

اما والله لو تجدين وجدي	لما وسعتك في بغداد دار
اما يكفيك ان العين عبرى	ومن ذكراك في الاحشاء نار
تبسمت الفتاة بغير ضحك	كلام الليل يمحوه النهار

(وقال ابو نواس وانا قائل في ذلك اربعة ابيات وانشأ يقول)

وخود اقبلت في القصر سكرى	ولكن زين السكر الوقار
وهز الريح اردافا ثقالا	وغصنا فيه رمان صغار
وقد سقط الرداعن منكبيها	من التخميش وانحل الازار
فقلت الوعد سيدتي فقالت	كلام الليل يمحوه النهار

فقال الرشيد قاتلك الله كانك كنت معنا او مطلعا علينا وامر لكل بخلعة سنية وخمسة آلاف درهم ولأبي نواس بعشرة آلاف درهم انتهى (وذكر) الخطيب في بعض مصنفاته ان الرشيد دخل يوما وقت الظهر الى مقصورة جارية تسمى الخيزران على غفلة منها فوجدها تغتسل فلما رأته تجللت بشعرها حتى لم ير من جسدها شيئا فاعجبه ذلك الفعل واستحسنه ثم عاد الى مجلسه وقال من بالباب من الشعراء قالوا ابو نواس وبشار فقال ليحضرا جميعا فاحضرا فقال الرشيد ليقل كل منكما ابياتا توافق ما في نفسي فانشأ بشار يقول

تحييتكم والقلب صار اليكم	بنفسي ذاك المنزل المتحبب

١٠١ / ١١

اذا ذكروا الهجران لا عن ملالة	وذكراهم يبنى الى محبب
وقالوا تجنبنا ولا قرب بيننا	فكيف وانتم حاجتى تتجنب
على انهم احلى من الشهد عندنا	واعذب من ماء الحياة والطيب

فقال احسنت ولكن ما اصبت ما فى نفسى فقل انت يا ابا نواس فجعل يقول

نضت عنها القميص لصب ماء	فورّد وجهها فرط الحياء
وقابلت الهواء وقد تعرت	بمعتدل ارق من الهباء
ومدت راحة كالماء منها	الى ماء معد فى اناء
فلما ان قضت وطرا وهمت	على عجل لتأخذ للرداء
رأت شخص الرقيب على التدانى	فاسبلت الظلام على الضياء
وغاب الصبح منها تحت ليل	فظل الماء يجرى تحت ماء
فسبحان الاله وقد براها	كاحسن ما تكون من النساء

فقال الرشيد سيفا ونطعا فقال له ولم يا امير المؤمنين قال امعنا كنت قال لا والله ولكن شئ خطر ببالى فامر له باربعة آلاف درهم وصرفه انتهى

ويحكى ان امير المؤمنين الرشيد ارق ذات ليلة ارقا شديدا فقام من فرشه وتمشى من مقصورة الى مقصورة وقلقه زائد ونفسه محصورة فلما اصبح قال على بالاصمعى فخرج الطواشى الى البوابين فقال لهم يقول لكم امير المؤمنين ارسلوا احدا خلف الاصمعى فلما حضر اعلم الخليفة به فاجلسه ورحب به وقال يا اصمعى اريد منك ان تحدثنى باجود ما سمعت من اخبار النساء واشعارهن فقال سمعا وطاعة لقد سمعت كثيرا ولم يعجبنى سوى ثلاث ابيات انشدهن ثلاث بنات فقال حدثنى حديثهن فقال اعلم يا امير المؤمنين انى توجهت سنة الى البصرة فاشتد على الحر فطلبت مقيلا اقيل فيه فلم اجد فبينما انا التفت يمينا وشمالا اذا انا بساباط مكنوس مرشوش وفيه دكة من خشب وعليها شباك مفتوح تفوح منه رائحة المسك فدخلت الساباط وجلست على

الدكة واردت الاضطجاع فسمعت كلاما عذبا من فم جارية حسناء وهي تقول يا اختي انا جلسنا يومنا هذا على وجه الصبوح تعالين نطرح ثلثمائة دينار وكل منا تقول بيتا من الشعر فكل من قالت البيت الاعذب الاملح كانت الثلثمائة دينار لها فقلن حبا وكرامة فقالت الكبرى

عجبت له ان زار في النوم مضجعي	ولو زارني مستيقظا كان اعجبا

فقالت الوسطى

وما زارني في النوم الا خياله	فقلت له اهلا وسهلا ومرحبا

فقالت الصغرى

بنفسي واهلي من ارى كل ليلة	ضجيعي ورياه من المسك اطيبا

فقلت ان كان لهذا المقال جمال فقد تم الامر على كل حال فنزلت عن الدكة واردت الانصراف واذا بالباب قد فتح وخرجت منه جارية وهي تقول اجلس يا شيخ فطلعت على الدكة ثانيا وجلست فدفعت الي ورقة فنظرت خطا في نهاية الحسن مستقيم الالفات مجوف الهاآت مدور الواوات مضمونها نعلم الشيخ اطال الله بقاءه اننا ثلاث بنات اخوات جلسنا على وجه الصبوح وطرحنا ثلثمائة دينار وشرطنا ان كل من قالت البيت الاعذب الاملح كان لها الثلثمائة دينار وقد جعلناك الحكم في ذلك فاحكم بما تراه والسلام فقلت للجارية علي بدواة وقرطاس فغابت قليلا وخرجت الي بدواة مفضضة واقلام مذهبة

فانشأت اقول

احدث عن خود تحدثن مرة	حديث امرئ ساس الامور وجربا
ثلاث كبكرات الصباح جحافل	حللن بقلب للمشوق معذبا
خلون وقد نامت عيون كثيرة	من الرأى قد يشهون ان تتغيبا
فبحن بما يخفين من داخل الحشا	نعم واتخذن الشعر لهوا وملعبا
فقالت عروب ذات عز عزيزة	وتبسم عن عذب المقالة انسبا

عجبت لہ ان زار فی النوم مضجعی	ولو زار فی مستیقظا کان اعجبا
فلما انقضی ما زخرفت وتضاحکت	تنفسطت الوسطی وقالت تطربا
وما زارنی فی النوم الا خیاله	فقلت له اهلا وسهلا ومرحبا
واحسنت الصغری وقالت مجیبة	بلفظ لها قد کان اشهی واعذبا
بنفسی واهلی من اری کل لیلة	ضجیعی وریاه من المسک اطیبا
فلما تدبرت الذی قلن وانبری	لی الحکم لم اترک لذی اللب متعبا
حکمت لصغراهن فی الشعر انّنی	رایت الذی قالت هو الحق اصوبا

قال الاصمعی ثم دفعت الرقعة الی الجاریة فلما صعدت الی القصر فاذا برقص و تصفیق ودنیا دانیة وقیامة قائمة فقلت ما بقی لی اقامة فنزلت عن الدکة واردت الانصراف واذا بالجاریة تنادی وتقول اجلس یا اصمعی فقلت ومن اعلمک انّنی الاصمعی فقالت یا شیخ ان خفی علینا اسمک فما خفی علینا نظمک فجلست واذا بالباب قد فتح وخرجت منه الجاریة الاولی وعلی یدها طبق من فاکهة وطبق من حلوی فتفکهت وتحلیت وشکرت صنعها واردت الانصراف واذا بالجاریة تنادی وتقول اجلس یا اصمعی فرفعت بصری الیها فنظرت کفا احمر فی کم اصفر فخلته البدر یشرق من تحت الغمام ورمت لی بصرة فیها ثلثمائة دینار وقالت هذا صار لی وهو منی لک هبة فی نظیر حکومتک فقال لی امیر المؤمنین لای شیء حکمت للصغری ولم تحکم للکبری ولا للوسطی فقلت له یا امیر المؤمنین اطال الله بقاءک

	ان بیت الکبری قالت	

عجبت له ان زار فی النوم مضجعی وهو محمول معلق علی شرط قد یقع ولا یقع واما الوسطی مر بها طیف خیال فی النوم فسلمت علیه وبیت الصغری ذکرت انها ضاجعته مضاجعة حقیقة وشمت منه انفاسا اطیب من المسک وفدته بنفسها واهلها ولا یفدی بالنفس الا من هو اعز من النفس فقال الخلیفة احسنت یا اصمعی ثم دفع الی ثلثمائة دینار

فاخذتها وانصرفت فكنت اقول لله درك من شعر اخذت فی حکومتی منه
ثلثمائة دینار وفی حکایة مثلها والله اعلم ومما حکی عن الاصمعی فی نوادره
قال سهرت لیلة عند الرشید فی الرقة فقال لی من معك یا عبد الله یؤنسك
فقلت یا امیر المؤمنین ما لی انیس غیر الوحدة فامسك واقبل فی حدیثه ما شاء
الله ثم نهض ونهضت من بحضرته فلما صرت الی منزلی واذا بخادم الامیر یقرع الباب
فخرجت فاذا ضوء شمع وضجة وغوغاء ومعهم جاریة فلما رآنی الخادم دنا منی وقبل
یدی وقال لی یقول لك امیر المؤمنین قد امرنا لك بمن یؤنسك وهی جاریة من
خواصه وشیء من المال فشکرت امیر المؤمنین ودعوت له وتقدم الخادم بادخال
الجاریة ومعها من الآلات والخدم والجواری والفرش ما لم ار مثله الا عند امیر المؤمنین
ثم ودعنی الخادم وانصرف فلما نظرت الی الجاریة رایتها احسن الناس وجها واکملهم
قدا وشکلا وظرفا واکثرهم مجونا فداخلنی لها هیبة وانقباض فقالت ما هذا
٣ الحیاء البارد السمج الذی لا وجه له این ملحك ونوادرك ثم قالت لجاریة من الجواری
هات ما عندك فجاءت باحسن ما یکون من الوان الطعام فاکلنا وهی مع
ذلك تباسطنی وتؤانسنی بالحدیث والملاعبة ثم دعت بالشراب فشربت و
سقتنی ثم قالت ما بقی بعد الاکل والشرب الا النوم والخلوة فقامت ولبست
من الثیاب ما ارادت والبستنی ثیابا فاخرة مبیضة وتفرق من کان عندنا
ثم اضطجعت الی جانبی فلما جمعنا الفراش اصابنی من الحصر والانقطاع الانعاظ
ورخاوة الایر ما لم اکن اعهده قبل ذلك فجعلت تقلبه بیدها وتغمزه فلا یزداد
الا انکماشا وموتا فلما اعیتها الحیلة فیه ویئست من قیامه ومضی من اللیل اکثره
قالت عظم الله اجرك فی ایرك ثم نهضت ولبست ثیاب الحداد ودعت بسفط
فاخرجت منه منادیل صغارا وحنوطا وقالت نم علی ظهرك یا بطال فاستولی علی
الخجل حتی انی لم اقدر اخالفها فی شیء مما تامرنی به فی جمیع ما تفعله فغسلته
وحنطته وکفنته بتلك المنادیل فلما فرغت همت بجواریها وقامت معهن فی مکا

ونحيب ونوح وندب وصراخ باشد ما يكون وما زالوا على ذلك الى وقت السحر
ثم قالت ما بقى الا ما يتولاه الرجال من الصلاة والدفن وولت عنى فقمت وانا اكرب
خلق الله حالا فلبست ثيابى وصليت الفجر وسرت من وقتى وساعتى الى الرشيد
فانكر الحجاب حضورى فى ذلك الوقت واعلم الرشيد بى فاذن لى فدخلت و
هو قاعد فى مصلاه فقال لى ويحك ما دهاك فى هذا الوقت فقلت يا امير المؤمنين
خبرى عجيب وامرى غريب فبالله عليك يا امير المؤمنين الا ما رحمتنى وارحتنى
من هذه الجارية التى انفذتها الى فلا حاجة لى بها فقال لى امير المؤمنين وما
السبب لذلك وما الخبر الذى دهاك وليس لها عندك حين من الزمان فشرحت
له القصة من اولها الى آخرها حتى بلغت الى اقامة الصلاة فاشتد ضحكه حتى انه
كاد ان يستلقى على قفاه وسمعت الضحك من كل ناحية فى الدار من الجوارى
وغيرهن ثم قال نحن الى هذه احوج منك اليها وقد كنا غافلين عنها ثم انه امر
بحملها الى داره وعوضنى عنها خمسين الف درهم وترك جميع ما حل معها فى منزلى
وخرجت مجردة فحظيت بعد ذلك عند الرشيد حتى انه لم يتقدم عليها احد من
نظائرها وسميت من وقتها هذا بالاصمعية الى ان توفيت رحمة الله عليهم اجمعين
وعن ابى اسحق ابراهيم الموصلى قال استأذنت الرشيد ان يهب لى يوما من
الايام للانفراد بجوارى واخوانى فاذن لى فى يوم السبت فاتيت منزلى واخذت
فى اصلاح طعامى وشرابى وما احتجت اليه وامرت البوابين بغلق الابواب
وان لا يأذنوا لاحد بالدخول على فبينما انا فى مجلسى والحريم قد حففن بى واذا
بشيخ ذى هيبة وجمال وعليه خفان قصيران وقميص ناعم وعلى راسه قلنسوة و
بيده عكازة مقمعة من فضة وروائح الطيب تفوح منه حتى ملأت الدار و
الرواق فداخلنى غيظ عظيم لدخوله على وهممت بطرد البوابين فسلم على احسن
سلام فرددت عليه وامرته بالجلوس فجلس واخذ يحدثنى باحاديث العرب و
اشعارها حتى ذهب ما بى من الغضب وظننت ان غلمانى تحروا مسرتى لادخاله

مثله على لادبه وظرفه فقلت هل لك فى الطعام فقال لاحاجة لى فيه قلت فالشراب قال ذلك اليك فشربت رطلا وسقيته مثله ثم قال يا ابا اسحاق هل لك ان تغنينا شيئا فنسمع من صنعتك ما قد فقت به العام والخاص فغاظنى قوله ثم سهلت الامر على نفسى فاخذت العود وضربت وغنيت فقال احسنت يا ابراهيم فازددت غيظا وقلت اما رضى بما فعله فى دخوله بغير اذنى واقتراحه على حتى سمانى باسمى ولم يجمل مخاطبتى ثم قال هل لك ان تزيد ونكافئك فتمت واخذت العود فغنيت وتحفظت فيما غنيته وقمت به قياما تاما لقوله ونكافئك فطرب وقال احسنت يا سيدى ثم قال اتاذن لى فى الغناء فقلت شانك واستضعفت عقله فى ان يغنى بحضرتى بعد الذى سمعه منى فاخذ العود وجسه فوالله خلت ان العود ينطق بلسان عربى واندفع يغنى هذه الابيات

ولى كبد مقروحة من يبيعنى	بها كبدا ليست بذات قروح
اباها على الناس ان يشترونها	ومن يشترى ذا علة بصحيح
ائن من الشوق الذى فى جوانحى	انين غصيص بالشراب طريح

قال ابراهيم فوالله لقد ظننت ان الابواب والحيطان وكل ما فى البيت يجيبه وتغنى معه وبقيت مبهوتا لا استطيع الكلام ولا الحركة لما خالط قلبى

ثم اندفع يغنى فقال

الا يا حمامات اللوى عدن عودة	فانى الى اصواتكن حزين
فعدن ولما عدن كدن يمتننى	وكدت باسرارى لهن ابين
دعون بترداد الهدير كانما	شربن الحميا او بهن جنون
فلم تر عينى مثلهن حمائما	بكين ولم تدمع لهن عيون

قال ثم سكت قليلا وغنى هذه الابيات

الا يا صبا نجد متى هجت من نجد	فقد زادنى مسراك وجدا على وجدى
لئن هتفت ورقاء فى رونق الضحى	على فنن من غصن بان ومن رند
بكيت كما يبكى الوليد صبابة	وابديت من شكواى ما لم اكن ابدى

وقد

وقد زعموا ان المحب اذا دنا — يمل وان البعد يشفي من الوجد
بكل تداوينا فلم يشف ما بنا — على ان قرب الدار خير من البعد
على ان قرب الدار ليس بنافع — اذا كان من تهواه ليس بذي ود

ثم قال يا ابراهيم هذا الغناء الماخوري خذه وانح نحوه في غنائك وعلمه جواريك فقلت اعده علي فقال لست تحتاج الى اعادة فقد اخذته وفرغت منه ثم غاب من بين يديه فارتعبت منه وقمت الى السيف وجردته ثم غدوت نحو ابواب الحريم فوجدتها مغلقة فقلت للجواري اي شئ سمعتن فقلن سمعنا غناء اطيب شئ واحسنه فخرجت متحيرا الى باب الدار فوجدته مغلقا فسألت البوابين عن الشيخ فقالوا اي شيخ نو الله ما دخل اليك اليوم احد فرجعت لتأمل امره فاذا هو قد هتف بي من جوانب البيت وقال لا باس عليك يا ابا اسحاق فانما هو ابو مرة قد كنت نديمك اليوم فلا تفزع فركبت الى الرشيد فاخبرته الخبر فقال اعد الاصوات التي قد اخذتها فاخذت العود وضربت فاذا هي راسخة في صدري فطرب الرشيد عليها وجعل يشرب ولم يكن له همة على الشراب وقال كان الشيخ علم انك قد اخذت الاصوات وفرغت منها فليته متعنا بنفسه يوما واحدا كما متعك ثم امر لي بصلة فاخذتها وانصرفت انتهى وقال الرشيد يوما للفضل بن يحيى وهو بالرقة قد قدم اسماعيل ابن صالح بن علي وهو صديقك واريد ان اراه فقال ان اخاه عبد الملك في حبسك وقد نهاه ان يجيئك قال الرشيد فاني اتعلل حتى يجيئني عائدا فتعلل فقال الفضل لاسماعيل الا تعود امير المؤمنين قال بلى فجاءه عائدا فاجلسه ثم دعا بالغداء فاكل واكل اسماعيل بين يديه فقال له الرشيد كاني قد نشطت برؤيتك الى شرب قدح فشرب وسقاه ثم امر فاخرج جواري يغنين وضربت ستارة وامر بسقيه فلما شرب اخذ الرشيد العود من يد جارية ووضعه في حجر اسماعيل وجعل في عنقه سبحة وجبهتها

عشر حبات من در شراؤها بثلاثين الف دينار وقال غن يا اسماعيل وكفر عن يمينك بثمن هذه السبحة فاندفع يغني شعر الوليد بن يزيد في غالية اخت عمر بن عبد العزيز وكانت تحته وهي التي ينسب اليها

سوق الغالية فقال

فاقسم ما ادنيت كفي لريبة	ولا حملتني نحو فاحشة رجلي
ولا قادني سمعي ولا بصري لها	ولا دلني رأيي عليها ولا عقلي
واعلم اني لم تصبني مصيبة	من الدهر الا قد اصابت فتى مثلي

فسمع الرشيد احسن غناء من احسن صوت فقال للرمح يا غلام فجيء بالرمح فعقد له لواء على امارة مصر قال اسماعيل فوليتها سنتين فاوسعتهم عدلا وانصرفت بخمسمائة الف دينار وبلغ اخاه عبد الملك ولايته فقال عني والله الخبيث لهم ليس هو بصالح انتهى ويروى انه لما دخل هارون الرشيد الى مكة شرفها الله تعالى وابتدأ بالطواف ومنع الخاص والعام من ذلك لينفرد بالطواف فسبقه اعرابي فشق ذلك على الرشيد فالتفت الى حاجبه منكرا عليه فقال الحاجب للاعرابي تخل عن الطواف حتى يطوف امير المؤمنين فقال الاعرابي ان الله قد ساوى بين الامام والرعية في هذا المقام فقال عز وجل سواء العاكف فيه والباد ومن يرد فيه بالحاد بظلم نذقه من عذاب اليم فلما سمع الرشيد من الاعرابي ذلك واعدامره فامر حاجبه بالكف عنه ثم جاء الرشيد الى الحجر الاسود ليستلم فسبقه الاعرابي فاستلم ثم اتى الرشيد الى المقام ليصلي فسبقه الاعرابي فصلى فيه فلما فرغ الرشيد من صلاته قال لحاجبه ائتني بهذا الاعرابي فاتاه الحاجب فقال اجب امير المؤمنين فقال مالي اليه من حاجة ان كان له حاجة فهو احق بالقيام الى والسعي فقام الرشيد حتى وقف بازاء الاعرابي وسلم عليه فرد عليه السلام فقال له الرشيد يا اخا العرب اجلس هنا بامرك فقال الاعرابي ليس البيت بيتي ولا الحرم حرمي وكلنا فيه سواء فان شئت تجلس وان شئت تنصرف قال الراوي فعظم ذلك على الرشيد

١٢ / ٢٤

وسمع ما لم يكن فى ذهنه وما ظن انه يواجهه بمثل هذا الكلام فجلس الرشيد
وقال يا اعرابى اريد ان اسالك عن فرضك فان انت اقمت به فانت بغيره اقوم
وان انت عجزت عنه فانت اعجز فقال الاعرابى سؤالك هذا سؤال تعلم
ام سؤال تعنت فتعجب الرشيد من سرعة جوابه وقال بل سؤال تعلم فقال له الاعرابى
قم فاجلس مقام السائل من المسؤل قال فقام الرشيد وجثى على ركبتيه بين يدى
الاعرابى فقال قد جلست فاسأل عما بدا لك فقال له اخبرنى عما افترض الله عليك فقال
له تسألنى عن اى فرض عن فرض واحد ام عن خمسة ام عن سبعة عشر ام عن اربعة
وثلاثين ام عن خمسة وثمانين ام عن واحدة فى طول العمر ام عن واحدة من اربعين
ام عن خمسة من مائتين قال فضحك الرشيد حتى استلقى على قفاه استهزاء به ثم
قال له سألتك عن فرضك فاتيتنى بحساب الدهر قال يا هرون لولا ان الدين
بالحساب لما اخذ الله الخلائق بالحساب يوم القيامة فقال تعالى ونضع الموازين
القسط ليوم القيمة فلا تظلم نفس شيئا وان كان مثقال حبة من خردل اتينا بها وكفى
بنا حاسبين قال فظهر الغضب فى وجه الرشيد واحمرت عيناه حين قال يا هارون
ولم يقل له يا امير المؤمنين وبلغ منه مبلغا شديدا غير ان الله تعالى عصمه منه
وحال بينه وبينه لما علم ان الله هو الذى انطق الاعرابى بذلك فقال له الرشيد
يا اعرابى ان فسرت ما قلت نجوت والا امرت بضرب عنقك بين الصفا والمروة
فقال له الحاجب يا امير المؤمنين اعف عنه وهبه لله تعالى ولهذا المقام الشريف
قال فضحك الاعرابى من قولهما حتى استلقى على قفاه فقال مم تضحك قال عجبا
منكما اذ لا ادرى ايكما اجهل الذى يستوهب اجلا قد حضر ام الذى يستعجل اجلا لم
يحضر قال فهال الرشيد ما سمعه منه وهانت نفسه عليه ثم قال الاعرابى اما
سؤالك عما افترض الله على فقد افترض على فرائض كثيرة فقولى لك عن فرض
واحد فهو دين الاسلام واما قولى عن خمسة فهى الصلوات واما قولى لك عن
سبعة عشر فهى سبعة عشر ركعة واما قولى لك عن اربعة وثلاثين فهى السجدات

واما قولى لك عن خمسة وثمانين فهى التكبيرات واما قولى لك عن واحدة فى
طول العمر فهى حجة الاسلام واحدة فى طول العمر كله واما قولى لك واحدة من
اربعين فهى زكاة الشياه شاة من اربعين شاة واما قولى لك خمس من مائتين
فهى زكاة الورق قال فامتلأ الرشيد فرحا وسرورا من تفسير هذه المسائل و
من حسن كلام الاعرابى وعظم الاعرابى فى عينه وتبدلت بغضته محبة ثم قال الاعرابى
سألتنى فاجبتك وانا اريد ان اسألك فأجبنى قال قل فقال الاعرابى ما تقول فى
رجل نظر الى امرأة وقت صلاة الفجر فكانت عليه محرمة فلما كان وقت الظهر
حلت له فلما كان وقت العصر حرمت عليه فلما كان وقت المغرب حلت له
فلما كان وقت العشاء حرمت عليه فلما كان وقت الصبح حلت له فلما كان وقت
الظهر حرمت عليه فلما كان وقت العصر حلت له فلما كان وقت المغرب حرمت
عليه فلما كان وقت العشاء حلت له فقال والله يا اخا العرب لقد اوقعتنى فى بحر لم
يخلصنى منه غيرك فقال له انت خليفة ليس فوقك شئ ولا ينبغى ان تعجز عن مسألة
فكيف عجزت عن مسألتى وانا رجل بدوى لا قدرة لى فقال الرشيد قد عظم
قدرك العلم ورفع ذكرك فاشتهى اكراما لى ولهذا المقام تفسير ذلك فقال حبا
وكرامة ولكن على شرط ان تجبر الكسير وترحم الفقير ولا تزدرى بالحقير فقال حبا
وكرامة ثم قال ان قولى لك عن رجل نظر الى امرأة وقت صلاة الفجر فكانت عليه
حراما فهو رجل نظر الى امة غيره وقت الفجر فهى حرام عليه فلما كان وقت الظهر
اشتراها فحلت له فلما كان وقت العصر اعتقها فحرمت عليه فلما كان وقت المغرب
تزوجها فحلت له فلما كان وقت العشاء طلقها فحرمت عليه فلما كان وقت الفجر
راجعها فحلت له فلما كان وقت الظهر ظاهر منها فحرمت عليه فلما كان وقت
العصر اعتق عنها فحلت له فلما كان وقت المغرب ارتد عن الاسلام فحرمت
عليه فلما كان وقت العشاء تاب ورجع الى الاسلام فحلت له قال فاغتبط وفرح
به واشتد اعجابه ثم امر له بعشرة آلاف درهم فلما حضرت قال لا حاجة لى بها و ردها

الى اصحابها فقال له اريد ان اجرى لك جراية تكفيك مدة حياتك قال الذى
اجرى عليك يجرى على قال فان كان عليك دين قضيناه عنك قال لا ولم

يقبل عنه شيئا ثم انشد يقول

هب الدنيا تواتينا سنينا … فتكدر ساعة وتلذ حينا
فما ابغى بشىء ليس يبقى … واتركه غدا للوارثينا
كانى بالتراب على يحثى … وبالاخوان حولى نادبينا
ويوم تزفر النيران فيه … وتقسم جهرة للسامعينا
وعزة خالقى وجلال ربى … لانتقمن منهم اجمعينا
وقد شاب الصغير بغير ذنب … فكيف يكون حال المجرمينا

فلما فرغ من انشاده تأوه الرشيد وساله عن اهله وبلاده فاخبره انه موسى
الرضى ابن موسى كاظم ابن جعفر الصادق ابن محمد باقر ابن على ابن الحسين بن على بن ابى طالب
رضوا الله عنهم اجمعين وكان يتزيا بزى اعرابى زهدا فى الدنيا وتباعدا عنها فقام
اليه الرشيد وقبل ما بين عينيه ثم قرأ الله اعلم حيث يجعل رسالته وانصرف رحمة
الله عليهم اجمعين (وقال السجستانى) ارق الرشيد ليلة فوجه الى الاصمعى والى
حسين الخليع فاحضرهما وقال عللانى وابدأ انت يا حسين فقال حسين نعم يا امير المؤمنين
خرجت فى بعض السنين منحدرا الى البصرة ممتدحا محمد بن سليمان الزينبى بقصيدة فى
فقبلها وامرنى بالمقام فخرجت ذات يوم الى المربد وجعلت المهالبة طريقى فاصابنى
حر شديد فدنوت من باب دار كبيرة لاستسقى فاذا انا بجارية كانها قضيب تتثنى
وسنا العينين ازجة الحاجبين مفتوحة الجبين عليها قميص جلنارى ورداء عدنى
قد غلب شدة بياض بدنها على حمرة قميصها تتلألأ من تحت القميص بثديين كرمانتين
وبطن كطى القباطى وعكن كالقراطيس لها جمة جعدة بالمسك محشوة وهى
يا امير المؤمنين متقلدة خرزا من الذهب والجوهر بين نهديها وعلى صحن
جبينها طرة كالسبج وحاجبان مقرونان وعينان نجلاوان وخدان اسيلان

وانف اقنى يحته ثغر كاللؤلؤ واسنان كالدر وقد غلب عليها الطيب وهى والهة
حيرانة ذاهبة فى الدهليز ورائحة تحطم على اكباد محبيها فى مشيتها وقد خالط اصوات

نعلها خلاخيلها فهى كما قال الشاعر فيها

كل جزء من محاسنها	كائن من حسنها مثلا

فهبتها يا امير المؤمنين ثم دنوت منها لاسلم عليها فاذا الدهليز والدار والشارع قد عبق بالمسك فسلمت عليها فردت بلسان منكسر وقلب حزين حريق مسعر فقلت لها يا سيدتى انى شيخ غريب اصابنى عطش افتأمرين بشربة من ماء توجرين عليها قالت اليك عنى يا شيخ فانى مشغولة عن الماء وادخار الزاد قلت لاى علة يا سيدتى قالت لانى عاشقة لمن لا ينصفنى واريد من لا يريدنى ومع ذلك فانى ممتحنة برقباء فوق رقباء قلت وهل يا سيدتى على بسيطة الارض من تريدينه ولا يريدك قالت نعم وذلك لفضل ما ركب فيه من الجمال والكمال والدلال قلت وما وقوفك فى هذا الدهليز قالت ههنا طريقه وهذا اوان اجتيازه فقلت لها يا سيدتى فهل اجتمعتما فى وقت من الاوقات اوجب حديثا فى هذا القرب فتنفست الصعداء وارخت دموعها على خدها كطل سقط على ورد ثم انشأت تقول

وكنا كغصنى بانة فوق روضة	نشم جنى اللذات فى عيشة رغدا
فافرد هذا الغصن من ذاك قاطع	فيا من رأى فردا يحن الى فرد

نسخة بانت

قلت يا هذه فما بلغ من عشقك لهذا الفتى قالت ارى الشمس على حائطهم احسب انها هو وربما اراه بغتة فأبهت ويهرب الدم والروح من جسدى وابقى الاسبوع والاسبوعين بغير عقل فقلت لها اعذرينى فانت على ما بك من الصبا و شغل البال بالهوى وانحال الجسم وضعف القوى أرى بك من اللون ورقة البشرة فكيف لو لم يمسك الهوى لكنت مفتنة فى ارض البصرة قالت والله قبل محبة هذا الغلام كنت تحفة الدلال والجمال والكمال ولقد فتنت جميع ملوك البصرة حتى افتننى هذا الغلام قلت يا هذه فما الذى فرق بينكما قالت نوائب الدهر وحديثى و

حدبيثر شان من الشؤن وذلك انى كنت قعدت فى يوم نيروز ودعوة عدة من
مستظرفات البصرة من النساء الجملات وكانت فيهن الحوراء جارية تشيراز و
كان شراؤها عليه من عمان بثمانية آلاف درهم وكانت بى ولعه فلما دخلت رمت
بنفسها على تقطعنى قرصا وعضا ثم خلوتا نتمزن القهوة الى ان يدرك طعامنا
ويجتمع من دعونا وكانت تلاعبنى والاعبها فتارة انا فوقها وتارة هى فوقى فحملها
السكر الى ان ضربت يدها الى تكتى فحلتها من غير ريبة كانت بيننا ونزلت سراويلى
ملاعبة فبينما نحن كذلك اذ دخل علينا حبيبى فرأى ذلك فاشمأز لذلك
وصدف عنى صدوف المهرة العربية اذا سمعت صلاصل لجامها فولى خارجا
فانا يا شيخ منذ ثلاث سنين اسأل بجمعته فلا ينظر الى بطرف ولا يكتب الى بحرف ولا
يكلم لى رسولا ولا يسمع منى قليلا فقلت لها يا هذه من العرب هو ام من العجم فقالت
ويحك هو من جملة ملوك البصرة فقلت لها شيخ هو ام شاب فنظرت الى شزرا
وقالت انك احمق هو مثل القمر ليلة البدر اجرد امرد له طرة كحنك الغراب لا يعيبه
شئ غير انحرافه عنى قلت لها ما اسمه قالت ما تصنع به قلت اجتهد فى لقائه
فاتعرف الفصل بينكما قالت على شرط ان تحمل اليه رقعة قلت لا اكره ذلك فقالت
اسمه ضمرة بن المغيرة ويكنى بابى السخاء وقصره بالمربد ثم صاحت فى الدار يا جوارى الدواة
والقرطاس وشمرت عن ساعدين كانهما طوقان من فضة وكتبت بعد البسملة
سيدى ترك الدعاء فى صدر رقعتى ينبى عن تقصيرى ودعائى ان دعوته هجنة
وبه عونه ولولا ان بلوغ المجهود يخرج عن حد التقصير لكان لما تكلفته خادمتك
من كتابة هذه الرقعة معنى مع ياسها منك لعلمها بترك الجواب سيدى جد بنظرة
وقت اجتيازك فى الشارع الى الدهليز تحيى بها نفسا ميتة واخطط بخط يدك بسطها
الله بكل فضيلة رقعة واجعلها عوضا عن تلك الخلوات التى كانت بيننا فى
الليالى الخاليات التى انت ذاكر لها سيدى الست لك محبة مدنفة فان رجعت
الى الاحبة كنت لك شاكرة وبعد خادمة والسلام فتناولت الكتاب وخرجت فلبست

غدوة الى باب محمد بن سليمان فوجدت مجلسا محتفلا باللؤلؤ ورأيت غلاما زان المجلس
وفاق على من فيه جمالا وبهجة قد رفعه الامير فوقه فسألت عنه فاذا هو ضمرة بن المغيرة
فقلت فى نفسى بالحقيقة حل بالمسكينة ما حل بها ثم قمت وقصدت المربد ووقفت
على باب داره فاذا هو قد ورد فى موكب فوثبت اليه وبالغت فى الدعاء له وناولته
الرقعة فلما قرأها وفهم معناها قال لى يا شيخ قد استبدلنا بها فهل لك ان
تنظر الى البديل قلت نعم فصاح فى الدار اخرجوا الربد فاذا انا بجارية نحابو طبية الكبر
ناهدة الثديين تمشى مشية مستوجل من غير وجل فناولها الرقعة وقال اجيبى
عنها فلما قرأتها اصفرت وعرفت وقالت يا شيخ استغفر الله مما جئت به فخرجت
يا امير المؤمنين وانا اجر رجلى حتى اتيتها واستأذنت عليها فقالت ما وراءك فقلت
البؤس واليأس قالت ما عليك منه فاين الله والقدر ثم امرت لى بخمسمائة دينار
ثم جزت بعد ايام ببابها فوجدت غلمانا وفرسانا قد خلت فاذا اصحاب ضمرة
يسألونها الرجوع اليه فقالت لا والله لا نظرت له وجها فسجدت لله يا امير المؤمنين
شماتة بضمرة ونفرته من الجارية فاوردت على منه رقعة فاذا فيها بعد التسمية
سيدتى لولا ابقائى عليك ادام الله حياتك لوصفت شطرا من غدرك وبسطت
شطر غبنى عليك وسلكت ظلامتى قبلك اذ كنت الجانية على نفسك ونفسى و
المظهرة لسوء العهد وقلة الوفاء والمؤثرة علينا غيرنا فخالفت هواى والله المستعان
على ما كان من سوء اختيارك والسلام واوقفتنى على ما حمله اليها من الهدايا والتحف العظيمة
فاذا هو بمقدار ثلاثين الف دينار ثم رأيتها بعد ذلك وقد تزوج بها ضمرة فقال
الرشيد لولا ان ضمرة لسبقنى اليها لكان لى معها شأن من الشؤون انتهى

وحكى مسرور الخادم قال ارق الرشيد ارقا شديدا ليلة من الليالى فقال يا
مسرور من على الباب من الشعراء فخرجت الى الدهليز فوجدت جميل بن
معمر العذرى فقلت له اجب امير المؤمنين فقال سمعا وطاعة فدخلت ودخل
معى الى ان صار بين يدى هارون الرشيد فسلم بسلام الخلافة فرد عليه وامره

بالجلوس فقال له الرشيد يا جميل اعندك شيء من الاحاديث العجيبة قال نعم يا امير المؤمنين ايما احب اليك ما عاينته ورايته او ما سمعته ووعيته فقال بل حدثني عما عاينته ورايته فقال نعم يا امير المؤمنين اقبل علي بكلك واصغ الي باذنك قال فعمد الرشيد الى مخدة من الديباج الاحمر المزركش بالذهب محشوة بريش النعام فجعلها تحت فخذه ثم مكن منها مرفقيه وقال هلم بحديثك فقال اعلم يا امير المؤمنين اني كنت مفتونا بفتاة محبا لها وكنت آلفها اذ هي سولي وبغيتي من الدنيا وان اهلها رحلوا بها لقلة المرعى فاقمت مدة لم ارها ثم ان الشوق اقلقني وجذبني اليها فراودتني نفسي بالمسير اليها فلما كانت ذات ليلة من الليالي هزني الوجد اليها فقمت وشددت رحلي على ناقتي واعتممت بعمتي ولبست اطماري وتقلدت بسيفي وتنكبت بحجفتي وركبت ناقتي وخرجت طالبا لها وكنت اجد في السير فسرت وكانت ليلة مظلمة مدلهمة وانا مع ذلك اكابد هبوط الاودية وصعود الجبال اسمع زئير الاسد وعواء الذئاب واصوات الوحوش من كل جانب وقد ذهل عقلي وطاش لبي ولساني لا يفتر عن ذكر الله تعالى فبينما انا اسير كذلك اذ غلبني النوم فاخذتني الناقة عن غير الطريق التي كنت فيها وزاد علي النوم واذا انا بشيء لطمني في راسي فانتبهت فزعا مرعوبا فاذا انا باشجار وانهار وماء واطيار على تلك الاغصان تزعق بلغاتها والحانها واشجار ذلك المرج مشتبكة بعضها ببعض فنزلت عن ناقتي واخذت زمامها بيدي ولم ازل اتلطف بها الى ان خرجت بها من تلك الاشجار الى ارض فلاة فاصلحت كورها واستويت راكبا على ظهرها ولا ادري الى اين اذهب ولا الى ما تسوقني الاقدار فمددت نظري في تلك البرية فلاحت لي نار في صدرها فوكزت ناقتي وصرت طالبا لها الى ان وصلت الى تلك النار فقربت منها وتاملت واذا بخباء مضروب ورمح مركوز وراية قائمة وخيل واقفة وابل سائمة فقلت في نفسي يوشك ان يكون لهذا الخباء شأن عظيم فاني لا ارى في هذه البرية سواه ثم تقدمت الى جانب الخباء وقلت السلام عليكم يا اهل الخباء

ورحمة الله وبركاته فخرج الي من الخباء غلام من ابناء تسعة عشر سنة كانه البدر اذا اشرق والشجاعة لائحة بين عينيه فقال وعليك السلام ورحمة الله وبركاته يا اخا العرب اني اظنك ضالا عن الطريق فقلت الامر كذلك ارشدني يرحمك الله تعالى فقال يا اخا العرب ان بلدنا هذه مسبعة وهذه الليلة مظلمة موحشة شديدة الظلمة والبرد ولا آمن عليك من الوحش ان يفترسك فانزل عندي على الرحب والسعة فاذا كان الغد ارشدتك الى الطريق قال فنزلت عن ناقتي وعقلتها بفاضل زمامها ونزعت ما كان علي من اطمار وجلست ساعة واذا بالشاب قد عمد الى شاة فذبحها والى نار فاضرمها واججها ثم دخل الى الخباء واخرج ابزارا ناعمة وملحا مطيبا واقبل يقطع من اللحم ويشوي على النار ويطعمني ويتنهد تارة ويبكي تارة اخرى

ثم شهق شهقة عظيمة وبكى بكاء شديدا وانشد يقول

لم يبق الا نفس خافت	ومقلة انسانها باهت
لم يبق في اعضائه مفصل	الا وفيه سقم ثابت
ودمعه جار واحشاؤه	توقد الا انه ساكت
تبكي له اعداؤه رحمة	يا ويح من يرثي له الشامت

قال جميل فعند ذلك يا امير المؤمنين علمت ان الغلام عاشق ولهان لا يعرف الهوى الا من ذاق طعم الهوى فقلت في نفسي انا في منزل الرجل واتهجم عليه في السؤال فردعت نفسي واكلت من ذلك اللحم بحسب الكفاية فلما فرغ من الاكل قام الشاب ودخل الخباء واخرج طشتا نظيفا وابريقا حسنا ومنديلا من الحرير واطرافه مزركشة بالذهب الاحمر وقمقما مملوءا من ماء الورد الممسك قال فتعجبت من ظرفه ورقة حاشيته وقلت في نفسي ما اعرف الظرف في البادية ثم غسلنا ايدينا وتحدثنا ساعة ثم انه قام ودخل الى الخباء وقطع بيني وبينه بقطع من الديباج الاحمر ثم خرج وقال ادخل يا وجه العرب وخذ مضجعك فقد لحقك في هذه الليلة تعب وفي سفرك هذا نصب مفرط قال جميل فدخلت فاذا انا بفراش

من الديباج الاخضر فعند ذلك نزعت ماكان على من الثياب ونمت بليلة لم انم عمري مثلها فلم ازل كذلك وانا متفكر في امر هذا الشاب الى ان جن الليل ونامت العيون فلم اشعر الا بحس خفي لم اسمع الطف منه ولا ارق حاشية فرفعت سجاف المضرب ونظرت فاذا انا بصبية لم ار احسن منها وجها وهي الى جانبه وهما يبكيان و يتشاكيان الم الهوى والصبابة والجوى وشدة اشتياقهما الى التلاق فقلت يا لله العجب من هذا الشخص الثاني وهذا افرد بيت ثاني لم ار فيه غير هذا الفتى وليس حوله احد ثم قلت في نفسي لا شك ان هذه الجارية من بنات الجن تهوى هذا الغلام وقد تفرد بها في هذا المكان وتفردت به فحققتها فاذا هي انسية عربية اذا رهقت يخجل الشمس المضيه وقد اضاء الخباء من نور وجهها فلما تحققت انها محبوبته غلبتني الغيرة على الحب فارخيت الستر وغطيت وجهي ونمت فلما اصبحت لبست ثيابي وتوضأت لصلاتي وصليت ماكان على من الفرض ثم قلت له يا اخا العرب هل لك ان ترشدني الى الطريق فقد تفضلت على فنظر الى وقال على رسلك يا وجه العرب الضيافة ثلاثة ايام وما كنت بالذي يدعك الا الثلاثة ايام قال جميل فاقمت عنده ثلاثة ايام فلما كان اليوم الرابع جلسنا للحديث فحادثته وسألته عن اسمه ونسبه فقال اما نسبي فانا من بني عذرة وانا فلان ابن فلان وعمي فلان فاذا هو ابن عمي يا امير المؤمنين وهو من اشرف بيت في بني عذرة قال فقلت يا ابن العم ما حملك على ما اراه منك من الانفراد في هذه البرية وكيف تركت عبيدك واماءك وانفردت بنفسك في هذا المكان فلما سمع يا امير المؤمنين كلامي تغرغرت عيناه بالبكاء ثم قال يا ابن العم انني كنت محبا لابنة عمي مفتونا بها هائما بحبها مجنونا عليها لا اطيق الفراق عنها فزاد عشقي لها فخطبتها من عمي فابى ان يزوجنيها وزوجها من رجل من بني عذرة ودخل بها واخذها الى المحلة التي هو فيها من العام الاول فلما بعدت عني وحجبت عن النظر اليها حملتني لوعات الهوى وشدة الشوق والجوى على تركي اهلي ومفارقتي عشيرتي وخلاني وجميع نعمتي وانفردت

بهذا البيت فی هذه البریة والفت وحدتی فقلت وابن ابیاتهم قال هم قریب فی ذروة هذا الجبل وهی کل لیلة عند نوم العیون وهدو من اللیل تنسل من الحی سرا بحیث لا یشعر بها احد فاقضی منها بالحدیث وطرا وتقضی هی کذلک وها انا مقیم کذلک علی هذا الحال انسلی بها ساعة من اللیل لیقضی الله امرا کان مفعولا او یأتینی الامر علی رغم الحاسدین او یحکم الله لی وهو خیر الحاکمین قال جمیل فلما حدثنی الغلام یا امیر المؤمنین غمنی امره وصرت من ذلک فی حیرة لما اصابنی علیه من الغیرة فقلت له یا ابن العم هل لک ان ادلک علی حیلة اشیر بها علیک و فیها ان شاء الله عین الصلاح وسبیل الرشد والنجاح وبها یفرج الله علیک الذی تخشاه فقال لی قل یا ابن العم فقلت له اذا کان اللیل وجاءت الجاریة فاطرحها علی ناقتی فانها سریعة الرواح وارکب انت جوادک وانا ارکب بعض هذه النوق واسیر بکم اللیلة جمیعها فما یصبح الصباح الا وقد قطعت بکم براری وقفارا وتکون قد بلغت مرادک وظفرت بمحبوبة قلبک وارض الله واسعة فضاها وانا والله مساعدک ما حییت بروحی ومالی وسیفی فلما سمع ذلک قال لی یا ابن العم حتی اشاورها فی ذلک فانها عاقلة لبیبة بصیرة بالامور قال جمیل فلما جن اللیل وحان وقت مجیئها وهو منتظر الوقت المعلوم فابطأت عن عادتها فرایت الفتی وقد خرج من باب الخباء وفتح فاه وجعل یتنسم هبوب الریح التی تهب من نحوها وانشد یقول

ریح الصبا تهدی الی نسیم	من بلدة فیها الحبیب مقیم
یا ریح فیک من الحبیب علاقة	افتعلمین متی یکون قدوم

ثم دخل الخباء وقعد ساعة زمانیة وهو یبکی ثم قال لی یا ابن العم ان البنت عمی فی هذه اللیلة نبأ وقد حدث لها حادث وعاقها عنی عائق ثم قال لی کن مکانک حتی آتیک بالخبر ثم اخذ سیفه وجحفته ثم غاب عنی ساعة من اللیل ثم اقبل وعلی یده شیء یحمله ثم صاح الی فاسرعت الیه فقال اتدری یا ابن العم ما الخبر فقلت لا والله فقال لقد فجعت فی ابنة عمی فی تلک اللیلة لانها کانت توجهت الینا کعادتها

اذ عرض لها فی طریقها اسد فافترسها ولم یبق منها الا ما تری ثم انه طرح ما کان علی یده فاذا هو مشاش الجاریة وما فضل من عظامها ثم بکی بکاء شدیدا ورمی الترس من یده واخذ کساء علی یده ثم قال لی لا تبرح الی ان آتیک ان شاء الله تعالی ثم سار فغاب عنی ساعة ثم عاد بیده رأس الاسد فطرحه عن یده ثم طلب ماء فاتیته به فغسل فم الاسد وجعل یقلبه ویبکی ویئن وزاد حزنه علیها وانشد یقول

الا ایها اللیث المغر بنفسه	هلکت لقد هیجت لی بعدها شجنا
وصیرتنی فردا وقد کنت الفها	وصیرت بطن الارض لی ولها وطنا
اقول لدهر خاننی بفراقها	وغار علیها ان اکون لها حزنا

ثم قال یا ابن العم سالتک بالله وبحق القرابة والرحم التی بینی وبینک الا حفظت وصیتی انک سترانی الساعة میتا بین یدیک فاذا کان کذلک فغسلنی وکفنی انا وهذا الفاضل من مشاش الجاریة فی هذا الثوب وادفنا فی قبر واحد واکتب علی قبرنا

هذه الابیات وانشا یقول

کنا علی ظهرها والعیش فی رغد	والشمل مجتمع والدار والوطن
ففرق الدهر والتصریف لفتنا	وصار یجمعنا فی بطنها الکفن

قال ثم بکی بکاء شدیدا ثم دخل المضرب وغاب عنی ساعة وخرج وجعل یتنهد ویصیح ثم شهق شهقة فارق الدنیا فلما رأیت ذلک منه عظم علی وکبر عندی حتی کدت ان الحق به من شدة حزنی علیه ثم تقدمت الیه وفعلت به ما امرنی من الغسل وکفنتهما جمیعا ودفنتهما فی قبر واحد واقمت عند قبرهما ثلاثة ایام ثم ارتحلت واقمت سنین اتردد الی زیارتهما وهذا ما کان من حدیثهما یا امیر المؤمنین قال فلما سمع الرشید کلامه استحسنه وخلع علیه واجازه جائزة حسنة والله اعلم

حکایة اجنبیة قال اسحاق بن ابراهیم الموصلی بینما انا ذات یوم فی منزلی وکان زمن الشتاء وقد انتشرت السحب وتراکمت الامطار بقطر کافواه القرب وامتنع الغادی والمقبل من المسیر فی الطرقات لما فیها من الامطار والوحل وانا ضیق الصدر

اذ لم يأتني احد من اخواني ولم اقدر على المسير اليهم من شدة الوحل والطين فقلت
لغلامي احضر لي ما اتشاغل به فاحضر لي طعاما وشرابا فتنغصته اذ لم يكن معي
من يؤانسني ولم ازل اتطلع من الطاقات واراقب الطرقات واقبل الليل فتذكرت
جارية لبعض اولاد المهدي كنت اهواها وكانت عارفة بالغناء وتحريك الملاهي
فقلت في نفسي لو كانت الليلة عندنا لتم سروري وطابت ليلتي مما انا فيه من
الفكر والقلق واذا بداق يدق الباب وهو يقول ايدخل محبوب على الباب
واقف فقلت في نفسي لعل غرس التمني اثمر فقمت الى الباب فاذا بصاحبتي وعليها
مرط اخضر قد اتشحت به وعلى رأسها وقاية من الديباج تقيها من المطر وقد
غرقت في الطين الى ركبتها وابتل ما عليها من المزاريب وهي في حال عجيب فقلت
لها يا سيدتي ما الذي اتى بك في مثل هذه الاوحال فقالت قاصدك جاءني
ووصف ما عندك من الصبابة والشوق فلم يسعني الا الاجابة والاسراع نحوك
فعجبت من ذلك وكرهت ان اقول لها اني لم ارسل اليك احدا فقلت الحمد لله
على جمع الشمل بعد ما قاسيت من الم الصبر ولو كنت ابطأتي علي ساعة كنت
احق بالسعي اليك فاني كثير الصبابة نحوك ثم قلت لغلامي هات الماء فاقبل
بخانة فيها ماء حار حتى اصلح لها حالها ثم امرته ان يصب الماء على رجليها و
توليت غسلهما ثم دعوت ببدلة من افخر الملبوس فالبستها اياها بعد ان
نزعت ما كان عليها وجلسنا ثم استدعيت بالطعام فابت فقلت هل لك
في الشراب فقالت نعم فتناولت اقداحا ثم قالت من يغني لي فقلت لها انا يا سيدتي
فقالت لا احب فقلت بعض جواري قالت لا اريد فقلت غني لنفسك قالت
ولا انا قلت فمن يغنيك قالت التمس من يغني لي فخرجت طاعة لها الا اني آيس
من ان اجد احدا في مثل هذا الوقت فلم ازل حتى بلغت الشارع فاذا انا بأعمى
يخبط الارض بعصاه وهو يقول لا جزى الله من كنت عندهم خيرا ان غبت
لم يسمعوا وان سكت استخفوا بي فقلت اعمى انت قال نعم قلت فهل لك ان

فنعم

تتم ليلتك عندنا وتؤانسنا قال ان شئت خذ بيدى فاخذت بيده وسرت الى الدار وقلت لها يا سيدتى اتيت بمغن اعمى نلتذ به ولا يرانا فقالت على به فادخلته وعزمت عليه فى الطعام فاكل اكلا لطيفا وغسل يده وقدمت اليه الشراب فشرب ثلاثة اقداح ثم قال لى من تكون قلت اسحاق بن ابراهيم الموصلى قال لقد كنت اسمع بك والآن فرحت بمنادمتك فقلت يا سيدى فرحت بمن يسرك فقال غن يا اسحاق فاخذت العود على سبيل المجون وقلت السمع والطاعة فلما غنيت وانقضى الصوت قال يا اسحاق قاربت ان تكون مغنيا فصغرت على نفسى والقيت العود من يدى فقال ما عندك من يحسن الغناء قلت عندى جارية قال مرها فلتغن قلت تغنى وانت واثق بغناها قال نعم فغنت قال ماصنعت شيئا فرمت العود من يدها مغضبة وقالت الذى عندنا جدنا به فان كان عندك شئ فتصدق به فقال على بعود لم تمسه يد فامرت الخادم فجاء بعود جديد فضرب فى طريق

(لا اعرفها واندفع يغنى هذه الابيات)

سرى يقطع الظلماء والليل عاكف	حبيب باوقات الزيارة عارف
وما راعنا الا السلام وقولها	ايدخل محبوب على الباب واقف

قال فنظرت الى الجارية شزرا وقالت سر بينى وبينك ما وسعه صدرك ساعة واودعته لهذا الرجل فحلفت لها ثم اعتذرت اليها واخذت اقبل يديها وادغدغ ثديها واعض خديها حتى ضحكت ثم التفت الى الاعمى وقلت

(غن يا سيدى فاخذ العود وغنى هذه الابيات)

الا ربما زرت الملاح وربما	لمست بكفى للبنان المخضبا
ودغدغت رمان الصدور ولم ازل	اعضعض تفاح الخدود المكتبا

فقلت لها يا سيدتى ممن اعلم بما نحن فيه قالت صدقت ثم تجنبناه فقال انى لحاقن فقلت يا غلام خذ الشمعة وامض بين يديه فخرج وابطأ فخرجنا فى طلبه فلم نجده واذا الابواب مغلقة والمفاتيح فى الخزانة فلا ندرى افى السماء صعد

اوفى الارض هبط ثم علمت انه ابليس وانه قادلى ثم انصرف فتذكرت قول

(ابى نواس حيث قال)

عجبت من ابليس فى كبره	وخبث ما اضمر فى نيته
تاه على آدم فى سجدة	وصار قوادا لذريته

ونظير ذلك مما يستظرف لابى نواس ماحكى عنه انه قال ضجرت من ملازمة امير المؤمنين هارون الرشيد حتى انى لم اجد فراغا الى نفسى فتوجه امير المؤمنين الى السرح ليبيت فيه ثم يعود فوجدت لروحى فرصة فدخلت دارى واغلقت بابى واحضرت شرابا وطلبت نفسى الخلوة فعند المساء واذا بالباب يطرق فخرجت واذا انا بظبى من اولاد الاتراك ما رات عينى احسن منه منظرا فسلم على وقال لى اتقبل ضيفا قلت ياسيدى ومن لى بذلك فدخل بيتى فحار عقلى عند دخوله ثم اخرج من تحت ثيابه سلاجة شراب ونقلا وشيئا من الدجاج ثم شرب وغنى شيئا لم اسمعه من غيره وقضيت مرادى منه مرارا الى ان مضى وقت من الليل وقد هام عقلى من الشراب ومن حسنه ومن تسليم نفسه الى بغير تقديم عوض ثم قال ياسيدى اريد الانصراف فقلت له ياسيدى متى خرجت انت خرجت روحى من جسدى وكل شئ املكه بين يديك وانا اصير عبدك بعد هذا اليوم ولا افارقك قال اصحيح ما تقول قلت نعم قال ما انا محتاج الى مالك وان كنت صادقا فيما ادعيت من محبتك لى قم واحلق لحيتك وشاربك وتقعد مثلى امرد قال فحكم على السكر والعشق فما قدرت ان اخالفه فاجبته الى ذلك على انه يبيت عندى فحمل الى موسى وبل لحيتى وفى الحال ازلها وبقيت مثله امرد ثم صار يضحك على وقال يا ابا نواس كيف الشعر الذى ذكرت فيه آدم وابليس فانشدته

(فانشدته قائلا)

عجبت من ابليس فى كبره	وخبث ما اضمر فى نيته
تاه على آدم فى سجدة	وصار قوادا لذريته

ثم ضحك ضحكا عاليا ووصل على ساحل تفاه صكا من عجا فاغتظت منه ثم قلت له ويلك أتفعل بي هكذا ثم اردت التطلع اليه فما وجدت احدا بجنبي

فقلت انه الملعون ابليس انتهى وقال بعضهم

قد جاءني بالليل ابو مرة	ابليس يدعوني بلا ترجمان
وقال هل لك في امرد	يهتز من اعطافه غصن بان
قلت نعم قال وفي خمرة	حبابها يحكي عقود الجمان
قلت نعم قال فنم آمنا	فانت رئيس هذا الزمان

وقال ابو نواس

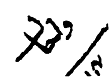
وليلة طال سهادي بها	فزارني ابليس عند الرقاد
وقال هل لك في قحبة	لبيبة تطرد عنك الرقاد
قلت نعم قال وفي قهوة	عتقها العاصر من عهد عاد
قلت نعم قال وفي مطرب	اذا شدا يطرب منا الجماد
قلت نعم قال وفي شادن	قد كحلت اجفانه بالسواد
قلت نعم قال وفي طفلة	في وجنتيها للحياء انقياد
قلت نعم قال فنم آمنا	يا كعبة الفسق ومركز الفساد

وقال زين الدين عمر بن الوردي معارضا لذلك

نمت وابليس اتى	بحيلة مستدبه
فقال ما قولك في	حشيشة منتخبه
فقلت لا قال ولا	خمرة كرم مذهبه
فقلت لا قال ولا	مليحة مطيبة
فقلت لا قال ولا	اغيد بالبدر اشتبه
فقلت لا قال ولا	آلة لهو مطربة
فقلت لا قال فنم	ما انت الا حطبه

واحضر ابو نواس عند الرشيد ليلة انس وكان ابو طوق حاضرا وكان ابو نواس
مشغوفا بحسنه وجماله فلما انقضى المجلس اخذ كل واحد مضجعا للنوم فخاف الخليفة
من ابى نواس على ابى طوق فقال الخليفة لابى طوق ثم انت على السرير وقال لابى
نواس انام انا وانت اسفل السرير فقال سمعا وطاعة وهو بذلك ضجر واضمر فى نفسه
وتغافل الخليفة عن ابى نواس واظهر النوم ثم انتبه فوجد ابا نواس فوق السرير بجنب
ابى طوق يضمه ويعانقه فقال ما هذا يا ابا نواس فقال هزنى الشوق من اجل ابى
طوق فقد خرجت من اسفل جئت الى فوق فقال له قاتلك الله انتهى من حلبة الكميت
(ومن غريب ما يحكى) ما حكاه القاضى ابو الحسن التنوخى فى كتاب الفرج بعد الشدة
ان منارة وكان صاحب شرطة الرشيد قال رفع الى هارون الرشيد ان رجلا
بدمشق من بقايا بنى امية عظيم المال كثير الجاه مطاع فى البلد له جماعة واولاد
ومماليك يركبون الخيل ويحملون السلاح ويغزون الروم وانه سمح جواد كثير
البذل والضيافة وانه لا يؤمن منه فعظم ذلك على الرشيد قال منارة وكان و
قوف الرشيد على هذا بالكوفة فى بعض حججه فى سنة ست وثمانين ومائة و
قد عاد من الموسم وقد بايع للامين والمأمون والمعتصم اولاده فدعانى وهو خال
وقال انى دعوتك لامر يهمنى وقد منعنى النوم فانظر كيف يكون ثم قص على خبر
الاموى وقال اخرج الساعة فقد اعددت لك الخيول وازحت علتك فى الزاد و
النفقة والآلة وتضم اليك مائة غلام واسلك البرية وهذا كتابى الى نائب دمشق
وهذه قيود فابدأ بالرجل فان سمع واطاع فقيده وجئنى به وان عصى فتوكل
عليه انت ومن معك لئلا يهرب وانفذ الكتاب الى امير دمشق ليكون مساعدا
واقبضا عليه وجئنى به واجلتك لذهابك ستا ولايابك ستا ويوما للمقامك
وهذا محمل تجعله فى شقة منه اذا قيدته وتقعد انت فى الشقة الاخرى ولا تكل
حفظه الى غيرك حتى تأتينى به فى الثالث عشر يوما من خروجك فاذا دخلت
داره فتفقدها وجميع ما فيها من اهله وولده وحاشيته وغلمانه وقدر نعمته

جواسره



والحال والمحل واحفظ ما يقوله الرجل حرفا بحرف من الفاظه منذ يقع طرفك
عليه حتى تأتيني به واياك ان يشكل عليك شيئا من امره انطلق قال منارة
فودعته وانطلقت وخرجت فركبت الابل وسرت اطوي المنازل اسير الليل
والنهار ولا انزل الا للجمع بين الصلاتين والبول وتنفيس لناس قليلا الى ان
وصلت الى دمشق في اول الليلة السابعة وابواب لبلد مغلقة فكرهت طرقها
ليلا فبت بظاهر البلد الى ان فتح بابها من غد فدخلت على هيئتي حتى اتيت باب
الرجل وعليه صف عظيم وحاشية كثيرة فلم استاذن ودخلت بغير اذن فلما
رأى لقوم ذلك سألوا بعض من معي عني قال هذا منارة رسول امير المؤمنين
الى صاحبكم قال فلما صرت في صحن الدار نزلت ودخلت مجلسا رايت فيه قوما
جلوسا فظننت ان الرجل فيهم فقاموا ورحبوا بي فقلت افيكم فلان قالوا لا
نحن اولاده وهو في الحمام فقلت استعجلوه فمضى بعضهم يستعجله وانا اتفقد
الدار والاحوال والحاشية فوجدتها ماجت باهلها موجا كثيرا فلم ازل كذلك
حتى خرج الرجل بعد ان طال مكثه واستربت منه واشتد قلقي وخوفي من ان
يتوارى الى ان رايت شخصا بزي الحمام يمشي في صحن الدار وحواليه جماعة كهول
واحداث وصبيان وهم اولاده وغلمانه فقلت انه الرجل فجاء وجلس وسلم علي
سلاما خفيفا وسألني عن امير المؤمنين واستقامة امر حضرته فاخبرته بما
وجب وما قضى كلامه حتى جاؤا باطباق فاكهة فقال تقدم يا منارة وكل معنا
فقلت مالي الى ذلك من سبيل فلم يعاودني فاكل هو ومن معه ثم غسل يديه
ودعا بالطعام فجاؤا اليه بمائدة حسنة لم ار مثلها الا للخليفة فقال يا منارة ساعدنا
على الاكل لا يزيدني على ان يدعوني باسمي كما يدعوني الخليفة فامتنعت عليه
فما عاودني فاكل هو ومن معه وكانوا تسعة من اولاده فتاملت اكله في نفسه فوجدته
ياكل اكل الملوك ووجدت ذلك الاضطراب الذي كان في داره قد سكن ووجدتهم
لا يرفعون شيئا من بين يديه قد وضع على المائدة الا تهيأ غيره حالا اعظم

واحسن منه وقد كان غلمانه اخذ والما نزلت الى الدار مالى وغلمانى وعدلوا بهم الى دار اخرى فما اطاقوا ممانعتهم وبقيت وحدى وليس بين يدى الاخمسر او ست غلمان وقوف على راسى فقلت فى نفسى هذا جبار عنيد فان امتنع من الشخوص لم اطق اشخاصه بنفسى ولا بمن معى ولا حفظه الا ان يلحقنى امير البلد وجزعت جزعا شديدا ورابنى منه استخفافه وتهاونه بامرى يدعونى باسمى ولا يفكر فى امتناعى من الاكل ولا يسال عما جئت به ويأكل مطمئنا وانا مفكر فى ذلك فلما فرغ من اكله وغسل يديه دعا بالبخور فتبخر وقام الى الصلاة وصلى الظهر واكثر من الدعاء والابتهال ورايت صلاته حسنة فلما انفتل من المحراب اقبل على وقال ما اقدمك يا منارة فاخرجت كتاب امير المؤمنين ودفعته اليه ففضه وقرأه فلما استتم قرأته دعا اولاده وحاشيته فاجتمع منهم خلق كثير فلم اشك انه يريد ان يوقع بى فلما تكاملوا ابتدأ فحلف ايمانا غليظة فيها الطلاق والعتاق والحج والصدقة والوقف ان لا يجتمع اثنان فى موضع واحد وامرهم ان ينصرفوا ويدخلوا منازلهم ولا يظهروا الى ان يكشف لهم امر يعتمدون عليه وقال هذا كتاب امير المؤمنين بالمضى اليه ولست اقيم بعد نظرى فيه ساعة واحدة واستوصوا بمن ورائى من الحرم خيرا وما لى حاجة ان يصحبنى احد هات قيودك يا منارة فدعوت بها وكانت فى سفط ومد يده فقيدته وامرت غلمانى بحمله حتى صار فى المحمل وركبت فى الشق الآخر وسرت من وقتى ولم الاق امير البلد ولا غيره وسرت بالرجل وليس معه احد الى ان صرنا بظاهر دمشق فابتدأ يحدثنى بانبساط حتى انتهينا الى بستان حسن فى الغوطة فقال لى اترى هذا قلت نعم قال انه لى وقال ان فيه من غرائب الاشجار كيت وكيت ثم انتهى الى آخر فقال مثل ذلك ثم انتهى الى مزارع حسان وقرى فقال مثل ذلك هذا لى فاشتد غيظى منه وقلت الست تعلم ان امير المؤمنين اهمه امرك حتى ارسل اليك من انتزعك من بين اهلك ومالك وولدك واخرجك فريدا مقيدا مغلولا ما تدرى الى ما يصير اليه امرك ولا كيف

يكون

يكون وانت فارغ القلب من هذا حتى تصف ضياعك وبساتينك بعد
ان جئتك وانت لا تفكر فيما جئت به وانست ساكن القلب قليل التفكر
لقد كنت عندى شيخا فاضلا فقال لى مجيبا انا لله وانا اليه راجعون اخطأت
فراستى فيك لقد ظننت انك رجل كامل العقل وانك ما حللت من الخلفاء
هذا المحل الا لما عرفوك فاذا عقلك وكلامك يشبه كلام العوام والله المستعان
اما قولك فى امير المؤمنين وازعاجه واخراجه اياى الى بابه على صورتى هذه
فانى على ثقة من الله عز وجل الذى بيده ناصية امير المؤمنين ولا يملك
امير المؤمنين لنفسه نفعا ولا ضرا الا باذن الله عز وجل ولا ذنب لى عند امير
المؤمنين اخافه وبعد فاذا عرف امير المؤمنين امرى وعرف سلامتى وصلاح
ناحيتى سرحنى مكرما فان الحسدة والاعداء رموني عنده بما ليس فى وتقولوا
على الاقاويل ويستحل دمى ويخرج من ايذائى وازعاجى ويردنى مكرما ويقيمنى
ببلاده معظما مبجلا وان كان قد سبق فى علم الله عز وجل انه يبدو لى منه سوء
وقد اقترب اجلى وكان سفك دمى على يده فلو اجتهدت الملائكة والانبياء واهل
الارض والسماء على صرف ذلك عنى ما استطاعوا فلم اتعجل الفكرة فيما فرغ الله منه
وانى احسن الظن بالله الذى خلق ورزق واحيا وامات وان الصبر والرضا والتسليم
الى من يملك الدنيا والآخرة وقد كنت احسب انك تعرف هذا فاذ قد عرفت مبلغ
فهمك فانى لا اكلمك بكلمة واحدة حتى يفرق بيننا امير المؤمنين ان شاء الله تعالى
ثم اعرض عنى فما سمعت منه لفظة غير القرآن والتسبيح او طلب ماء او حاجة حتى شارفنا
الكوفة فى اليوم الثالث عشر بعد الظهر والنجيب قد استقبلتنى قبل الكوفة بستة فراسخ من
الكوفة يتجسسوا خبرى فحين رأونى رجعوا عنى متقدمين بالخبر الى امير المؤمنين
فانتهيت الى الباب فى آخر النهار فحططت رحلى ودخلت على الرشيد وقبلت الارض
بين يديه ووقفت فقال هات ما عندك يا مسرور واياك ان تغفل منه عن لفظة
واحدة فسقت الحديث من اوله الى آخره حتى انتهيت الى ذكر الفاكهة والطعام و

الغسل والبخور وما حدثتني به نفسي من امتناعه والغضب يظهر في وجه امير المؤمنين ويتزايد حتى انتهيت الى فراغ الامور من الصلاة والتفاته الى وسؤاله عن سبب قدومي ودفعي الكتاب اليه ومبادرته الى احضار ولده واهله واصحابه وحلفه عليهم ان لا يتبعه احد وصرفه اياهم وملازمتي ومسيره وجلوسه في المحمل فقال صدقت والله ماهذا الا رجل محسود على النعمة مكذوب عليه ولعمري لقد ازعجناه وآذيناه وروعنا اهله فبادر بنزع قيوده وائتني به قال فخرجت ففككت قيوده وادخلته الى الرشيد فما هو الا ان رآه حتى رايت ماء الحياة يجول في وجه الرشيد فدنا الاموي وسلم بالخلافة ووقف فرد عليه الرشيد ردا جميلا وامره بالجلوس فجلس واقبل عليه الرشيد فسأله عن حاله ثم قال له بلغنا عنك فضل هيئة وامور احببنا معها ان نراك ونسمع كلامك ونحسن اليك فاذكر حاجتك فاجاب الاموي جوابا جميلا وشكر ودعا ثم قال ليس لي عند امير المؤمنين الا حاجة واحدة فقال مقضية فما هي قال يا امير المؤمنين تردني الى بلدي واهلي وولدي قال نفعل ذلك ولكن سل ما تحتاج اليه من مصالح جاهك ومعاشك فان مثلك لا يخرج الا ويحتاج الى شئ من هذا فقال يا امير المؤمنين عمالك منصفون وقد استغنيت بعدلهم عن مسألتي فاموري مستقيمة وكذلك اهل بلدي بالعدل الشامل في ظل امير المؤمنين فقال الرشيد انصرف محفوظا الى بلدك واكتب الينا بامر ان عرض لك فودعه الاموي فلما ولى خارجا قال الرشيد يا منارة احمله من وقتك وسر به راجعا كما سرت به حتى اذا وصلت الى مجلسه الذي اخذته منه فودعه وانصرف قال منارة فما زلت معه حتى انتهى الى محله ففرحت به اهله واعطاني عطاء جزيلا وانصرفت والله اعلم وهذه الحكاية على سبيل الاختصار (حكي) ان الخليفة هارون الرشيد قلق في بعض الليالي قلقا شديدا فاستدعى بوزيره جعفر البرمكي وقال له يا وزير ان صدري ضيق ومرادي الليلة التفرج في شوارع

بغداد وننظر في مصالح العباد بشرط ان لا يعرفنا احد من الناس ونتزيا بزي التجار
الاكياس فقال له الوزير السمع والطاعة فقاموا في الوقت والساعة قلعوا ما عليهم
من ثياب الملك والافتخار ولبسوا ثياب التجار الخليفة والوزير جعفر ومسرور السياف
الاكبر وتمشوا من مكان الى مكان حتى وصلوا الى الدجلة فراوا بالامر المقدور شيخا
قاعدا في شختور فتقدموا اليه وسلموا عليه وقالوا يا شيخ نشتهي من احسانك
وفضلك ان تفرجنا الليلة في مركبك وخذ هذين الدينارين اجرتك انتفع بهما
فقال لهم الشيخ من الذي يقدر على الفرجة والخليفة هارون الرشيد ينزل كل
ليلة في حراقة صغيرة الى الدجلة ومعه منادي ينادي معاشر الناس كافة جليلة
وردي شيخ وصبي خاص وعام عبدا وغلام كل من نزل في مركب بالليل وشق الدجلة
ضربت عنقه او يشنق على صاري مركبه وكانكم الساعة بالحراقة وهي مقبلة فقال له
الخليفة هارون الرشيد وجعفر البرمكي يا شيخ خذ هذين الدينارين وادخل
بنا قبوا من هذه الاقبية الى ان تروح الحراقة فقال لهم الشيخ هاتوا الذهب
والمستعان بالله فاخذ الذهب وعوم بهم قليلا واذا بالحراقة قد اقبلت من
كبد الدجلة وفيها الشموع والمشاعل فقال لهم الشيخ ما قلت لكم باستارة لا تكشف
الاستار فقال الخليفة هارون الرشيد والوزير جعفر البرمكي ادخل بنا يا شيخ
في قبو من الاقبية حتى تمضي هذه الحراقة فدخل بهم الى قبو ووضع عليهم مئزرا
اسود وصاروا يتفرجون من تحت المئزر واذا بالحراقة قد اقبلت والشمع يوقد
فيها واذا في مقدم الحراقة مشاعلي بيده مشعل من الذهب الاحمر يوقد فيه بالعود
القاقلي وعلى المشاعلي قباء اطلس احمر بطراز مزركش اصفر وعلى راسه شاش موصلي
وعلى كتفيه مخلاة من الحرير الاخضر ملانة من العود القاقلي وهو يوقد
به عوض الحطب ومشاعلي آخر في مؤخر الحراقة مثله ومائتي مملوك واقفين
ميمنة وميسرة وكرسي منصوب من الذهب الاحمر وعليه شاب حسن جالس
كالقمر وعليه خلعة سوداء بطراز من الذهب الاصفر وبين يديه انسان

حراقة: نوعی از کشتی ها

كانه الوزير جعفر وعلى رأسه خادم واقف كانه مسرور بسيف مشهور وعشرون نديما
فقال الخليفة يا جعفر فقال لبيك يا امير المؤمنين قال لعل ان يكون هذا احد اولادي اما
المامون او محمد الامين فلما وصلت الحراقة اليهم واذا بالمشاعلي ينادي معاشر
الناس كافة الخاص والعام الجيد والردي والعبد والغلام جهاوات وغير
جهاوات قد رسم خليفتنا هذا ان كل من تفرج في الدجلة او فتح طاقة حل ماله
وضربت رقبته ومن لا يصدق يجرب قال فتأمل الخليفة هارون الرشيد
في الشاب وهو جالس على كرسي من الذهب قد كمل بالحسن والبهاء والكمال قد
المنصب فلما تامله هارون الرشيد التفت الى الوزير قال يا وزير فقال له لبيك
يا امير المؤمنين قال والله ما ابقى شيئا من شكل الخلافة وهذا الذي بين
يديه كانه انت يا جعفر لا محالة والخادم الذي على رأسه كانه مسرور وهذا
وهؤلاء الندماء كانهم ندمائي وقد حار عقلي في هذا الامر فقال له الوزير
وانا والله يا امير المؤمنين كذلك ثم تقدمت الحراقة الى ان غابت عن العين
فعند ذلك خرج الشيخ بالشختور الذي فيه الجماعة من تحت القبو وقال الحمد لله
على السلامة الذي لم يصادفنا فقال له الخليفة يا شيخ وهذا الخليفة ينزل
كل ليلة في الدجلة قال نعم يا سيدي له على هذه الحالة سنة كاملة فقال
له الخليفة يا شيخ نشتهي من فضلك واحسانك ان تقف لنا ليلة غد في هذا
المكان ونحن نعطيك خمسة دنانير فانا قوم غرباء وقصدنا التنزه ونحن
نازلون في الفندق فقال الشيخ السمع والطاعة قال ثم ان الخليفة وجعفر و
مسرور توجهوا من عند الشيخ المراكبي الى القصر وقلعوا ما عليهم من لبس التجار
ولبسوا ثياب الملك والافتخار وجلس كل واحد في مرتبته ودخلت الامراء والحجاب
والنواب وانعقد المجلس بالناس ولما انقضى النهار وتفرقت الاجناس قال
الخليفة هارون الرشيد لوزيره يا جعفر انهض بنا للفرجة على الخليفة الثاني
فضحك جعفر ومسرور ولبسوا لبس التجار وخرجوا منشرحين الصدور وكان

خروجهم من باب السر فلما وصلوا الى الدجلة وجدوا الشيخ صاحب التختور لهم في
الانتظار فنزلوا عنده في المركب فلما استقروا مع الشيخ المراكبي واذا بالخليفة الثاني
في الحراقة وقد اقبلت عليهم فتاملوها واذا فيها مائتا مملوك غير المماليك الاول و
المشاعليه تنادي على عادتهم فقال الخليفة يا وزير هذا شي لو سمعت به ما
صدقت ولكن رايت هذا عيانا ثم ان الخليفة قال لصاحب التختور يا شيخ هذه
عشرة دنانير وسر بنا في مساواتهم فانهم في النور ونحن في الظلام ننظرهم ونتفرج
عليهم وهم لا ينظروننا فاخذ الشيخ العشرة دنانير واطلق التختور في مساواتهم و
صار في ظلام الحراقة ولم يزالوا سائرين في اثرهم الى آخر البساتين واذا بزريبة
بطول الحراقة التصقت عليها واذا بغلامين واقفين ومعهما بغلة مسرجة
ملجمة فطلع الخليفة الثاني وركب البغلة وسار بين الندمان وزعقت المشاعلية
والجاويشية واشتغلت الغاشية وطلع هارون الرشيد وجعفر ومسرور الى
البر وشقوا بين المماليك وساروا قدامهم فلاحت من المشاعلية التفاتة فرأوا
ثلاثة انفار لبسهم لبس التجار وهم غرباء فانكروهم وغمزوا عليهم فمسكوهم واحضروهم
بين يدي الخليفة الثاني فلما نظرهم قال كيف وصلتم الى هذا المكان وما الذي
جاء بكم في مثل هذا الوقت فقالوا يا مولانا اليوم كان قدومنا ونحن قوم غرباء
تجار وخرجنا نتمشى الليلة واذا بكم قد اقبلتم وجاؤا هؤلاء وقبضوا علينا واوقفونا
بين ايديكم وهذا خبرنا فقال لهم الخليفة الثاني طيبوا قلوبكم فلا بأس عليكم
لانكم قوم غرباء ولو كنتم من بغداد لضربت اعناقكم بالمخالفة ثم التفت الى وزيره
وقال خذ هؤلاء صحبتك ليكونوا ضيوفنا الليلة فقال سمعا وطاعة ثم ساروا الى
ان وصلوا الى قصر عظيم الشان محكم البنيان ما حواه سلطان قصر قام من
التراب وتعلق باكناف السحاب بابه من خشب الساج مرصع بالذهب الوهاج
يدخل منه الى ايوان بفسقية وشاذروان وحصر عبداني ومخدات اسكندراني
وستر مسبول وفرش تذهل العقول وعلى عتبة الباب مكتوب

هذه الابيات

قصر عليه تحية وسلام	نشرت عليه جمالها الايام
فيه العجائب والغرائب نوعت	فتحيرت فى نعتها الاقلام

قال فدخل الخليفة الثانى الى القصر والجماعة فى خدمته الى ان جلس على كرسى من الذهب مرصع بالدر والجوهر وعلى الكرسى بشخانة من الحرير الاخضر لا يرى مثلها الا عند كسرى وقيصر مزركشة بالذهب الاحمر معلقة فى بكرة من الصندل رياحاتها من الحرير الاصفر هذا وقد جلس الندماء فى مراتبهم وصاحب سيف النقمة واقف بين يديه فمدوا السماط واكلوا ورفعوا الخوان ولايديهم غسلوا واحضرت آلة المدام ووضعت الطاسات والاوانى وصففت الاباريق والكاسات والقنانى ودار الدور الى ان وصل الى الخليفة هارون الرشيد فامتنع من الشراب فقال الخليفة الثانى لجعفر ما بال صاحبك لا يشرب فقال يا مولاى له مدة ما شرب فقال الشاب عندى مشروب غير هذا يصلح لصاحبك على شراب التفاح ففى الحال احضر فقدم بين يدى هارون الرشيد وقال كلما وصل اليك الدور فاشرب من هذا ولا زالوا يشربون فى انشراح وتعاطى اقداح الى ان تمكن الشراب من روسهم واستولى على عقولهم ونفوسهم فقال الرشيد لوزيره والله يا وزير ما عندنا آنية مثل هذه الآنية فياليت شعرى من يكون هذا الشاب فبينما هما يتحدثان بلطافة اذ لاحت من الشاب التفاتة فوجد الوزير يتوشوش مع الخليفة فقال الوشوشة عربدة فقال الوزير ما ثم عربدة الا ان رفيقى هذا يقول سافرت غالب البلاد ونادمت الملوك وعاشرت الاجناد ما رايت احسن من هذا النظام ولا مثل آنية هذا المدام الا ان اهل بغداد يقولون الشراب بلا سماع من جملة المجون فلما سمع الخليفة الثانى هذا الكلام تبسم وانشرح وكان بيده قضيب فضرب به على مدورة واذا بباب قد فتح وخرج منه خادم يحمل كرسيا من العاج مصفحا بالذهب الوهاج وخلفه

جارية قد كملت بالحسن والجمال والبهاء والكمال فنصب الخادم الكرسي وجلست عليه الجارية وهي كالشمس الضاحية وبيدها عود من صنعة الهنود وسازنه وحنت اليه وغنت بعد ان ضربت اربعة وعشرين طريقة عليه فاذهلت العقول و

(عادت الى الطريقة الاولى وجعلت تقول)

لسان الهوى من مقلتي لك ناطق	يخبر عني انني لك عاشق
ولي شاهد من طرف قلبي معذب	وقلبي جريح من فراقك خافق
وكم اكتم الحب الذي قد اذابني	وقلبي قريح والدموع سوابق
وماكنت ادري قبل حبك ما الهوى	ولكن قضا الرحمن في الخلق سابق

قال فلما سمع الخليفة الثاني هذا الشعر من الجارية صرخ صرخة عظيمة وشق البدلة التي كانت عليه الى الذيل فاسبلت عليه البشخانة واتى ببدلة غيرها احسن منها فلبسها وجلس على عادته فلما وصل القدح اليه ضرب القضيب على المدورة واذا بباب قد فتح وخرج منه خادم حامل كرسيا من الذهب وخلفه جارية احسن من الاولى وجلست على الكرسي وبيدها عود يكمد الحسود وانشدت تقول

كيف اصطباري ونار الشوق في كبدي	والدمع من مقلتي طوفانه مدد
والله ما طاب لي عيش اسر به	وكيف يفرح قلب حشوه كمد

قال فصرخ الشاب صرخة عظيمة وشق ما عليه الى الذيل واسبلت عليه البشخانة على العادة واتوا ببدلة غيرها احسن منها فلبسها واستوى جالسا ودار المدام وانبسط الكلام فلما وصل القدح اليه ضرب القضيب على المدورة ففتح باب وخرج منه خادم على العادة ومعه كرسي وخلفه جارية فجلست على الكرسي ومعها عود يذهل الاسود فغنت وانشدت تقول

اقصروا الهجر كم وقلوا جفاكم	فؤادي وحقكم ما سلاكم
وارحموا مدنفا كئيبا حزينا	ذا غرام متيما في هواكم
قد براه السقام من عظم وجد	يتمنى من الاله رضاكم

كيف اختار فی الانام سواكم	يا بدور محلكم فی فؤادی

قال فصرخ الشاب وشق ما عليه من الثياب فارخوا عليه البشخانة واتوه ببدلة غيرها وعاد الى حالته مع ندمائه ودارت الاقداح وطاب الانشراح فلما وصل اليه وضرب بالقضيب على المدورة ففتح باب وخرج منه خادم حامل كرسيا وخلفه جارية فجلست على الكرسی واخذت العود وغنت تقول

ويرجع ما قد نقضتی لی اولا	نری بنصر حال التهاجر والقلا
فی طيب عيش والحواسد غفلا	ايام كنا والديار تلمنا
من بعد ها تبك المنازل والحلا	غدر الزمان بنا وفرق شملنا
واری لقلبی ما يطيع العذلا	اتروم منی يا عذولی سلوة
القلب من انس المحبة ما خلا	فدع الملام وخلنی بصبا بتی
لا تحسبوا قلبی لبعدكم سلا	يا سادة نقضوا العهود وبدلوا

قال فلما فرغت الجارية صرخ الشاب صرخة عظيمة وشق ما عليه من الثياب ووقع الى الارض مغشيا عليه وسقط منه القوی والحيل فارادوا ان يرخوا عليه البشخانة على العادة فتعوقت حبالها بالارادة فلاحت من هارون الرشيد التفاته منسارع فنظر على اجناب الشاب اثر مقارع فقال الرشيد بعد النظر والتاكيد لجعفر والله انه شاب مليح الا انه لص قبيح وما عندك منه خبر هل رايت ما على جنبيه من الاثر وقد اسبلت البشخانة على العادة واتی ببدلة غيرها فلبسها وقد افاق من غشوته فاستوی جالسا على العادة مع الندمان فحانت منه التفاتة فوجد جعفر والخليفة يتحدثان فقال لهما ما الخبر يا فتيان فقال جعفر يا مولای خير لا شك ولا خفا ان رفيقی هذا من التجار الكبار وسافر جميع الامصار وصحب الملوك والاخيار وقال ان الذی حصل من مولانا الخليفة فی هذه الليلة اسراف عظيم لم ار احدا فعل هذا الفعل فی هذه الاقاليم لانه شق كل بدلة بخمسمائة دينار وهذا شئ زائد فی العيار فقال الشاب يا هذا

المال مالي والقماش قماشي وهذا من بعض انعامي على الخدم والحواشي فان كل بدلة شققتها هي لواحد من الندماء الحضار وقد رسمت لهم ان العوض على كل بدلة خمسمائة دينار فانشد عند ذلك الوزير جعفر يقول

بنت المكارم وسط كفك منزلا	فجميع مالك للانام مباح
واذا المكارم ما اغلقت ابوابها	يوما فانت لقفلها مفتاح

قال فلما سمع الشاب هذا الشعر من الوزير جعفر رسم له بالف دينار وبدلة ثم دارت بينهم اقداح وطاب لهم شراب الراح فقال الرشيد يا جعفر اساله عن الضرب الذي رايناه على جنبيه حتى ننظر ما يقول في جوابه فقال الوزير يا مولاي لا تعجل وترفق بنفسك فالصبر اجمل وقال وحياة راسي وتربة العباس ما لم تسأله اخمدت منك الانفاس فعند ذلك التفت الشاب الى الوزير وقال ما لك مع رفيقك وما الخبر فقال خيرا يا مولانا فقال سألتك بالله الا ما اخبرتني بخبره ولا تكتم عني شيئا من امره فقال يا مولاي انه ابصر على جنبيك اثر سياط فتعجب من ذلك غاية العجب وقال يا الله العجب الخليفة يضرب وقصده يعلم ما السبب فلما سمع الشاب هذا الكلام تبسم وقال للهم فنعم اعلموا ان حديثي عجيب وامري غريب لو كتب بالابر على اماق البصر لكان عبرة لمن اعتبر ثم تاوه وان واشتكى وبكى وانشد يقول

حديثي عجيب حاز كل العجائب	وحق اله قد عرف بالمواهب
فان شئتموا ان تسمعوا لي فانصتوا	ويطيب هذا الجمع من كل جانب
واصغوا الى قولي ففيه اشارة	وان كلامي صادق غير كاذب
لاني قتيل من غرام ولوعة	وقاتلتي فاقت جميع الكواعب
لها مقلة كحلا وخد مورد	ويقتلني منها قسي الحواجب
قد حس قلبي ان فيكم امامنا	خليفة هذا الوقت ابن الاطايب
وثانيكم يدعى الوزير بجعفر	حقيقة يدعى صاحبا وابن صاحب
وثالثكم مسرور سياف نقمة	فان كان هذا القول حقا بصائب

فقد نلت ما ارجو على كل حالة		وجاء سرور القلب من كل جانب

قال فعند ذلك حلف له جعفر انهم لم يكونوا المذكورين فضحك الشاب وقال الذى اعرفكم به انى ما انا امير المؤمنين وانما سميت نفسى بهذا الاسم لابلغ ما اريد من ابناء المدينة واسمى على بن محمد الجوهرى وان ابى كان من الاعيان ومات وخلف لى اموالا لا تأكلها النيران من ذهب وفضة ولؤلؤ ومرجان وياقوت وجوهر وزمرد وبهرمان وحمامات وغيطان وبساتين وفنادق وطواحين وعبيد وجوارى وغلمان فلما كان فى بعض الايام وانا جالس فى حانوتى وحولى الحشم والخدم واذا انا بجارية قد اقبلت على بغلة وفى خدمتها ثلاث جوار كانهن الاقمار ونزلت على دكانى وجلست وقالت انت على بن محمد الجوهرى فقلت لها مملوكك وعبدك قلت فقالت هل عندك عقد جوهر يصلح لمثلى فقلت لها يا ستى الذى عندى يحضر بين يديك فان اعجبك شئ كان بسعد المملوك وان لم يعجبك شئ منه فبسوء حظى وكان عندى مائة عقد جوهر فعرضت عليها الجميع فلم يعجبها شئ منهم وقالت اريد احسن مما رايت وكان عندى عقد صغير شراه على والدى بمائة الف دينار لم يوجد مثله عند احد من السلاطين الكبار فقلت يا سيدتى بقى عندى عقد الفصوص والجواهر الذى لم يملكه احد من الاصاغر والاكابر فقالت ارنى اياه فلما رأته قالت هذا الذى طول عمرى اتمناه ثم قالت بكم ثمنه فى الاسعار فقلت شراؤه على والدى بمائة الف دينار فقالت ولك خمسة آلاف فائدة فقلت لها يا سيدتى العقد وصاحبه فى الرق بين يديك ولا خلاف فقالت لا بد من الفائده ولك الجميلة الزائدة وقامت من وقتها عجلة وركبت سرعة البغلة وقالت يا سيدى نور الدين باسم الله تكرم بصحبتنا لتاخذ الثمن فان نهارك اليوم بنا مثل اللبن فقمت وقفلت الدكان وسرت معها فى امان الى ان وصلنا الدار فوجدتها دارا عليها السعادة لائحة والافتخار وعلى بابها مكتوب بالذهب واللازورد العجب هذه الابيات

الا يا دار لا يدخلك حزن	ولا يغدر بصاحبك الزمان
فنعم الدار انت لكل ضيف	اذا ما ضاق بالضيف المكان

فنزلت الجارية ودخلت الدار وامرتني بجلوسي الى ان يأتي الصبي فجلست على باب الدار ساعة لطيفة واذا بالجارية خرجت الي وقالت يا سيدي ادخل الى الدهليز فان جلوسك على الباب قبيح فقمت الى الدهليز وجلست على الدكة ساعة واذا بالجارية خرجت الي وقالت يا سيدي تقول لك سيدتي ادخل و اجلس على جانب الايوان حتى تقبض مالك فقمت فدخلت البيت وجلست حيث امرتني واذا بكرسي من الذهب وعليه ستارة من الحرير الاحمر واذا بتلك الستارة قد رفعت فبان من تحتها تلك الجارية التي اشترت مني العقد وقد اسفرت عن وجه كانه دائرة القمر والعقد في عنقها فاندهش عقلي وحار ذهني ولبي من رؤية تلك الجارية وحسنها فلما رأتني قامت من على الكرسي وسعت الى نحوي وقالت يا نور الدين من كان مليحا يرثى لمحبوبه فقلت يا سيدتي الحسن كله فيك وهو من بعض معانيك فقالت يا علي اعلم اني احبك وما صدقت بك الا لما صرت عندي ثم انها طوقتني على وعانقتني فقبلتها وقبلتني ثم جذبتني وعلى صدرها رمتني فلما علمت مني اني اريد ان اهم بها قالت يا علي اتريد ان تجتمع بي في الحرام والله لا كان من يفعل الآثام ويرضى بقبيح الكلام فاني بكر عذراء ما دنا مني احد ولست مجهولة في البلد اتعلم من انا فقلت لا والله وحلفت لها يمينا فقالت انا الست دنيا بنت يحيى بن خالد البرمكي واخي جعفر فلما سمعت ذلك منها جمعت خاطري عنها وقلت يا سيدتي ما لي ذنب في التهجم عليك انت التي اطمعتيني في احسانك والوصول الى جنابك فقالت لا بأس عليك ولا بد من الاحسان اليك فان امري بيدي والقاضي ولي عقدي والقصد ان اكون لك وتكون لي ثم انها دعت بالقاضي والشهود وبذلت المجهود فلما حضروا قالت لهم هذا نور الدين علي بن الجوهري قد طلب زواجي ودفع

لى هذا العقد مهرى وانا قد قبلت ورضيت ثم ان القاضى رحمه الله تعالى واثنى عليه وكتب الكتاب فد خلت عليها بعد ان اعطت للقضاة شيئا ماله حساب واحضرت المدام واحضرت الاقداح باحسن نظام فلما شعشعت الخمرة فى

روسنا امرت جارية عودية ان تغنى فانشأت تقول

قلبى وآمالى بباب رجاكمو	لا ابتغى فى الكون غير رضاكمو
يا جيرة جاروا على ببعدهم	حنوا علينا وارحموا مضناكمو
حاشاكمو يا سادتى حاشاكمو	صبا معنى مغرما بهواكمو
بالله جودوا وارحموا المتيم	لا يستمع فيكم حديث سواكمو
موسى اشتياقى فوق طور رضاكمو	فاذا اشجاه حسنكم ناجاكمو

قال فاطربتنا الجارية بحسن غناها ولم تزل الجوارى يغنين جارية بعد جارية وينشدن الاشعار الى ان غنت عشر جوار فعند ذلك اخذت العود

الست دنيا وانشدت تقول

اقسم بلين قوامك المياس	انى لنار الهجر منك اقاسى
فارحم لصب فى هواك متيم	يا بدر تم انت سيد الناس
انعم بوصلك كما بات لويلة	اجلو جمالك فى ضياء الكاس
ما بين ورد جمعت الوانه	مع نرجس ايضا وحسن الآس

قال الشاب ثم انى اخذت منها العود وضربت عليه وغنيت هذه

الابيات

سبحان ربى جميع الحسن اعطاك	حتى بقيت انا من بعض اسراك
يا من لها ناظر تسبى الانام به	خذى الامان لنا من سحر عيناك
فالماء والنار فى خديك قد جمعا	والورد جورى نبت فى وسط خداك
انت الغرام لقلبى والنعيم له	فما امرك فى قلبى واحلاك

قال فلما سمعت منى ما قلت فرحت فرحا شديدا ثم انها صرفت الجوارى وقمنا

الى احسن مكان قد فرش لنا فيه من سائر الالوان ونزعت ما عليها من الثياب وخلوت بها خلوة الاحباب فوجدتها بنتا بكرا لم يقربها ففرحت بي وفرحت بها فرحا لم اجد في عمري ليلة اطيب منها وفيها

انشدت اقول

يا ليل دم لي لا اريد صباحا	يكفي بوجه معانقي مصباحا
طوقته طوق الحمام بساعدي	وجعلت كفي للثام مباحا
هذا هو الفوز العظيم فمن لنا	متعانقين فلا نريد براحا

فاقمت عندها شهرا كاملا وقد نسيت الدكان والاهل والاوطان الى ذات يوم من الايام قالت يا نور الدين قد عزمت اليوم على المسير الى الحمام وانت اقعد على هذا السرير الى ان ارجع اليك فقلت سمعا وطاعة وحلفتني ان لا انتقل من موضعي فاخذت جواريها وذهبت الى الحمام فوالله يا اخواني ما لحقت تخرج من راس الزقاق الا والباب قد فتح ودخلت منه عجوز وقالت يا نور الدين الست زبيدة تدعوك فقد سمعت بشبابك وطيب غنائك فقلت والله علي يمين انني ما اقوم من مقامي حتى تاتي الست دنيا فقالت العجوز يا نور الدين لا تخل الست زبيدة تصير عدوتك فقم كلمها وارجع فقمت من وقتي اليها والعجوز امامي الى ان اوصلتني الى الست زبيدة فلما وصلت اليها قالت يا نور الدين انت معشوق الست دنيا فقلت مملوكك وعبدك فقالت صدق الذي وصفك بالحسن والجمال فانك فوق الوصف والمقال ولكن غن لي شيئا حتى اسمعك فقلت السمع والطاعة فاتتني بعود فغنيت

عليه وانشدت اقول

قلب المحب مع الاحباب متعوب	وجسمه بيد الاسقام منهوب
ما في الركائب من زمت حمولهم	الا وكان له في الظعن محبوب
استودع الله لي في حيكم قمرا	يهواه قلبي وعن عيني محجوب

يرضي ويغضب ما احلى له الله | وكل ما يفعل المحبوب محبوب

فقالت لى حفظ الله بدنك وطيب انفاسك فلقد كملت فى الحسن والظرف والمعنى
فقم الى مكانك قبل ان تجئ اليه الست دنيا فلم تجدك فتغضب عليك فقبلت
الارض وخرجت والعجوز امامى الى ان اوصلتنى الى الباب الذى خرجت منه
فدخلت وجئت الى السرير لاجلس فوجدتها جاءت من الحمام ونامت على السرير
فقعدت عند رجليها وصرت اكبسها ففتحت عينيها فرأتنى فجمعت رجليها و
رفستنى رمتنى من على السرير وقالت يا نور الدين خنت اليمين وكذبت وذهبت
الى الست زبيدة والله ولاخوفى من الفضيحة والفضيحة لاخربت قصرها على رأسها
ثم قالت لعبدها يا صواب قم اضرب رقبة هذا النذل الكذاب فلا حاجة لنا
به فتقدم ذلك الخادم الى وشرط ذيلى وعصب عينى واراد ان يضرب رقبتى
فقامت اليها الجوارى الكبار والصغار وقلن لها يا ستناه ما هو باول من اخطأ
وما عرف خلقك وانت ما تبغضيه وما فعل ذنبا يوجب ان تقتليه فقالت
والله لابد ما اوثر فيه اثرا ثم انها امرت بضربى فضربت على اضلاعى الضرب
الذى رايتموه وامرت باخراجى فاخرجونى وابعدونى عن القصر ورمونى
ورجعوا وتركونى فلمت نفسى فمشيت قليلا قليلا الى ان وصلت الى منزلى و
احضرت جراحا واريته الضرب فلاطفنى وسعى فى مصالحى فلما صح جسمى
دخلت الحمام وزالت عنى الاوجاع والاسقام جئت الى الدكان واخذت جميع
ما فيها وبعته وجمعت ثمنه واشتريت اربعمائة مملوك ما جمعهم احد من الملوك
يركب معى فى كل يوم مائتان وعملت هذه المركب الحراقة بالف ومائتين من
الذهب العين وسميت نفسى بالخليفة ورتبت من معى من الخدام كل واحد فى
وظيفة وناديت كل من تفرج فى الدجلة ضربت عنقه بلا مهلة ولى على هذه
الحالة سنة كاملة ولم اسمع لها بخبر ولا وقفت لها على اثر ثم انه بكى وا ن

واشتكى وانشد يقول

والله ما كنت طول الدهر ناسيها ... ولا دنوت الى من ليس يدنيها
كانها البدر في تكوين خلقتها ... سبحان خالقها سبحان باريها
صدت ولا ذنب لي الا محبتها ... فكيف حال الذي قد بات ناعيها
وصيرتني حزينا ساهيا دنفا ... والقلب قد حار مني في معانيها

قال فلما سمع هارون الرشيد كلام الشاب وما ابداه من الخطاب تعجب غاية العجب وقال سبحان من جعل لكل شيء سببا ثم انهم طلبوا من الشاب الانصراف و اضمر الرشيد للشاب الانصاف وان يتحفه غاية الاتحاف فانصرفوا من عنده سائرين الى قصر الخلافة طالبين ولما استقر بهم في منزلهم الجلوس غيروا ما كان عليهم من الملبوس ولبسوا اثواب الموكب والملك والزينة وكذلك مسرور سياف النقمة والعطب فقال الخليفة لجعفر المهاب يا وزير علي بالشاب فخرج اليه الحشم والخدم وساروا الى منزل الشاب فخرج اليه وسلم عليه فقال له الوزير جعفر اجب امير المؤمنين فقال سمعا وطاعة لامير المؤمنين وحامي حوزة الدين فسار معه الى القصر وهو من الترسيم عليه في حصر فلما دخل الى الخليفة ورفع الوزير الستر عن السدة الشريفة فلما رأى الشاب الخليفة عرفه فقبل الارض بين يديه ودعا له بدوام العز واثنى عليه وقال السلام عليك يا امير المؤمنين وحامي حوزة الدين وقامع المفسدين وامام المتقين هناك الله بما اعطاك وجعل الجنة مأواك والنار مثوى لاعداك وانشد يقول

لا زال بابك كعبة مقصودة ... وترابها فوق الجباه رسوم
حتى ينادى في البلاد باسرها ... هذا المقام وانت ابراهيم

فعند ذلك تبسم الخليفة في وجهه ورد عليه السلام واظهر له الاحسان والاكرام وقربه اليه واجلسه بين يديه وقال له يا نور الدين اريد ان تحدثني بحديثك الليلة يا مسكين فانه من اعجب الامور فقال الشاب العفو يا امير المؤمنين اعطني منديل الامان ليهدا روعي ويطمئن قلبي فقال الخليفة لك الامان فشرع الشاب

يتحدث بالذي جرى له من اوله الخ فعلم الخليفة من غير اطالة ان الصبي
عاشق لا محالة فقال الخليفة اتحب ان اردها اليك يا مسكين قال نعم يا امير
المؤمنين ثم انشا يقول

ان رمت احسانا فهذا وقته	او رمت معروفا فهذا محله

فعند ذلك التفت الرشيد الى الوزير وقال له احضر لي اختك الست دنيا
بنت الوزير يحيى فقال له السمع والطاعة فاحضرها في الوقت فلما امتثلت بين
يديه قال لها اتعرفي هذا فقالت من اين للنساء معرفة بالرجال فتبسم وقال
يا دنيا قد عرفنا الحال وسمعنا الحكاية من اولها الى آخرها وفهمنا باطنها وظاهرها
والامر لا يخفى وان كان مستورا فقالت كان ذلك في الكتاب مسطورا وانا
استغفر الله مما جرى مني واسأل من فيض الفضل العفو عني فضحك الخليفة
واحضر القاضي والشهود وعقد له ثانيا عليها وحصل له سعد السعود واكمد العدو
والحسود وجعله نديمه وزاد تكريمه وعاش بقية عمره في اتم عيش ونعمة يجالس
الخليفة في الليل والنهار تؤانسه الست دنيا ذات الفخار وهذا ما انتهى الينا
من التلخيص والله اعلم ويحكى ان جعفر البرمكي نادم الرشيد ليلة
فقال يا جعفر بلغني انك اشتريت الجارية الفلانية ولي مدة اطلبها فانها
بديعة الجمال ولي شوق زائد اليها فبعنيها قال ليس علي فيها بيع قال هبنيها قال
ولا اهبها فقال الرشيد زبيدة طالق مني ثلاثا ان لم تبعنيها او تهبنيها وقال
جعفر زوجتي طالق مني ثلاثا ان بعتها او وهبتها ثم افاقا من نشوتهما وعلما
انهما وقعا في امر عظيم وعجزا في تدبير الحيلة فقال الرشيد هذه واقعة
ليس لها غير ابي يوسف فاطلبوه وكان قد انتصف الليل فلما طلب قام فزعا و
قال ما طلبت في هذا الوقت الا لامر حدث في الاسلام ثم خرج مسرعا وركب
بغلته وقال لغلامه اصحب معك المخلاة فلعل فيها بعض شعير فاذا دخلنا دار
الخلافة ودخلت فضع بين يدي الدابة شيئا منه تشتغل به الى حين خروجي فانها

لم تستوف عليقها فی هذه الليلة فقال سمعا وطاعة فلما دخل على الرشيد قام له واجلسه على سريره بجانبه وكان لا يجلس معه غيره وقال له ما طلبناك الا لامر مهم وهو كذا وكذا وقد عجزنا فی تدبير الحيلة فقال يا امير المؤمنين هذا من اسهل ما يكون يا جعفر بع امير المؤمنين نصفها وهب نصفها تبرّ من يمينكما فسر بذلك امير المؤمنين وفعلا فقال الرشيد احضر الجارية فی هذا الوقت فانی شديد الشوق اليها فاحضرت فقال للقاضی ابی يوسف اريد وطئها فی هذا الوقت ولا اطيق الصبر الى مضی مدة الاستبراء اوسع لی الحيلة فی ذلك فقال ابو يوسف ائتونی بمملوك من مماليك امير المؤمنين الذين لم يجر عليهم العتق فاحضر مملوك فقال ابو يوسف يا امير المؤمنين ائذن لی ان ازوجها منه ثم يطلقها قبل الدخول فيحل وطؤها فی الحال من غير استبراء فاعجب الرشيد ذلك اكثر من الاول فقال اذنت لك فاوجب القاضی النكاح ثم قبله المملوك فقال له القاضی طلقها فقال لا هذه صارت لی زوجة وانا لا اطلقها فرددوا عليه القول فابى وضاق صدر الخليفة لذلك وقال قد اشتد الامر اعظم مما كان فقال القاضی ابو يوسف يا امير المؤمنين ارغبه بالمال فقال طلقها ولك مائة دينار فقال لا افعل قال مائتا دينار قال لا افعل الى ان عرضوا عليه الف دينار وهو يمتنع وقال للقاضی الطلاق بيدی اوبيد امير المؤمنين ام بيدك قال بل بيدك انت قال والله لا افعل ابدا فاشتد غضب امير المؤمنين فقال القاضی يا امير المؤمنين لا تجزع فان الامر هين ملك هذا العبد للجارية فقال ملكته لها وقال لها القاضی قولی قبلت فقالت الجارية قبلت فقال القاضی حكمت بالتفريق بينهما لانه دخل فی ملكها فانفسد النكاح فقام امير المؤمنين على قدميه وقال مثلك من يكون قاضيا فی زمانی واستدعى باطباق الذهب فافرغت بين يديه وقال للقاضی هل معك شیء توعيه فتذكر مخلاة البغلة فاستدعى بها فملئت له ذهبا فاخذها وانصرف فلما اصبح قال لخلانه انظروا الی من تعلم العلم فليتعلم كذا فانی اعطيت هذا المال

فقد نلت ما ارجو على كل حالة	وجاء سرور القلب من كل جانب

قال فعند ذلك حلف له جعفر انهم لم يكونوا المذكورين فضحك الشاب وقال الذى اعرفكم به انى ما انا امير المؤمنين وانما سميت نفسى بهذا الاسم لابلغ ما اريد من ابناء المدينة واسمى على بن محمد الجوهرى وان ابى كان من الاعيان ومات وخلف لى اموالا لاتاكلها النيران من ذهب وفضة ولؤلؤ ومرجان و ياقوت وجوهر وزمرد ويهرمان وحمامات وغيطان وبساتين وفنادق و طواحين وعبيد وجوارى وغلمان فلما كان فى بعض الايام وانا جالس فى حانوتى وحولى الحشم والخدم واذا انا بجارية قد اقبلت على بغلة وفى خدمتها ثلاث جوار كانهن الاقمار ونزلت على دكانى وجلست وقالت انت على بن محمد الجوهرى فقلت لها مملوكك وعبدك قال فقالت هل عندك عقد جوهر يصلح لمثلى فقلت لها يا ستى الذى عندى يحضر بين يديك فان اعجبك شئ كان بسعد المملوك وان لم يعجبك شئ منه فبسوء حظى وكان عندى مائة عقد جوهر فعرضت عليها الجميع فلم يعجبها شئ منهم وقالت اريد احسن مما رايت وكان عندى عقد صغير شراه على والدى بمائة الف دينار لم يوجد مثله عند احد من السلاطين الكبار فقلت يا سيدتى بقى عندى عقد الفصوص والجواهر الذى لم يملكه احد من الاصاغر والاكابر فقالت ارنى اياه فلما رأته قالت هذا الذى طول عمرى اتمناه ثم قالت بكم ثمنه فى الاسعار فقلت شراؤه على والدى بمائة الف دينار فقالت ولك خمسة آلاف فائدة فقلت لها يا سيدتى العقد وصاحبه فى الرق بين يديك ولاخلاف فقالت لابد من الفائده ولك الجميلة الزائدة وقامت من وقتها عجلة وركبت سرعة البغلة وقالت يا سيدى نور الدين باسم الله تكرم بصحبتنا لتاخذ الثمن فان نهارك اليوم بنا مثل اللبن فقمت وقفلت الدكان وسرت معها فى امان الى ان وصلنا الدار فوجدتها دارا عليها السعادة لائحة والافتخار وعلى بابها مكتوب بالذهب واللازورد العجب هذه الابيات

ولا يغدره بصاحبك الزمان	الا يا دار لا يدخلك حزن
اذا ما ضاق بالضيف المكان	فنعم الدار انت لكل ضيف

فنزلت الجارية ودخلت الدار وامرت بجلوسي الى ان يأتي الصبي فجلست
على باب الدار ساعة لطيفة واذا الجارية خرجت الي وقالت يا سيدي ادخل الى
الدهليز فان جلوسك على الباب قبيح فقمت الى الدهليز وجلست على الدكة
ساعة واذا الجارية خرجت الي وقالت يا سيدي تقول لك سيدتي ادخل و
اجلس على جانب الايوان حتى تقبض مالك فقمت فدخلت البيت وجلست
حيث امرتني واذا بكرسي من الذهب وعليه ستارة من الحرير الاحمر واذا بتلك
الستارة قد رفعت فبان من تحتها تلك الجارية التي اشترت مني العقد وقد
اسفرت عن وجه كانه دائرة القمر والعقد في عنقها فاندهش عقلي وحار ذهني
ولبي من رؤية تلك الجارية وحسنها فلما رأتني قامت من على الكرسي وسعت
الى نحوي وقالت يا نور الدين من كان مليحا برئي لمحبوبه فقلت يا سيدتي الحسن
كله فيك وهو من بعض معانيك فقالت يا علي اعلم اني احبك وما صدقت
بك الا لما صرت عندي في بيتي ثم انها طوقتني علي وعانقتني فقبلتها وقبلتني ثم جذبتني
وعلى صدرها رمتني فلما علمت مني اني اريد ان اهم بها قالت يا علي اتريد ان تجتمع
بي في الحرام والله لا كان من يفعل الآثام ويرضى بقبيح الكلام فاني بكر عذراء
ما دنا مني احد ولست مجهولة في البلد اتعلم من انا فقلت لا والله وحلفت لها
يمينا فقالت انا الست دنيا بنت يحيى بن خالد البرمكي واخي جعفر فلما سمعت
ذلك منها جمعت خاطري عنها وقلت يا سيدتي ما لي ذنب في التهجم عليك
انت التي اطمعتيني في احسانك والوصول الى جنابك فقالت لا بأس عليك
ولا بد من الاحسان اليك فان امري بيدي والقاضي ولي عقدي والقصد
ان اكون لك وتكون لي ثم انها دعت بالقاضي والشهود وبذلت المجهود فلما
حضروا قالت لهم هذا نور الدين علي بن الجوهري قد طلب زواجي ودفع

لى هذا العقد مهرى وانا قد قبلت ورضيت ثم ان القاضى رحمه الله تعالى واثنى عليه وكتب الكتاب فدخلت عليها بعد ان اعطت للقضاة شيئا ما له حساب واحضرت المدام واحضرت الاقداح باحسن نظام فلما اشعشعت الخمرة فى روسنا امرت جارية عودية ان تغنى فانشأت تقول

قلبى وآمالى بباب رجاكمو
لا ابتغى فى الكون غير رضاكمو

يا جيرة جاروا على ببعدهم
حنوا علينا وارحموا مضناكمو

حاشاكمو يا سادتى حاشاكمو
صبا معنى مغرما بهواكمو

بالله جودوا وارحموا المتيم
لا ليستمع فيكم حديث سواكمو

موسى اشتياقى فوق طور رضاكمو
فاذا اشجاه حسنكم ناجاكمو

قال فاطربتنا الجارية بحسن غناها ولم تزل الجوارى يغنين جارية بعد جارية و ينشدن الاشعار الى ان غنت عشر جوار فعند ذلك اخذت العود

الست دنيا وانشدت تقول

اقسم بلين قوامك المياس
انى لنار الهجر منك اقاسى

فارحم لصب فى هواك متيم
يا بدر تم انت سيد الناس

انعم بوصلك كما بات لويلة
اجلو جمالك فى ضياء الكاس

ما بين ورد جمعت الوانه
مع نرجس ايضا وحسن الآس

قال الشاب ثم انى اخذت منها العود وضربت عليه وغنيت هذه

الابيات

سبحان ربى جميع الحسن اعطاك
حتى بقيت انا من بعض اسراك

يا من لها ناظر تسبى الانام به
خذى الامان لنا من سحر عيناك

فالماء والنار فى خديك قد جمعا
والورد جورى نبت فى وسط خداك

انت الغرام لقلبى والنعيم له
فما امرك فى قلبى واحلاك

قال فلما سمعت منى ما قلت فرحت فرحا شديدا ثم انها صرفت الجوارى وقمنا

الى حسن مكان قد فرش لنا فيه من سائر الالوان و نزعت ما عليها من
الثياب وخلوت بها خلوة الاحباب فوجدتها بنتا بكرا لم يحتلم ربها
ففرحت بي و فرحت بها فرحا لم اجد في عمري ليلة اطيب منها و فيها

(انشدت اقول)

ياليل دم لي لا اريد صباحا	يكفي بوجه معانقي مصباحا
طوقته طوق الحمام بساعدي	وجعلت كفي للثام وشاحا
هذا هو الفوز العظيم فمن لنا	متعانقين فلا نريد براحا

فاقمت عندها شهرا كاملا وقد نسيت الدكان والاهل والاوطان الى ذات
يوم من الايام قالت يا نور الدين قد عزمت اليوم على المسير الى الحمام وانت اقعد
على هذا السرير الى ان ارجع اليك فقلت سمعا وطاعة وحلفتني ان لا انتقل من
موضعي فاخذت جواريها و ذهبت الى الحمام فوالله يا اخواني ما لحقت تخرج
من رأس الزقاق الا والباب قد فتح و دخلت منه عجوز واي عجوز وقالت يا
نور الدين الست زبيدة تدعوك فقد سمعت بشبابك وطيب غناك
فقلت والله على يمين انني ما اقوم من مقامي حتى تأتي الست دنيا فقالت
العجوز يا نور الدين لا تخل الست زبيدة تصير عدوتك فقم كلمها وارجع فقمت
من وقتي اليها والعجوز امامي الى ان اوصلتني الى الست زبيدة فلما وصلت اليها
قالت يا نور الدين انت معشوق الست دنيا فقلت مملوكك وعبدك فقالت
فقالت صدق الذي وصفك بالحسن والجمال فانك فوق الوصف والمقال
ولكن غن لي شيئا حتى اسمعك فقلت السمع والطاعة فاتتني بعود فغنيت

(عليه وانشدت اقول)

قلب المحب مع الاحباب متعوب	وجسمه بيد الاسقام منهوب
ما في الركائب من زمت حمولهم	الا وكان له في الظعن محبوب
استودع الله لي في حيكم قمرا	يهواه قلبي وعن عيني محجوب

يرضى ويغضب ما احلى الله | | وكل ما يفعل المحبوب محبوب

فقالت لى حفظ الله بدنك وطيب انفاسك فلقد كملت فى الحسن والظرف والمعنى فقم الى مكانك قبل ان تجئ اليه الست دنيا فلم تجدك فتغضب عليك فقبلت الارض وخرجت والعجوز امامى الى ان اوصلتنى الى الباب الذى خرجت منه فدخلت وجئت الى السرير لاجلس فوجدتها جاءت من الحمام ونامت على السرير فقعدت عند رجليها وصرت اكبسها ففتحت عينيها فرأتنى فجمعت رجليها و رفستنى رمتنى من على السرير وقالت يا نور الدين خنت اليمين وكذبت وذهبت الى الست زبيدة والله ولا خوفى من الهتيكة والفضيحة لاخربت قصرها على رأسها ثم قالت لعبدها يا صواب قم اضرب رقبة هذا النذل الكذاب فلا حاجة لنا به فتقدم ذلك الخادم الى وشرط ذيلى وعصب عينى واراد ان يضرب رقبتى فقامت اليها الجوارى الكبار والصغار وقلن لها يا ستناه ما هو باول من اخطأ وما عرف خلقك وانت ما تبغضيه وما فعل ذنبا يوجب ان تقتليه فقالت والله لابد ما اوثر فيه اثرا ثم انها امرت بضربى فضربت على اضلاعى الضرب الذى رايتموه وامرت باخراجى فاخرجونى وابعدونى عن القصر ورمونى ورجعوا وتركونى فلمت نفسى فمشيت قليلا قليلا الى ان وصلت الى منزلى و احضرت جراحا واريته الضرب فلاطفنى وسعى فى مصالحى فلما صح جسمى دخلت الحمام وزالت عنى الاوجاع والاسقام جئت الى الدكان واخذت جميع ما فيها وبعته وجمعت ثمنه واشتريت اربعمائة مملوك ما جمعهم احد من الملوك يركب معى فى كل يوم مائتان وعملت هذه المركب الحراقة بالف ومائتين من الذهب العين وسميت نفسى بالخليفة ورتبت من معى من الخدام كل واحد فى وظيفة وناديت كل من تفرج فى الدجلة ضربت عنقه بلا مهلة ولى على هذه الحالة سنة كاملة ولم اسمع لها بخبر ولا وقفت لها على اثر ثم انه بكى وان

واشتكى وانشد يقول

والله ما كنت طول الدهر ناسيها	ولا دنوت الى من ليس يدنيها
كانها البدر فى تكوين خلقتها	سبحان خالقها سبحان باريها
صدت ولا ذنب لى الا محبتها	فكيف حال الذى قد بات ناعيها
وصيرتنى حزينا ساهيا دنفا	والقلب قد حار منى فى معانيها

قال فلما سمع هارون الرشيد كلام الشاب وما ابداه من الخطاب تعجب غاية العجب وقال سبحان من جعل لكل شئ سببا ثم انهم طلبوا من الشاب الانصراف و اضمر الرشيد للشاب الانصاف وان يتحفه غاية الاتحاف فانصرفوا من عنده سائرين الى قصر الخلافة طالبين ولما استقر بهم فى منزلهم الجلوس غيروا ما كان عليهم من الملبوس ولبسوا اثواب الموكب والملك والزينة وكذلك مسرور سياف النقمة والعطب فقال الخليفة لجعفر المهاب يا وزير على بالشاب فخرج اليه فى الحشم والخدم وساروا الى منزل الشاب فخرج اليه وسلم عليه فقال له الوزير جعفر اجب امير المومنين فقال سمعا وطاعة لامير المومنين وحامى حوزة الدين فسار معه الى القصر وهو من الترسيم عليه فى حصر فلما دخل الى الخليفة ورفع الوزير الستر عن السدة الشريفة فلما راى الشاب الخليفة عرفه فقبل الارض بين يديه ودعا له بدوام العز واثنى عليه وقال السلام عليك يا امير المومنين وحامى حوزة الدين وقامع المفسدين وامام المتقين هناك الله بما اعطاك وجعل الجنة ماواك والنار مثوى لاعداك وانشد يقول

لا زال بابك كعبة مقصودة	وترابها فوق الجباه رسوم
حتى ينادى فى البلاد باسرها	هذا المقام وانت ابراهيم

فعند ذلك تبسم الخليفة فى وجهه ورد عليه السلام واظهر له الاحسان والاكرام وقربه اليه واجلسه بين يديه وقال له يا نور الدين اريد ان تحدثنى بحديثك الليلة يا مسكين فانه من اعجب الامور فقال الشاب العفو يا امير المومنين اعطنى منديل الامان ليهدا روعى ويطمئن قلبى فقال الخليفة لك الامان فشرع الشاب

بيحدث بالذى جرى له من اوله الخ فعلم الخليفة من غير اطالة ان الصبى عاشق لا محالة فقال الخليفة اتحب ان اردها اليك يا مسكين قال نعم يا امير المؤمنين ثم انشا يقول

ان رمت احسانا فهذا وقته | او رمت معروفا فهذا محله

فعند ذلك التفت الرشيد الى الوزير وقال له احضر لى اختك الست دنيا بنت الوزير يحيى فقال له السمع والطاعة فاحضرها فى الوقت فلما امتثلت بين يديه قال لها اتعرفى هذا فقالت من اين للنساء معرفة بالرجال فتبسم وقال يا دنيا قد عرفنا الحال وسمعنا الحكاية من اولها الى آخرها وفهمنا باطنها وظاهرها والامر لا يخفى وان كان مستورا فقالت كان ذلك فى الكتاب مسطورا وانا استغفر الله مما جرى منى واسال من فيض الفضل العفو عنى فضحك الخليفة واحضر القاضى والشهود وعقد له ثانيا عليها وحصل له سعد السعود واكمد العدو والحسود وجعله نديمه وزاد تكريمه وعاش بقية عمره فى اتم عيش ونعمة بمجالس الخليفة فى الليل والنهار تؤانسه الست دينا ذات الفخار وهذا ما انتهى الينا من التلخيص والله اعلم ويحكى ان جعفر البرمكى نادم الرشيد ليلة فقال يا جعفر بلغنى انك اشتريت الجارية الفلانية ولى مدة اطلبها فانها بديعة الجمال ولى شوق زائد اليها فبعنيها قال ليس على فيها بيع قال هبنيها قال ولا اهبها فقال الرشيد زبيدة طالق منى ثلاثا ان لم تبعنيها او تهبنيها وقال جعفر زوجتى طالق منى ثلاثا ان بعتها او وهبتها ثم افاقا من نشوتهما وعلما انهما وقعا فى امر عظيم وعجزا فى تدبير الحيلة فقال الرشيد هذه واقعة ليس لها غير ابى يوسف فاطلبوه وكان قد انتصف الليل فلما طلب قام فزعا وقال ما طلبت فى هذا الوقت الا لامر حدث فى الاسلام ثم خرج مسرعا وركب بغلته وقال لغلامه اصحب معك المخلاة فلعل فيها بعض شعير فاذا دخلنا دار الخلافة ودخلت فضع بين يدى الدابة شيئا منه تشتغل به الى حين خروجى فانها

لم تستوف عليقها فى هذه الليلة فقال سمعا وطاعة فلما دخل على الرشيد
قام له واجلسه على سريره بجانبه وكان لا يجلس معه غيره وقال له ما طلبناك
الا لامر مهم وهو كذا وكذا وقد عجزنا فى تدبير الحيلة فقال يا امير المؤمنين هذا
من اسهل ما يكون يا جعفر بع امير المؤمنين نصفها وهب نصفها تبر من يمينكما
فسر بذلك امير المؤمنين وفعلا فقال الرشيد احضر الجارية فى هذا الوقت فانى
شديد الشوق اليها فاحضرت فقال للقاضى ابى يوسف اريد وطئها فى هذا الوقت
ولا اطيق الصبر الى مضى مدة الاستبراء اوسع لى الحيلة فى ذلك فقال ابو يوسف
ائتونى بمملوك من مماليك امير المؤمنين الذين لم يجر عليهم العتق فاحضر مملوك
فقال ابو يوسف يا امير المؤمنين ائذن لى ان ازوجها منه ثم يطلقها قبل الدخول
فيحل وطؤها فى الحال من غير استبراء فاعجب الرشيد ذلك اكثر من الاول فقال ائذنت
لك فاوجب القاضى النكاح ثم قبله المملوك فقال له القاضى طلقها فقال لم هذه
صارت لى زوجة وانا لا اطلقها فرد عليه القول فابى وضاق صدر الخليفة
لذلك وقال قد اشتد الامر اعظم مما كان فقال القاضى ابو يوسف يا امير المؤمنين
ارغبه بالمال فقال طلقها ولك مائة دينار فقال لا افعل قال مائتا دينار قال لا
افعل الى ان عرضوا عليه الف دينار وهو يمتنع وقال للقاضى الطلاق بيدى
او بيد امير المؤمنين ام بيدك قال بل بيدك انت قال والله لا افعل ابدا فاشتد
غضب امير المؤمنين فقال القاضى يا امير المؤمنين لا تجزع فان الامر هين ملك
هذا العبد للجارية فقال ملكته لها وقال لها القاضى قولى قبلت فقالت
الجارية قبلت فقال القاضى حكمت بالتفريق بينهما لانه دخل فى ملكها فانفسد
النكاح فقام امير المؤمنين على قدميه وقال مثلك من يكون قاضيا فى زمانى
واستدعى باطباق الذهب فافرغت بين يديه وقال للقاضى هل معك شئ
توعيه فتذكر مخلاة البغلة فاستدعى بها فملئت له ذهبا فاخذها وانصرف
فلما اصبح قال لخلانه انظروا الى من تعلم العلم فليتعلمه كذا فانى اعطيت هذا الما

العظيم فى مسألتين او ثلاث فانظر ايها المتأدب الى لطف هذه الواقعة فانها اشتملت على محاسن منهاد لال الوزير على قلب امير المؤمنين وحلم الخليفة وزيادة علم القاضى فرحم الله ارواحهم اجمعين ولكن مسألة الاستبراء لم تتخرج الاعلى مذهب الحنيفة فخرجها ابو يوسف على قواعد مذهبه لانه حنفى المذهب والله اعلم انتهى من حلبة الكميت ومن كلام ابراهيم الموصلى رحمه الله تعالى

هجرتك حتى قيل لا يعرف الهوى	وزرتك حتى قيل ليس له صبر
فيا هجر ليلى قد بلغت بى المدى	وزدت على ما ليس يبلغه الهجر
ويا حبها زدنى جوى كل ليلة	ويا سلوة الايام موعدك الحشر
وانى لتعرونى لذكراك هزة	كما انتفض العصفور بلله القطر

ومن حكايات اللطيفة ان بعض الملوك قصد التفرج على المجانين فلما دخل عليهم رأى فيهم شابا حسن الهيئة نظيفا لصورة يرى عليه آثار اللطف وتلوح عليه شمايل الفطنة فد نامنه وسأله مسائل فاجابه عن جميعها باحسن جواب فتعجب منه عجبا شديدا ثم ان المجنون قال للملك قد سألتنى عن اشياء فاجبتك وانى سائلك سؤالا واحدا قال وما هو قال متى يجد النائم لذة النوم ففكر الملك ساعة ثم قال يجد لذة النوم حال نومه فقال المجنون حالة النوم ليس له احساس فقال الملك قبل الدخول فى النوم فقال المجنون كيف توجد لذته قبل وجوده فقال الملك بعد النوم فقال المجنون توجد لذته وقد انقضى فتحير الملك وزاد اعجابه وقال لعمرى ان هذا لا يحصل من عقلاء كثيرة فاولى ان يكون نديمى فى مثل هذا اليوم وامر ان ينصب له تخت بازاء شبالة المجنون ثم استدعى بالشراب فحضر فتناول الملك الكاس وشرب ثم ناول المجنون فقال ايها الملك انت شربت هذا لتصير مثلى فانا اشربه لاصير مثل من فاتعظ الملك بكلامه ورمى القدح من يده وتاب من ساعته والله اعلم وهذه الحكاية لها بقية اعرضنا عنها وهذه على سبيل الاختصار ايضا حكى والله اعلم بغيبه واحكم ان الرشيد ارق ذات

ليلة ارقا شديدا فاستند على جعفر وقال اريد منك ان تزيل ما بقلبي من الضجر فقال الوزير يا امير المؤمنين كيف يكون على قلبك ضجر وقد خلق الله اشياء كثيرة تزيل الهم عن المهموم والغم عن المغموم وانت قادر عليها فقال الرشيد وما هي يا جعفر فقال له قم بنا الان حتى نطلع الى فوق سطح هذا القصر حتى نتفرج على النجوم واشتباكها وارتفاعها والقمر وحسن طلعته لانه وجه متحجب كما قيل

كانما احسن السما وزرقتها	قد رقمت فيها الفاتن الصور
كانما البدر حين لاح لنا	في بعض ليل من غلاف قد ظهر

فقال الرشيد يا جعفر ما تهم نفسي الى شيء من ذلك فقال يا امير المؤمنين افتح شباك القصر الذي يطلع على البستان ونتفرج على حسن تلك الاشجار واسمع صوت تغريد الاطيار وانظر الى هدير الانهار وشم روائح تلك الازهار واسمع الناعورة التي كانها انين محب فارق محبوبه وهي كما قال فيها بعض واصفيها

وناعورة حنت وغنت وقد غدت	تعبر عن حال المشوق وتعرب
ترقص عطف البان تيها لانها	تغني له طول الزمان ويشرب

واما ان تنام يا امير المؤمنين الى ان يدركنا الصباح فقال يا جعفر ما تهم نفسي الى شيء من ذلك فقال يا امير المؤمنين افتح الشباك الذي يطلع على الدجلة حتى نتفرج على تلك المراكب والملاحين وهذا يصفق وهذا ينشد موالي وهذا يقول دوبيت وهذا يعمل كان وكان فقال الرشيد ما تهم نفسي الى شيء من ذلك قال جعفر قم يا امير المؤمنين حتى ننزل الى الاصطبل الخاص وننظر الى الخيل العربيات ونتفرج على حسن الوانها ما بين ادهم كالليل اذا اظلم واشقر واشهب وكميت واحمر وابيض واخضر وابلق واصفر والوان تحير العقول فقال الرشيد ما تهم نفسي الى شيء من ذلك فقال جعفر يا امير المؤمنين عندك في قصرك ثلثمائة جارية ما بين جنكية الى عودية الى دفية الى قانونية الى زامرة

الى مغنية الى راقصة الى سنطرية احضر الجميع واحضر العقار المروق
فلعل ان يزول ما بقلبك من الضجر فقال ما تهم نفسي الى شئ من ذلك
فقال جعفر يا امير المؤمنين ما بقي الا ضرب عنق مملوكك جعفر فاني قد
عجزت عن ازالة هم مولانا فقال يا جعفر اما سمعت قول ابن عمي رسول الله
صلى الله عليه وسلم فقال من فم مولانا احلى فقال الرشيد قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم فرج امتي في ثلاث ان يرى بعينه شيئا لا رآه او يسمع شيئا لا سمعه او يطا
مكانا لا وطئه فيتفق يا جعفر ان يكون في بغداد مكان لا وطئناه او شئ لا سمعناه
او موضع لا رايناه فقال جعفر ائذن لي يا امير المؤمنين ان اطلع الى مجلس النوبة
وانظر احدا من المسافرين احضره بين يدي امير المؤمنين لعله ان يحدثك بحديث
ما سمعته فقال الرشيد قم وافعل فقام جعفر وطلع وعاد بسرعة بالشيخ ابي
الحسن الخليع الدمشقي المسامر قال فلما رأى امير المؤمنين سلم فاحسن وترجم
فابلغ ثم قال يا امير المؤمنين وحامي حوزة الدين وابن عم سيد المرسلين وخاتم
النبيين صلى الله عليه وسلم وعلى آله وصحبه اجمعين اطال الله بقاك وجعل
الجنة مأواك والنار مثوى لاعداك لا خمدت لك نار ولا اغيظ لك جار

ثم انشد يقول

دام لك العز والبقاء	ما اختلف الصبح والمساء
ودمت ما دامت الليالي	بمدة ما لها انقضاء
الناس ناس بكل ارض	وانت من فوقهم سماء

قال فرد على الشيخ السلام وقال اجلس يا ابا الحسن وحدثنا بحديث مليح عجيب
لم تسمعه قط فقال الشيخ يا امير المؤمنين احدثك بشئ سمعته باذني او بشئ رايته
بعيني قال الرشيد يا شيخ ابو الحسن الذي تراه العين احسن من الذي تسمعه الاذن
فقال الشيخ يا امير المؤمنين افرغ لي عن ثلاثة اشياء منك فقال ما هي الثلاثة
فقال ذهنك وسمعك وقلبك فقال الرشيد هات يا ابا الحسن فقال يا امير

المؤمنين

المؤمنين لى عادة انى اسافر كل سنة الى البصرة للامير محمد بن سليمان الزينبى واقعد عنده احدثه الاسمار واورد له الاخبار وانشد له الاشعار ولى عليه رسم الف دينار آخذها واعود الى بغداد فاتفق لى سنة من السنين انى سافرت الى البصرة على عادتى ودخلت على الامير محمد بن سليمان وجلست عنده اليوم الاول والثانى والثالث فركب الى الصيد وتركنى فى منزله واوصى اربابه ولمته بخدمتى واكرامى الى ان يعود واوصى الطباخ الذى له ان لا يطعمنى الا الاشياء تشتهيه نفسى فاشتهيت السمك فقلت للطباخ فعمل لى من السمك عدة الوان فاكلت وطاب لى الاكل حتى ثقل على فؤادى فقلت ما يصرف عنى هذا الا المشى ولى عدة اسفار الى البصرة ما اعرف فيها مكانا واريد اليوم اجعلها حجة وفرجة ثم انى نزلت امشى فى شوارع البصرة فعطشت عطشا شديدا وناهيك بعطش السمك فقلت فى نفسى ان تناولت شربة من السقاء لا تطيب نفسى لانه يشرب منه اصحاب الامراض وكبرت نفسى على ان احملها الى شاطئ الدجلة وقلت ما لى الا ان اقصد بعض دور المحتشمين واطلب منها شربة من الماء فاتيت الى درب وفى ذلك الدرب خمسة دور داران مقابل دارين ودار صدر الدرب انيقة قد قامت من التراب وتعلقت باذيال السحاب ولها باب مقنطر مزخرف بمصاطب طولانية مفروش عليها حصر عبدانية والباب ساج مصفح بصفائح الذهب الوهاج ومسامير الفضة وستره من الحرير الاصفر المدنر مكتوب عليه هذه الابيات

الا يا دار لا يدخلك حزن	ولا يغدر بصاحبك الزمان
فنعم الدار انت لكل ضيف	اذا ما ضاق بالضيف المكان

قال فقلت فى نفسى من هذه الدار اشرب الماء فاتيت الى الباب فسمعت صوتا ضعيفا من فؤاد نحيف وهو قائلا يقول

بالله يا كعوبا على سكنى	وعاتباه لعل العتب يعطفه
وعرضا بى وقولا فى حديثكما	ما بال عبدك بالهجران تتلفه

فان تبسم قولا في مسالطفة	ما ضر لو بوصال منك تسعفه
وان بدا لكما في وجهه غضب	نغا الطاه وقولا ليس نعرفه

قال فقلت والله طبيب ان كان قائل هذا الصوت شخص صورته على قدر صوته واحتشمت ثم اني قويت قلبي ورفعت الستر ودخلت الدهليز الى ان انتهيت الى آخره ومديت طرفي واذا بدار قد اقبلت عليها السعادة وزالت عنها الشقاوة ورايت في صدر المكان ايوانا وبركة وشاذروان وفي ذلك الايوان تخت من الساج وقوائمه من العاج مصفح بالذهب الوهاج وفوق التخت فراش من الحرير الاطلس ومسند مزركش وعليه جارية نائمة خماسية القد قائمة النهد لا بالطويلة الشاهقة ولا بالقصيرة اللاصقة اشهر من علم تربية العجم على اكتاف الخدم بخد اسيل وطرف كحيل وخصر نحيل وردف ثقيل ان اقبلت فتنت وان ولت

قلت كما قال فيها بعض واصفيها

كما اشتهت خلقت حتى اذا اعتدلت	في قالب الحسن لا طول ولا قصر
جرى بها الشحم حتى دار اعكنها	على القباطي فلا سمن ولا غور
كانها افرغت من ماء لؤلؤة	في كل جارحة من حسنها قمر

الا ان الجارية يا امير المؤمنين قد حكمت عليها يد الايام ونزلت بها جميع الاسقام وعند راسها الطبيب وهو يجس يدها ويقول يا ست بدور الضارب ضارب والساكن ساكن ولا برد ولا حمى ولا شئ تشتكينه اكثر من سهر الليل وجريان الدمع لتكون الست في قلبها هوى من احد فلما سمعت كلام الطبيب انشدت تقول

اذا هممت بكتمان الهوى نطقت	مدامعي بالذي اخفي من الالم
فان ابح افتضح من غير منفعة	وان كتمت فدمعي غير منكتم
لكن الى الله اشكو ما اكابده	من طول وجد ودمع غير منصرم

قال فنهض الطبيب قائما على قدميه فناولته صرة فيها عشرون دينارا ثم التفت الي وقالت من اين يا شيخ فقلت لها من بغداد دهلني العطش الى ان اتيت الى هنا

فقالت لعل ان يكون على يدك فرج فانا اكتب لك ورقة فتسألي عن بيت الامير عمرو وتعطيها له فان رديت على الجواب فانا اعطيك خمسمائة دينار ثم استدعت بدواة وورق وكتبت فيه تقول اما بعد فعجز لساني وكل جناني عن بث الاشواق ولكن اسأل الكريم الخلاق ان يمن علينا بالتلاق بالسعد الرائق والامر الموافق وانا القائلة حيث اقول

سروري من الدنيا لقاكم وقربكم … وحبكم فرض وما منكم بد
ولي شاهد دمعي اذا ما ذكرتكم … جرى فوق خدي لا يطاق له رد
اذا الريح من نحو الحبيب تنسمت … وجدت لمسراها على كبد برد
فوالله ما احببت ما عشت غيركم … ولا كنت الا ما حييت لكم عبد
سلام عليكم ما امر فراقكم … فلا كان هذا منكم آخر العهد

اما بعد فهذا كتاب ممن ليلها في نحيب ونهارها في تعذيب لا تركن الى عاذل ولا تصغي الى قائل قد غلبتها ايدي الفراق ولو شرحت بعض ما عندها للفسيح ضاق وما وسعته الاوراق ولكن اسأل الكريم الخلاق رافع السبع الطباق ان يمن علينا بالتلاق وانشدت تقول

احبه قلبي وان جرتمو … علي ففي كل المنا انتمو
رحلتمو وفي القلب خلفتمو … لهيبا فهلا ان رفقتمو
واودعتمو يوم ودعتمو … باحشائي نارا واضرمتمو
وما كنتمو تعرفون الجفا … على شؤم بختي تعلمتمو

فألف ألف لا اوحش الله منكم والسلام مني عليكم عدد شوقي اليكم ما حن الغريب الى الاوطان وغرد حمام الايك على البان فرحم الله من قرا كتابي و تعطف برد جوابي وانشدت تقول

احبابنا ما رقاد معي لفرقتكم … يوم الفراق ولا كفت غواديه
بنتم فلم يبق لي من بعدكم جلد … ولا فؤاد ولا صبر ارجيه
فكم امني فؤادي بالهوى كذبا … ولست اول من بانت غواشيه

قال ثم انها طوت الكتاب وختمته بعد ان نثرت فيه فتات المسك والعنبر
وناولتني اياه فاخذته واتيت الى دار الامير عمر وفوجدته في الصيد والقنص
فجلست على بابه ساعة انتظره واذا به قد اقبل وهو راكب على حصان اشقر من
الخيل الضمر يساوي ملك كسرى وقيصر من اولاد الابجر الذى كان لعنتر ان طلب
لحق وان طلب لم يلحق والامير في ظهره كانه انقلب فيه قلبا والمماليك قد احدقوا
به كما تحدق النجوم بالقمر وهو بخد اسيل وطرف كحيل وخصر نحيل وردف
ثقيل وله عذار اخضر فوق خد احمر وثغر جوهر وعنق مرمر كما قال فيه ابن مشعر

قمر تكامل في نهاية حسنه	مثل القضيب على رشاقة قده
فالبدر يطلع من ضياء جبينه	والشمس تغرب في شقائق خده
ملك الجمال باسره فكانما	حسن البرية كلها من عنده

قال ابو الحسن فما امهلته دون ان قبلت ركابه فلما نظر الى ترجل واعتنقني واخذ
بيدي وادخلني الدار وانشد يقول

ما اظن الزمان يأتي بهذا	غير اني رايته في منامي

قال فلما جلس على حافة البركة اقبل على يحادثني ساعة واذا بالمائدة قد
وضعت بين ايدينا واذا عليها من الوان الطعام ما درج وتطاير في الاسحار
وتناكح في الاوكار من قطا وسمان وافراخ حمام وبط مسمن ودجاج محمر وخراف
وضع ومعلبكات السكر فقال لي بسم الله يا شيخ ابا الحسن فقلت لا والله يا مولاي
ما اكلت لك طعاما ولا شربت لك مداما الا ان قضيت لي حاجتي فقال يا ابا الحسن
كان هذا من الاول اين الكتاب الذي للست بدور فقلت يا سيدي وما هي
الست بدور فقال التي جئت لعندها تطلب شربة من الماء منها ووجدت
عندها الطبيب وجرى لك معها ما هو كيت وكيت فقلت يا مولاي اكنت حاضرا
فقال لو كنت حاضرا لاي شئ كتبت الكتاب فقلت ولا جاء احد من عندها
اعلمك فقال انه لا يجسر احد من غلمانها يقابلني فقلت ولا راح احد من عندك

الى عندها فقال هي اخس واحقر من ان يمضي اليها احد من عندك فقلت يا سيدي الغيب لا يعلم الا الله تعالى والوحي ما نزل الا على رسول الله صلى الله عليه وسلم

فقال يا عاقل اما سمعت قول القائل

قلوب العاشقين لها عيون	ترى ما لا يراه الناظرون
واجنحة تطير بغير ريش	الى ملكوت رب العالمين

فقلت صدقت يا مولاي ثم ناولته الكتاب ففضه وقراه ثم بصق فيه وداسه برجله ورماه في البركة فصعب علي فلما علم مني ذلك قال مم غيظك اقعد الليلة عندي كل واشرب وخذ مني الخمسمائة دينار التي وعدتك بها الست

بدور وانا احب اليك منها وانشد يقول

رايت شاة وذئبا وهي ماسكة	باذنه وهو منقاد لها سارى
فقلت اعجوبة ثم التفت ارى	مابين نابيه ملقى نصف دينار
فقلت للشاة ماذا الالف بينكما	والذئب يسطو بانياب واظفار
تبسمت ثم قالت وهي ضاحكة	بالتبر يكسر ذاك الضيغم الضاري

قال فلما سمعت كلامه يا امير المؤمنين تقدمت واكلت بحسب الكفاية والنهاية ثم انتقلنا الى مجلس الشراب وقدمت بين ايدينا البواطي والسلاحيات فتناول الامير عمرو وشرب وسقاني وانا احدثه وانادمه الى قرب الغياب فقال لي يا ابا الحسن ما عادة امير المؤمنين اذا شرب الى المساء فقلت يقول الشراب بلا طرب ولا سماع الدن اولى به فقال لي قم بسم الله فقمت معه الى مجلس وحصيرة تنقط بالذهب واللازورد العجب وهي مزخرفة قد عبقت ازهارها وضحكت سلاحياتها وصفت بواطيها ورفعت اقداحها فجلس الامير عمرو واجلسني بجانبه وقدمت بين ايدينا الشموع واسرجت القناديل فنظرت الى مجلس عجيب وحضيرة مليحة ثم قلت يا مولاي قد تقدم القول ان الشراب بلا سماع الدن اولى به فصفق بكف على كف واذا بثلاثة جوار قد اقبلن كانهن الاقمار الواحدة تحمل عودا والثانية

يحدث بالذي جرى له من اوله الخ فعلم الخليفة من غير اطالة ان الصبي عاشق لامحالة فقال الخليفة اتحب ان اردها اليك يا مسكين قال نعم يا امير المؤمنين ثم انشا يقول

ان رمت احسانا فهذا وقته	او رمت معروفا فهذا محله

فعند ذلك التفت الرشيد الى الوزير وقال له احضر لي اختك الست دنيا بنت الوزير يحيى فقال له السمع والطاعة فاحضرها في الوقت فلما مثلت بين يديه قال لها اتعرفي هذا فقالت من اين للنساء معرفة بالرجال فتبسم وقال يا دنيا قد عرفنا الحال وسمعنا الحكاية من اولها الى آخرها وفهمنا باطنها وظاهرها والامر لا يخفى وان كان مستورا فقالت كان ذلك في الكتاب مسطورا وانا استغفر الله مما جرى مني واسأل من فيض الفضل العفو عني فضحك الخليفة واحضر القاضي والشهود وعقد له ثانيا عليها وحصل له سعد السعود واكمد العدو والحسود وجعله نديمه وزاد تكريمه وعاش بقية عمره في اتم عيش ونعمة بمجالسة الخليفة في الليل والنهار تؤانسه الست دنيا ذات الفخار وهذا ما انتهى الينا من التلخيص والله اعلم ويحكى ان جعفر البرمكي نادم الرشيد ليلة فقال يا جعفر بلغني انك اشتريت الجارية الفلانية ولي مدة اتطلبها فانها بديعة الجمال ولي شوق زائد اليها فبعنيها قال ليس علي فيها بيع قال هبنيها قال ولا اهبها فقال الرشيد زبيدة طالق مني ثلاثا ان لم تبعنيها او تهبنيها وقال جعفر زوجتي طالق مني ثلاثا ان بعتها او وهبتها ثم افاقا من نشوتهما وعلما انهما وقعا في امر عظيم وعجزا في تدبير الحيلة فقال الرشيد هذه واقعة ليس لها غير ابي يوسف فاطلبوه وكان قد انتصف الليل فلما طلب قام فزعا وقال ما طلبت في هذا الوقت الا لامر حدث في الاسلام ثم خرج مسرعا وركب بغلته وقال لغلامه اصحب معك المخلاة فلعل فيها بعض شعير فاذا دخلنا دار الخلافة ودخلت فضع بين يدي الدابة شيئا منه تشتغل به الى حين خروجي فانها

لم تستوف عليقها فى هذه الليلة فقال سمعا وطاعة فلما دخل على الرشيد
قام له واجلسه على سريره بجانبه وكان لا يجلس معه غيره وقال له ما طلبناك
الا لامر مهم وهو كذا وكذا وقد عجزنا فى تدبير الحيلة فقال يا امير المؤمنين هذا
من اسهل ما يكون يا جعفر بع امير المؤمنين نصفها وهب نصفها تبر من يمينكما
فسر بذلك امير المؤمنين وفعلا فقال الرشيد احضر الجارية فى هذا الوقت فانى
شديد الشوق اليها فاحضرت فقال للقاضى ابى يوسف اريد وطئها فى هذا الوقت
ولا اطيق الصبر الى مضى مدة الاستبراء او سع لى الحيلة فى ذلك فقال ابو يوسف
ائتونى بمملوك من مماليك امير المؤمنين الذين لم يجر عليهم العتق فاحضر مملوك
فقال ابو يوسف يا امير المؤمنين ائذن لى ان ازوجها منه ثم يطلقها قبل الدخول
فيحل وطؤها فى الحال من غير استبراء فاعجب الرشيد ذلك اكثر من الاول فقال اذنت
لك فاوجب القاضى النكاح ثم قبله المملوك فقال له القاضى طلقها فقال لم هذه
صارت لى زوجة وانا لا اطلقها فرد عليه القول فابى وضاق صدر الخليفة
لذلك وقال قد اشتد الامر اعظم مما كان فقال القاضى ابو يوسف يا امير المؤمنين
ارغبه بالمال فقال طلقها ولك مائة دينار فقال لا افعل قال مائتا دينار قال لا
افعل الى ان عرضوا عليه الف دينار وهو يمتنع وقال للقاضى الطلاق بيدى
او بيد امير المؤمنين ام بيدك قال بل بيدك انت قال والله لا افعل ابدا فاشتد
غضب امير المؤمنين فقال القاضى يا امير المؤمنين لا تجزع فان الامر هين ملك
هذا العبد للجارية فقال ملكته لها وقال لها القاضى قولى قبلت فقالت
الجارية قبلت فقال القاضى حكمت بالتفريق بينهما لانه دخل فى ملكها فانفسد
النكاح فقام امير المؤمنين على قدميه وقال مثلك من يكون قاضيا فى زمانى
واستدعى باطباق الذهب فافرغت بين يديه وقال للقاضى هل معك شئ
توعيه فتذكر مخلاة البغلة فاستدعى بها فملئت له ذهبا فاخذها وانصرف
فلما اصبح قال لخلانه انظروا الى من تعلم العلم فليتعلمه كذا فانى اعطيت هذا الكل

العظيم فی مسألتین او ثلاث فانظر ایها المتأدب الی لطف هذه الواقعة فانها اشتملت علی محاسن منها دلال الوزیر علی قلب امیر المؤمنین وحلم الخلیفة وزیادة علم القاضی فرحم الله ارواحهم اجمعین ولکن مسألة الاستبراء لم تخرج الا علی مذهب ابی حنیفة فخرجها ابو یوسف علی قواعد مذهبه لانه حنفی المذهب والله اعلم انتهی من حلبة الکمیت وهو کلام ابراهیم الموصلی رحمه الله تعالی

هجرتك حتی قیل لا یعرف الهوی	وزرتك حتی قیل لیس له صبر
فیا هجر لیلی قد بلغت بی المدی	وزدت علی ما لیس یبلغه الهجر
ویا حبها زدنی جوی کل لیلة	ویا سلوة الایام موعدك الحشر
وانی لتعرونی لذکراك هزة	کما انتفض العصفور بلله القطر

ومن حکایات اللطیفة ان بعض الملوك قصد التفرج علی المجانین فلما دخل علیهم رأی فیهم شابا حسن الهیئة نظیف الصورة یری علیه آثار اللطف وتلوح علیه شمایل الفطنة فدنا منه وسأله مسائل فاجابه عن جمیعها باحسن جواب فتعجب منه عجبا شدیدا ثم ان المجنون قال للملك قد سألتنی عن اشیاء فاجبتك وانی سائلك سؤالا واحدا قال وما هو قال متی یجد النائم لذة النوم ففکر الملك ساعة ثم قال یجد لذة النوم حال نومه فقال المجنون حالة النوم لیس له احساس فقال الملك قبل الدخول فی النوم فقال المجنون کیف توجد لذته قبل وجوده فقال الملك بعد النوم فقال المجنون توجد لذته وقد انقضی فتحیر الملك وزاد اعجابه وقال لعمری ان هذا لا یحصل من عقلاء کثیرة فاولی ان یکون ندیمی فی مثل هذا الیوم وامر ان ینصب له تخت بازاء شباك المجنون ثم استدعی بالشراب فحضر فتناول الکاس وشرب ثم ناول المجنون فقال ایها الملك انت شربت هذا لتصیر مثلی فانا اشربه لاصیر مثل من فانتعظ الملك بکلامه ورمی القدح من یده وتاب من ساعته والله اعلم وهذه الحکایة لها بقیة اعرضنا عنها وهذه علی سبیل الاختصار ایضا حکی والله اعلم بغیبه واحکم ان الرشید ارق ذات

ليلة ارقاشديدا فاستدعى جعفرا وقال ريد منك ان تزيل ما بقلبي من الضجر فقال الوزير يا امير المؤمنين كيف يكون على قلبك ضجر وقد خلق الله اشياء كثيرة تزيل الهم عن المهموم والغم عن المغموم وانت قادر عليها فقال الرشيد وما هي يا جعفر فقال له قم بنا الان حتى نطلع الى فوق سطح هذا القصر حتى نتفرج على النجوم واشتباكها وارتفاعها والقمر وحسن طلعته لانه وجه من نحب كما قيل

كانما حسن السما وزرقتها		قد رقمت فيها الوانين الصور	
كانما البدر حين لاح لنا		في بعض ليل من غلاف قد ظهر	

فقال الرشيد يا جعفر ما تهم نفسي الى شئ من ذلك فقال يا امير المؤمنين افتح شباك القصر الذي يطلع على البستان وتفرج على حسن تلك الاشجار واسمع صوت تغريد الاطيار وانظر الى هدير الانهار وشم روائح تلك الازهار واسمع الناعورة التي كانها انين محب فارق محبوبه وهي كما قال فيها

بعض واصفيها

وناعورة حنت وغنت وقد غدت		تعبر عن حال المشوق وتعرب	
ترقص عطف البان تيها لانها		تغني له طول الزمان ويشرب	

واما ان تنام يا امير المؤمنين الى ان يدركنا الصباح فقال يا جعفر ما تهم نفسي الى شئ من ذلك فقال يا امير المؤمنين افتح الشباك الذي يطلع على الدجلة حتى نتفرج على تلك المراكب والملاحين وهذا يصفق وهذا ينشد موالي و هذا يقول دوبيت وهذا يعمل كان وكان فقال الرشيد ما تهم نفسي الى شئ من ذلك قال جعفر قم يا امير المؤمنين حتى ننزل الى الاصطبل الخاص وننظر الى الخيل العربيات وننفرج على حسن الوانها ما بين ادهم كالليل اذا اظلم واشقر واشهب وكميت واحمر وابيض واخضر وابلق واصفر والوان تحير العقول فقال الرشيد ما تهم نفسي الى شئ من ذلك فقال جعفر يا امير المؤمنين عندك في قصرك ثلثمائة جارية ما بين جنكية الى عودية الى دفية الى قانونية الى زامرة

الى مغنية الى راقصة الى سنطريه احضر الجميع واحضر العقار المروق
فلعل ان يزول ما بقلبك من الضجر فقال ما تهم نفسي الى شئ من ذلك
فقال جعفر يا امير المؤمنين ما بقي الا ضرب عنق مملوكك جعفر فاني قد
عجزت عن ازالة هم مولانا فقال يا جعفر اما سمعت قول ابن عمي رسول الله
صلى الله عليه وسلم فقال من فم مولانا احلى فقال الرشيد قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم فرح امتي في ثلاث ان يرى بعينه شيئا الا رآه او يسمع شيئا الا سمعه او يطأ
مكانا الا وطئه فيتفق يا جعفر ان يكون في بغداد مكان لا وطئناه او شئ لا سمعناه
او موضع لا رأيناه فقال جعفر تأذن لي يا امير المؤمنين ان اطلع الى مجلس النوبة
وانظر احدا من المسافرين احضره بين يدي امير المؤمنين لعله ان يحدثك بحديث
ما سمعته فقال الرشيد قم وافعل فقام جعفر وطلع وعاد بسرعة بالشيخ ابي
الحسن الخليع الدمشقي المسامر قال فلما رأى امير المؤمنين سلم فاحسن وترجم
فابلغ ثم قال يا امير المؤمنين وحامي حوزة الدين وابن عم سيد المرسلين وخاتم
النبيين صلى الله عليه وسلم وعلى آله وصحبه اجمعين اطال الله بقاك وجعل
الجنة مأواك والنار مثوى لاعداك لا خمدت لك نار ولا اغيظ لك جار

ثم انشد يقول

دام لك العز والبقاء	ما اختلف الصبح والمساء
ودمت ما دامت الليالي	بمدة ما لها انقضاء
الناس ناس بكل ارض	وانت من فوقهم سماء

قال فرد على الشيخ السلام وقال اجلس يا ابا الحسن حدثنا بحديث مليح عجيب
لم تسمعه قط فقال الشيخ يا امير المؤمنين احدثك بشئ سمعته باذني او بشئ رأيته
بعيني قال الرشيد يا شيخ ابو الحسن الذي تراه العين احسن من الذي تسمعه الاذن
فقال الشيخ يا امير المؤمنين افرغ لي عن ثلاثة اشياء منك فقال ما هي الثلاثة
فقال ذهنك وسمعك وقلبك فقال الرشيد هات يا ابا الحسن فقال يا امير

المؤمنين لي عادة انى اسافر كل سنة الى البصرة للامير محمد بن سليمان الزينبى واقعد عنده احدثه الاسمار واورد له الاخبار وانشد له الاشعار ولى عليه رسم الف دينار آخذها واعود الى بغداد فاتفق لى سنة من السنين ان سافرت الى البصرة على عادتى ودخلت على الامير محمد بن سليمان وجلست عنده اليوم الاول والثانى والثالث فركب الى الصيد وتركنى فى منزله واوصى ربابه ولئلا يحدثنى واكرامى الى ان يعود واوصى الطباخ الذى له ان لا يطعمنى الا اشياء تشتهيه نفسى فاشتهيت السمك فقلت للطباخ فعمل لى من السمك عدة الوان فاكلت وطاب لى الاكل حتى ثقل على فؤادى فقلت ما يصرف عنى هذا الا المشى ولى عدة اسفار الى البصرة ما اعرف فيها مكانا واريد اليوم اجعلها حاجة وفرجة ثم انى قمت امشى فى شوارع البصرة فعطشت عطشا شديدا وناهيك بعطش السمك فقلت فى نفسى ان تناولت شربة من السقاء لا تطيب نفسى لانه يشرب منه اصحاب الامراض وكبرت نفسى على ان احملها الى شاطئ الدجلة وقلت مالى الا ان اقصد بعض دور المحتشمين واطلب منها شربة من الماء فاتيت الى درب وفى ذلك الدرب خمسة دور داران مقابل دارين ودار صدر انيبة قد قامت من الثرى وتعلقت باذيال السحاب ولها باب مقنطر مزخرف بمصاطب طولانية مفروش عليها حصر عبدانية والباب ساج مصفح بصفائح الذهب لو هاج ومسامير الفضة وسفر من الحوير الاصفر المدور مكتوب عليه هذه الابيات

الا يا دار لا يدخلك حزن	ولا يغدر بصاحبك الزمان
فنعم الدار انت لكل ضيف	اذا ما ضاق بالضيف المكان

قال فقلت فى نفسى من هذه الدار اشرب الماء فاتيت الى الباب فسمعت صوتا ضعيفا من فؤاد نحيف وهو قائلا يقول

يا الله وبكما عوجا على سكني	وعاتباه لعل العتب يعطفه
وعرضالى وقولا فى حديثكما	ما بال عبدك بالهجران تتلفه

فان تبسم قولا في مسالطفة
وان بدا لكما في وجهه غضب

ما ضر لو بوصال منك تسعفه
فخالطاه وقولا ليس نعرفه

قال فقلت والله طبيب ان كان قائل هذا الصوت تخص صورته على قدر صوته واختشمت ثم اني قويت قلبي ورفعت الستر ودخلت الدهليز الى ان انتهيت الى آخره ومديت طرفي واذا بدار قد اقبلت عليها السعادة وزالت عنها الشقاوة ورايت في صدر المكان ايوانا وبركة وشاذروان وفي ذلك الايوان تخت من الساج وقوائمه من العاج مصفح بالذهب الوهاج وفوق التخت فراش من الحرير الاطلس ومسند مزركش وعليه جارية نائمة خماسية القد قائمة النهد لا بالطويلة الشاهقة ولا بالقصيرة اللاصقة اشهر من علم تربية العجم على اكتاف الخدم بخد اسيل وطرف كحيل وخصر نحيل وردف ثقيل ان اقبلت فتنت وان ولت

قلت كما قال فيها بعض واصفيها

كما اشتهت خلقت حتى اذا اعتدلت
جرى بها اللحم حتى دار اعكنها
كانها افرغت من ماء لؤلؤة

في قالب الحسن لا طول ولا قصر
على القباطي فلا سمن ولا غور
في كل جارحة من حسنها قمر

الا ان الجارية يا امير المؤمنين قد حكمت عليها يد الايام ونزلت بها جميع الاسقام وعند راسها الطبيب وهو يجس يدها ويقول يا ست بدور الضارب ضارب والساكن ساكن ولا برد ولا حمى ولا شئ تشتكينه اكثر من سهر الليل وجريان الدمع لتكون الست في قلبها هوى من احد فلما سمعت كلام الطبيب انشدت تقول

اذا هممت بكتمان الهوى نطقت
فان الح افتضح من غير منفعة
لكن الى الله اشكو ما اكابده

مدامعي بالذي اخفي من الالم
وان كتمت فدمعي غير منكتم
من طول وجد ودمع غير منصرم

قال فنهض الطبيب قائما على قدميه فناولته صرة فيها عشرون دينارا ثم التفتت الي وقالت من اين يا شيخ فقلت لها من بغداد دخلني العطش الى ان اتيت الى هنا

فقالت

١٧

فقالت لعل ان يكون على يدك فرجي فانا اكتب لك ورقة فتسأل عن بيت الامير عمرو وتعطيها له فان ردّيت على الجواب فانا اعطيك خمسمائة دينار ثم استدعت بدواة وورق وكتبت وهي تقول اما بعد يعجز لساني ويكل جناني عن بث الاشواق ولكن اسأل الكريم الخلاق ان يمن علينا بالتلاق بالسعد الرائق والامر الموافق وانا القائلة حيث اقول

سروري من الدنيا لقاكم وقربكم	وحبكم فرض وما منكم بد
ولي شاهد دمعي اذا ما ذكرتكم	جرى فوق خدي لا يطاق له رد
اذا الريح من نحو الحبيب تنسمت	وجدت لمسراها على كبد برد
فوالله ما احببت ما عشت غيركم	ولا كنت الا ما حييت لكم عبد
سلام عليكم ما امر فراقكم	فلا كان هذا منكم آخر العهد

اما بعد فهذا كتاب ممن ليلها في نحيب ونهارها في تعذيب لا تركن الى عاذل ولا تصغي الى قائل قد غلبتها ايدي الفراق ولو شرحت بعض ما عندها للفسيح ضاق وما وسعته الاوراق ولكن اسأل الكريم الخلاق رافع السبع الطباق ان يمن علينا بالتلاق وانشدت تقول

احبه قلبي وان جرتمو	علي فكل المنا انتمو
رحلتم وفي القلب خلفتمو	لهيبا فهلا ترفقتمو
وا ودعتمو يوم ودعتمو	باحشاي نارا واضرمتمو
وما كنتمو تعرفون الجفا	على شؤم بختي تعلمتمو

فالف الف لا اوحش الله منكم والسلام مني عليكم عدد شوقي اليكم ما حن الغريب الى الاوطان وعزّد حمام الايك على البان فرحم الله من قرا كتابي وتعطف برد جوابي وانشدت تقول

احبابنا مار قاد معي لفرقتكم	يوم الفراق ولا كفت غواديه
بنتم فلم يبق لي من بعدكم جلد	ولا فؤاد ولا صبر ارجيه
فكم امني فؤادي بالهوى كذبا	ولست اول من بانت غواشيه

قال ثم انها طوت الكتاب وختمته بعد ان نثرت فيه فتات المسك والعنبر وناولتني اياه فاخذته واتيت الى دار الامير عمر وفوجدته في الصيد والقنص فجلست على بابه ساعة انتظره واذا به قد اقبل وهو راكب على حصان اشقر من الخيل الضمر يساوى ملك كسرى وقيصر من اولاد الابجر الذى كان لعنتر ان طلب لحق وان طلب لم يلحق والامير في ظهره كانه انقلب فيه قلبا والمماليك قد احدقوا به كما تحدق النجوم بالقمر وهو بخد اسيل وطرف كحيل وخصر نحيل وردف ثقيل وله عذار اخضر فوق خد احمر وثغر جوهر وعنق مرمر كما قال فيه ابن مشعر

قمر تكامل في نهاية حسنه	مثل القضيب على رشاقة قده
فالبدر يطلع من ضياء جبينه	والشمس تغرب في شقائق خده
ملك الجمال باسره فكانما	حسن البرية كلها من عنده

قال ابو الحسن فما امهلته دون ان قبلت ركابه فلما نظر الى ترجل واعتنقني واخذ بيدى وادخلني الدار وانشد يقول

ما اظن الزمان يأتي بهذا	غير انى رايته في منامى

قال فلما جلس على حافة البركة اقبل على يحادثني ساعة واذا بالمائدة قد وضعت بين ايدينا واذا عليها من الوان الطعام ما درج وتطاير في الاسحار وتناكح في الاوكار من قطا وسمان وافراخ حمام وبط مسمن ودجاج محمر وخراف وضع ومعلبكات السكر فقال لى بسم الله يا شيخ ابا الحسن فقلت لا والله يا مولاى ما اكلت لك طعاما ولا شربت لك مداما الا ان قضيت لى حاجتى فقال يا ابا الحسن كان هذا من الاول اين الكتاب الذى للست بدور فقلت يا سيدى وما هى الست بدور فقال التى جئت لعندها تطلب شربة من الماء منها ووجدت عندها الطبيب وجرى لك معها ما هو كيت وكيت فقلت يا مولاى اكنت حاضرا فقال لو كنت حاضرا لاى شئ كتبت الكتاب فقلت ولا جاء احد من عندها اعلمك فقال انه لا يجسر احد من غلمانها يقابلنى فقلت ولا راح احد من عندك

الى عندها فقال هى اخس واحقر من ان يمضى اليها احد من عندك فقلت ياسيدى الغيب لا يعلمه الا الله تعالى والوحى ما نزل الا على رسول الله صلى الله عليه وسلم

فقال يا عاقل اما سمعت قول القائل

قلوب العاشقين لها عيون	ترى ما لا يراه الناظرون
واجنحة تطير بغير ريش	الى ملكوت رب العالمين

فقلت صدقت يا مولاى ثم ناولته الكتاب ففضه وقراه ثم بصق فيه وداسه برجله ورماه فى البركة فصعب على فلما علم منى ذلك قال مم غيظك اقعد الليلة عندى كل واشرب وخذ منى الخمسمائة دينار التى وعدتك بها الست

بدور وانا احب اليك منها وانشد يقول

رايت شاة وذئبا وهى ماسكة	باذنه وهو منقاد لها سارى
فقلت اعجوبة ثم التفت ارى	ما بين نابيه ملقى نصف دينار
فقلت للشاة ماذا الالف بينكما	والذئب يسطو بانياب واظفار
تبسمت ثم قالت وهى ضاحكة	بالتبر يكسر ذاك الضيغم الضارى

قال فلما سمعت كلامه يا امير المؤمنين تقدمت واكلت بحسب الكفاية والنهاية ثم انتقلنا الى مجلس الشراب وقدمت بين ايدينا البواطى والسلاحيات فتناول الامير عمرو وشرب وسقانى وانا احدثه وانادمه الى قرب الغياب فقال لى يا ابا الحسن ما عادة امير المؤمنين اذا شرب الى المساء فقلت يقول الشراب بلا طرب ولا سماع الدن اولى به فقال لى قم بسم الله فقمت معه الى مجلس وحصيرة تنقط بالذهب واللازورد العجب وهى مزخرفة قد عبقت ازهارها وضحكت سلاحياتها وصفت بواطيها ورفعت اقداحها فجلس الامير عمرو واجلسنى بجانبه وقدمت بين ايدينا الشموع واسرجت القناديل فنظرت الى مجلس عجيب وحضيرة مليحة ثم قلت يا مولاى قد تقدم القول ان الشراب بلا سماع الدن اولى به فصفق بكف على كف واذا بثلاثة جوار قد اقبلن كانهن الاقمار الواحدة تحمل عودا والثانية

تحمل دفاً والثالثة تحمل مزماراً ثم نقرت الدفية على دفها واصلحت العودية عودها وزمرت التي امرة بزمرها فخيل لي ان المجلس الذي نحن فيه يرقص بنا ثم

ان الدفية غنت تقول

احبابنا انني من يوم فرقتكم	على فراش الضنا مازلت مضطجعا
داويت قلبي بحسن الصبر بعدكم	عسى يفيق من الاسقام ما نفعا

فوالله يا امير المؤمنين لقد طربت غاية الطرب من حسن صوتها فلما فرغت الدفية ضربت العودية على عودها طرقا عديدة ثم رجعت الى الطريقة الاولى

وانشدت تقول

امؤنس طرفي لا خلا منك ناظري	وجامع شملي لا خلا منك مجلسي
ويا ساكنا قلبي وما فيه غيره	بحل فما استوحشت فيه لمونسي
وبالله يا عين الورى من ملاحة	تصدق على صب من الصبر مفلس
لتلبسني الرضى حتى اغيظ به العدا	ويا موحشي من بعد ما كان مونسي
رضاك الذي ان نلته نلت رفعة	والبسني في الناس اشرف ملبس

قال والله يا امير المؤمنين لم نتمالك عقولنا من الطرب ثم التفتت العودية الى نحو الدفية وقالت لها يا فلانة اتحسنين ان تقولي مثل هذا فقالت الدفية انا احفظ ابياتا ما اظن انك تحفظي لهن وزنا ولا قافية ولا عروضا فقالت العودية هاتي ما عندك فنقرت الدفية على دفها باناملها ورفعت صوتها وهي تقول

كرروا قد ذكرهم في مسمعي	فهم الشفا لتالمي وتوجعي
اقصر بعذلك يا عذول فان لي	قلبا لعذلك لا يفيق ولا يعي

فقالت لها العودية انا احفظ الوزن والقافية والعروض فقالت لها الدفية هاتي فضربت العودية طريقة من اثنين واثنين واربعة وثمانية وثمانية وستة عشر وستة عشر ثم عادت الى الطريقة الاولى وجعلت تقول

ان لم اسل وادي الاسيل بادمعي	اعلم باني في الصبابة مدعي

يا سعد ان جئت الغوير وعاينت	عيناك بان المنحنى فلترجع
وخذ الحذار من الغزال المختفى	واحذر ريصيدك لحظ ذات البرقع

قال والله يا امير المؤمنين فلقد طربنا حتى نام كل منا ورقص فلما فرغت الجارية قال لها سيدها غنى لى الذى لقلبى وحدى فعندها سارقت عودها وقالت

ماكنت اول رامق صبا صبا	نحو التصابى وهو فى عشر الصبا
فغلام يعذلنى العذول على البكا	لولا الغرام لما غدوت معذبا
حكم الهواء بحكمه فى مهجتى	ولقد غدا قلبى به متقلبا
ياللرجال خبا الهوى بحشاشتى	نارا فما تخبوا على ذاك الخبا
ولقد سبا عقلى غزالى لوراَت	بلقيس طلعته لما سكنت سبا
ولقد هربت من الفراق فقال لى	مهلا رويدا فاين منى تهربا

فلما سمع الامير عمرو ذلك صرخ ووقع الى الارض مغشيا عليه فقالت الجارية يا مولاى انه قد نام سيدى فان اخترت ان تنام فقم نم فى مرقدك وان اخترت التراب فدونك ونحن بين يديك الى الصباح فقمت ونمت فلما اصبحت قمت وسألت عن الامير عمرو فقال بعض الجوارى انه سرح الى الصيد والقنص فاخذت شاشا البسه فرايت تحته كيسا فيه الف دينار فاخذته واتيت الى الست بدور وادا بها واقفة

خلف الباب تنتظر وهى تقول

يارسولى الى الحبيب اعتذر لى	فلعل الحبيب يقبل عذرى
ثم قل للحبيب عنى بلطف	اى ذنب جرى فاوجب هجرى

فلما راتنى قالت يا شيخ افتح امر شعير فقلت لا والله ماهو الا زيوان والله ما رضى يقرأ مكتوبك ولا يرد جوابك فرمت الى صرة فيها مائة دينار وقالت اذهب يا ابا الحسن ما مضى الليل واتى النهار على شئ الا وازاله وغيره ويغير الله ما فى القلوب ثم انها اغلقت الباب فى وجهى ومضت وعدت الى دار الامير محمد بن سليمان الزينبى فلقيته قد جاء من الصيد فقعدت عنده

ایاما واخذت رسمی وعدت الی بغداد ثم انی فی السنة القابلة سافرت الی البصرة علی ما جرت العادة به ومضیت الی عند الامیر عمرو بن جبیر الشیبانی لاتمتع بذلك الوجه الملیح والقد الرجیح فوجدت الدار متغیرة الآثار والعبید لابسین السواد فلما

رایت ذلك بکیت وانشدت اقول

یا دار این ترحل السکان	وسرت بهم من بعدها الاظعان
بالامس کان بك الضیاء	والیوم فی عرصاتك الغربان

فسمعنی بعض الغلمان فظهر لی وقال من ذا الذی یبکی علی دیارنا ویندب منازلنا کفی بنا ما عندنا فقلت له یا عبد الخیر ان صاحب هذه الدار کان من اصدق الناس الی فما فعل به الزمان فقال لی الغلام یا مولای هو فی قید الحیاة وهو یطلب الموت فلا یجده فقلت له بالله علیك خذ لی الیه الطریق فقال لی الغلام یا مولای من اقول فقلت قل الشیخ ابو الحسن الخلیع الدمشقی المسامر قال فعبر الغلام وغاب ساعة وعاد وقال لی بسم الله ادخل فوجدت الامیر عمر نائما وعند رأسه طبیب وهو یجس یده ویقول له یا مولای الضارب ساکن والسکون لا برد ولا حمی ولا تشتکی غیر سهر اللیل وجریان الدمع لا یکون المولی الا مسحور فلما سمع الامیر عمر کلام الطبیب بکی وانشد یقول

قال الطبیب لقومی حین جس یدی	هذا فتاکم ورب البیت مسحور
فقلت ویحك قد فارقت فی صفتی	عین الصواب فهلا قلت مهجور

ثم انه ناوله کاغذا فیه بعض دنانیر فاخذها الطبیب وانصرف ثم التفت الامیر عمر الی وقال یا شیخ ابا الحسن اما تنظر الی هذا الحال الذی وقعت فیه فقلت له حاشاك من الاسواء ما سبب ذلك قال ما اعرف له سببا الا ان هجرا لست بدور قد قتلنی وجهها اضنی فؤادی فقلت یا مولای بالعام الماضی ترکتك امیرا والیوم اتیت لقیتك اسیرا فما السبب فقال الامیر عمرو یا شیخ انی فی لیلة من اللیالی رکبت فی الشط وقد عبیت فی مرکبی من سائر الازهار والفواکه والریاحین

والطعام

والطعام والمدام واوقدت الشموع حتى صارت مثل ضوء النهار وقد غرقنا في البسط و
بقينا في لعب وضحك الى ثلث الليل الاول واذ قد اقبل من صدر الشط مركب وهي
تعزف بالطارات والدفوف وتضيء كضوء الشمس وفيها وهج عظيم فقلت للملاح
قدم بنا حتى نتفرج وننظر ايضا احسن تعبية مركبنا او هذا المركب فمددت عيني
فرايت صاحبتي الست بدور وهي بين جواريها وغلمانها تلعب وتضحك وهي
مثل اسمها اسم على مسمى فلما وقعت عيني عليها كان ما رميت في قلبي جمرة نار
فقلت في نفسي ما فارقت هذا الوجه المليح بذنب ثم اني تذكرت العهد القديم
الذي كان بيننا فلم اقدر اصبر فمددت يدي واخذت تفاحة ورميتها الى الست
بدور فالتفت فراتني فقالت للملاح ارجع بنا الى البر نحن خرجنا هذه الليلة نشرح
فارسل الله لنا هذا الفتى ينغص علينا عيشنا فلما سمعتها تشتمني اضرمت النار في
قلبي ثم قلت لنفسي انت كنت المطلوب فصرت الطالب فلم يهن لي عيش في هذه
الليلة وقلت للملاح ارجع الى الشط ثم اني نزلت ومضيت الى منزلي وما ذقت
طعم المنام فلما اصبحت لم يقر لي قرار وصرت اترقب ان ياتي احد من عندها
ثلاثة ايام فلم يات احد فبعثت من يعرض بذكري لها فدعت عليهم وشتمتهم
فكتبت لها بعد ذلك الف كتاب فلم ترد لي جوابا وقد رميت روحي على كل كبير
في البصرة يدخلون عليها فلم تقبل ولم تزدد الا جفاء ولي مدة انتظرك يا شيخ
ابا الحسن حتى ابعث معك كتابا وانا احلف لك ان هي ردت لك جوابه اعطيتك
الف دينار وان لم ترد جوابه اعطيتك مائة دينار فقلت له اكتب فدعا بدواة
وقرطاس وكتب في اول الكتاب بسم الله الرحمن الرحيم هذا كتاب من متيم يشكو ا
اليك الصبابة ويسألك بالله ان تردي جوابه اما بعد فانه يعجز لساني ويكل
جناني مما انا فيه من طول السهر ودوام الفكر ويبكي لبكائي صم الحجر فالف الف
لا اوحش الله منك والسلام عليك ثم ختم الكتاب وناولني اياه فاخذته واتيت به
الى دار الست بدور فلقيت الباب على غير تلك الحالة الاولى عليه ستر مرخي وبواب

وخادم فقلت لا اله الا الله كان هذا الباب بالامس خاليا من الاصحاب واليوم عليه خادم وبواب ثم انى تقدمت الى عند الخادم وقلت له قم يا ولدى ادخل واستاذن على مولاتك الست بدور وقل لها الشيخ ابو الحسن الخليع الدمشقى قد اتى ويطلب التمثيل بين يديك فغاب الخادم ثم عاد مسرعا وقال بسم الله ادخل فدخلت الدهليز

فسمعت الست بدور وهى تقول

ولأصبرن على الزمان وجوره	حتى يعود كما اريد واشتهى

قال فلما دخلت رايتها قاعدة على حافة البركة وبين يديها جارية تروح عليها فتقدمت وقبلت يدها وجلست فنظرت واذا عليها غلالة لازوردية وجميع جسدها بائن من تحت الغلالة كانه عمود مرمر وعلى الغلالة مكتوب هذه الابيات

اقبلت فى غلالة زرقاء	لازوردية كلون السماء
فتأملت فى الغلالة التى	قمر الصيف فى ليالى الشتاء
ليتنى كنت للمليحة عقدا	او برقعا للوجه مثل الرداء
او قميصا من الحرير خفيفا	لاصفا للفؤاد والاحشا
ضربتنى بخنجر العشق حتى	صرت ملقى مخضبا بدمائى
تركتنى على الطريق ونادت	من يصلى على قتيل هواءى

ثم انى لما فرغت من قراءة الاشعار قالت لجاريتها هات لى بدلة قماش ثم غيرت ما كان عليها وجلست ثم امرت باحضار المائدة وقالت لى بسم الله كل يا ابا الحسن فقلت والله لا اكلت لك طعاما ولا شربت عندك مداما حتى تقضى حاجتى فقالت كان هذا من الاول ولكن والله قد وقعت من عيننا برواحك الى الامير عمر وقبل مجيئك الينا فقلت لها انا ما رحت فقالت تكون شيخا وتكذب انت ما صبرت عنده ولقيت الطبيب وهو يقول له كيت وكيت وجرى لك معه كذا وكذا وهذا الكتاب فى طى عمامتك وبالامارة قال لك ان رديت لى الجواب اعطيتك الف دينار وان لم ترد لى الجواب اعطيتك مائة دينار فقلت يا ستى

من اعلمك بهذا فقالت اليس القائل يقول

قلوب العاشقين لها عيون	ترى ما لا يراه الناظرون

وانا يا شيخ ابا الحسن اعشق منه وارى اكثر مما يراه فقلت صدقت يا مولاتي كان ذلك ثم ناولتها الكتاب ففضته وقرأته ثم انها مزقته وبصقت عليه وداسته ورمته في البركة فلما رايت ذلك قلت في نفسي هذا بذاك وقرضنا لدين لابد له من وفا الا اني حصل لي بعض غيظ على الالف دينار التي تفوتني فنظرت الى وعرفت مني ذلك فقالت يا شيخ ابا الحسن مم غيظك ان كان وعدك بالف دينار بت الليلة عندي وكل واشرب ولذ واطرب وخذ لك غدا مني الف دينار وامض في وداعة الله فقلت يا سيدتي يكاد الامير عمرو ان يموت فقالت دعنا من هذا الكلام ثم ان المائدة حضرت فاكلنا بحسب الكفاية فلما فرغنا قالت يا شيخ تعرف تلعب بالشطرنج قلت ما العب الا على الحكم والرضى فقالت نعم ثم دعت بالشطرنج فوضع بين ايدينا ولعبت معها الدست الاول فغلبتني فامرت الجواري ان يرموني في البركة فمسكوني ورموني في البركة فضحكت علي ساعة ثم اخرجوني وقد ابتلت جميع حوائجي فلما راتني على تلك الحالة امرت ببدلة من القماش من الفخر الملبوس فلبست فقالت نلعب ايضا على الحكم والرضى قلت نعم فلعبنا فتغافلت عليها واتيت لها بحكاية لطيفة مضحكة واشغلتها وسرقت القطع الى ان غلبتها وتحكمت فيها وقلت اريد الالف دينار وجواب الكتاب فاعطتني الالف دينار وطلبت الدواة والقرطاس ثم انها اطرقت ساعة ورفعت راسها وكتبت تقول

الا يا عمرو كم هذا العناء	وكم هذا التجلد والاذاء
كتبت الي تشكو ما تلاقي	من الاسقام اذ نزل القضاء
فسقمي لا يزال طول دهر	وداء ما له ابدا دواء
ولو ساعدتنا يا عمرو يوما	لساعدناك اذ نزل البلاء
فعش صبا ومت كمدا حزينا	فواحدة بواحدة جزاء

فلما فرغت ناولتني الورقة فقرأتها فقلت يا ستي بالله عليك لا تفعلي وارحمي الامير عمرو واكتبي له غير هذا فقالت لي يا شيخ ابا الحسن انت رسول والا فضولي فقلت لها رسول وفضولي وطفيلي ويغيظ القطط ويحلف انه ما يبات الا في الوسط ويغني بليت بكم قال فضحكت من كلامي وقالت حكمتك في نفسي فقلت يا ست بدور اين تلك المحبة التي كنت تحبيها للامير عمرو فلو ابصرتيه ما عرفتيه من شدة ما يقاسي من الاسقام والآلام والامراض فلما سمعت ذلك قالت اخبرني عن اقوى شيء به من المرض فقلت يا سيدتي ما اقدر اصف لك بعض ما فيه من الم المرض فتغرغرت عيناها بالدموع ثم قالت يعز علي ما وصفت لي عنه وروحي لروحه الفداء فالحمد لله الذي كان اجتماعنا على يديك ثم دعت بدرج غير تلك الورقة وكتبت في اول الكتاب بسم الله الرحمن الرحيم ثم

انها ابتدأت تنشد وتقول

وصل الكتاب فلا عدمت ناملا	غنيت به حتى تضوع طيبا
ففضضته وقرأته فوجدته	لخفي اوجاع القلوب طبيبا
فكانه موسى اعيد لامه	او ثوب يوسف قد اتى يعقوبا

المملوكة تقبل الارض وتنهي ان شوقها شديد وغرامها ما عليه مزيد وسؤلها من

الحميد المجيد ان يجمع شملها بك قبل ان تريد واقول

اشتاقكم حتى اذا انهض الغرام	لمقامكم تعدت بي الايام
والله اني لو وصفت صبابتي	فني المداد وقلت الاقلام

ثم انها نثرت فيها فتات المسك والطيب وطوتها وختمتها وناولتني اياها فاخذتها وقمت مسرعا وانا فرحان الى ان اتيت دار الامير عمرو ودخلت الدهليز فسمعته يقول

ترى حرمت كتب المحبة بيننا	اسحرام القرطاس اصبح غاليا

فاستأذنت عليه ودخلت فلما رآني قال لي اقبح ام شعير فقلت له قمح مغربل ليس فيه كدر ثم ناولته الكتاب ففضه وقرأه فلما فهم معناه تهلل وجهه

بالفرح فبكى وقال

هجم السرور على حتى انني	من عظم ما قد سرني ابكاني
يا عين قد صار البكا لك عادة	تبكين في فرح وفي احزان

فلما فرغ من البكاء قال لي يا شيخ ما اظن الحديد يلين ولا الصخر يذوب لعل ان تكون صنعت هذا الكتاب من عندك فقلت يا مولاي والله ما صنعته ولا كتبته بل هو خطها بيدها فبينما هو يخاطبني اذ هي عبرت علينا وهي تخطر في قوامها

وهي تنشد وتقول

زوروا كم لا تؤاخذكم بجفوتكم	ان الكريم اذا المريستزيز زارا

فلما راها الامير عمرو نهض قائما على قدميه ورمى بروحه عليها واعتنقها واعتنقته ساعة زمانية فهممت على ان اخلي لهما المكان فقالت الست بدور الى اين تروح يا شيخ قلت اخلي لكما المكان لانكما ما اجتمعتما من مدة سنة كاملة فقالت لا تفارقني من الساعة الى الصباح فقام الامير عمرو واخذنا ومضى بنا الى مجلس مليح وقدم لنا الطعام المفتخر وامر بازالة كل شئ كان عليه من آلة الحزن وجرع له بالماء فغسل يديه وغسلنا ايدينا وانتقلنا الى مجلس الشراب وبتنا في لذة ورايت المساوية تدب في وجه الامير عمرو وبتنا في لذة فلما اصبحت قالت لي الست بدور يا شيخ ابا الحسن امض وائتنا بالقاضي والشهود فلم يكن باسرع مما احضرتهم فقالت الست بدور للقاضي اكتب كتابي على الامير عمرو وقد وليت الشيخ ابا الحسن عقد النكاح قال فخطب القاضي خطبة النكاح وعقد العقد بينهما فرسم الامير عمرو للقاضي بالف دينار وللشهود بمائتي دينار وعمل الوليمة وطبخ الطعام وعمل الحلاوات وجمع الناس ووضع بين ايديهم الموائد واطعم الشارد والوارد وزفت الست بدور تلك الليلة على الامير عمرو فلما وقفوا على المنصة قلت ما تصلح الا له ولا يصلح الا لها ولو رآها غيره لزلزلت الارض زلزالها ثم تقدمت الى الامير عمرو وقلت له يا مولاي المثل يقول العصفور يتقلى والصياد

يتقلى وانتم تقولون واطرباه وانا اقول واحزناه فقالت الست بدور ما معنى كلامك
هذا قلت يا سيدتى كان الامير عمرو وعدنى بوعد والوعد على الكرماء دين فقالت
الست بدور صدق الشيخ اعطه الذى وعدته به فقال الامير عمرو لبعض غلمانه
اعط الشيخ ابا الحسن الفا وخمسمائة دينار بيتنا اهل والله اكثر من ذلك
فمضى الغلام وعاد بسرعة ومعه كيس وناولنى اياه واعطتنى الست بدور مثله
ثم انى ودعتهم وخرجت الى ان اتيت الى الامير محمد بن سليمان الزينبى وقعدت
عنده على عادتى واخذت رسمى الذى لى عليه فى كل سنة وعدت الى بغداد
فما رايت سنة ابرك على منها حصل لى فيها اربعة الاف دينار وهذه جملة الحديث
فتعجب الخليفة وقال ما قصرت يا شيخ ابا الحسن خذ من جعفر الف دينار لانك انت
الذى ازلت عنى ما بقلبى فقال جعفر ومن عند امير المؤمنين الف دينار لانه
هو الذى ازال عنه ما كان يجده فقال ابو الحسن صدق الوزير ابقاه الله تعالى
ثم انه قبض الالفين دينار ومضى الى منزله والله اعلم قال ابو القاسم عبد
الملك بن بدرون فى شرحه لقصيدة عبد المجيد بن عبدون جعفر البرمكى
هو جعفر بن يحيى بن خالد برمك والبرمك هو الذى يعمر بيت النور وهو
بيت النار وكان برمك من مجوس بلخ وكان عظيم القدر فيهم وولد خالد فلما
كبر صار وزيرا لابى السفاح بعد ابى سلمة الخلال وقتل هارون الرشيد جعفرا سنة
سبع وثمانين ومائة وكان جعفر قد بلغ من الرشيد ما لا يبلغه وزير من خليفة
قبله حتى كان يجلس معه فى حلة واحدة قد اتخذ لها جيبان على ما ذكره بعض
المخبرين وكان بلغ عنده ان يحكم عليه فيما شاء من امر ماله وولده فمن ذلك ما حكى
ابن المهدى عم الرشيد وهو ابراهيم المعروف بابن شكلة وكانت شكلة امة سوداء
وقد ذكر ان ابراهيم كان اسود شديد السواد وكان من الطبقة العليا فى صنعة العود
قال قال لى جعفر يوما يا ابراهيم اذا كان غدا فبكر لى فلما كان الغد مشيت اليه
باكرا فجلسنا نتحدث فلما ارتفع النهار احضر حجاما فحجمنا ثم قدم لنا الطعام فطعمنا

ثم خلع علينا ثياب المنادمة وقال جعفر للخادم لا يدخل علينا احد الا عبد الملك القهرمان فنسي الحاجب ما قال له فجاء عبد الملك بن صالح الهاشمي وكان رجلا من بني هاشم ذا ملاحة وفصاحة وعلم وحلم وجلالة قدر وفخامة ذكر وصيانة وديانة فظن الحاجب انه الذي امره بادخاله عليهما فلما رآه جعفر تغير لونه فقال له عبد الملك بن صالح لما رآهم على تلك الحالة وظهر له انهم احتشموه اراد ان يرفع خجله وخجلهم بمشاركته لهم في فعلهم فقال اصنعوا بنا ما صنعتم بانفسكم فجاء الخادم فطرح عليه ثياب المنادمة ثم جلس للشراب فلما بلغ ثلثا قال للساقي لتخفف عني فاني ما شربته قط فتهلل وجه جعفر فقال له هل من حاجة تبلغها مقدرتي وتحيط بها نعمتي فاقضيها لك مكافاة لما صنعت قال بلى ان امير المؤمنين على غاضب فسله الرضا عني قال قد رضي عنك امير المؤمنين قال وعلى اربعة الآف دينار قال هي لك حاضرة من مال امير المؤمنين قال وابني ابراهيم اريد ان اشد ظهره بصهر من امير المؤمنين قال قد زوجه امير المؤمنين بابنته عائشة قال واحب ان تخفق الالوية على رأسه قال نعم قد ولاه امير المؤمنين مصر قال ابراهيم بن المهدي فانصرف عبد الملك بن صالح وانا اتعجب من اقدام جعفر على قضاء الحوائج من غير استئذان فلما كان من الغد وقفنا على باب الرشيد ودخل جعفر فلم نلبث ان دعا بابي يوسف القاضي ومحمد بن واسع وابراهيم بن عبد الملك فعقد له النكاح وحملت البدر الى منزل عبد الملك وكتب سجل ابراهيم على مصر وخرج جعفر فاشار الي فلما سار الى منزله ونزلت بنزوله التفت الي وقال لعل قلبك معلق بامر عبد الملك بن صالح فاحببت معرفة خبره قلت نعم قال وذلك اني لما دخلت على امير المؤمنين وتمثلت بين يديه وابتدأت القصة من اولها الى آخرها كما كانت قال الرشيد احسن والله احسن والله ثم قال ما صنعت فاخبرته عما سأل وبما اجبته في ذلك فقال احسنت وخرج ابراهيم واليا على مصر من يومه والله تعالى اعلم قال ابراهيم بن اسحاق كنت منقطعا الى البرامكة

فبينما انا ذات يوم بمنزلي واذا الباب يدق فخرج غلامي وعاد وقال لي على الباب فتى جميل يستأذن فاذنت له فدخل شاب عليه اثر السقم فقال لي مذ احاول لقاك ولي اليك حاجة فقلت ماهي فاخرج ثلثمائة دينار فوضعها بين يدي و قال اسئلك ان تقبلها مني وتصنع لي لحنا في بيتين قلتهما فقلت انشدنيهما فقال

بالله يا طرفي الجاني على كبدي	لتطفئن بدمعي لوعة الحزن
لالا ابوح حتى تخلي سكني	فلا اراه ولو ادرجت في كفني

قال فصنعت لهما لحنا يشبه النوح ثم غنيته فاغمي عليه حتى اني ظننت انه مات ثم افاق وقال اعده فناشدته الله وقلت اخشى ان تموت فقال ليت ذلك ومازال يخضع ويتضرع حتى رحمته واعدته فصعق صعقة اشد من الاولى فلم اشك في موته ومازلت انضح عليه من ماء الورد حتى فاق ثم جلس فحمدت الله على السلامة ووضعت دنانيره بين يديه وقلت خذ مالك وانصرف عني فقال لا حاجة لي بها ولك مثلها ان اعدته فشرهت نفسي فقلت اعيد ولكن بثلاثة شرائط اولها تقيم عندي تاكل من طعامي حتى تتقوى نفسك الثاني ان تشرب من الشراب ما يمسك قلبك الثالث ان تحدثني بحديثك ففعل ذلك ثم قال اني رجل من اهل المدينة خرجت متنزها وقد سال المطر في العقيق مع اخوتي وقرابتي فتاتا مع فتيات كانها غصن جلله الندا تنظر بعينين ما ارتد طرفهما الا بنفس ملاحظهما فاظللن حتى فرغ النهار فانصرفن وقد ومت بقلبي جراحا بطيئة الاندمال فعدت اتنسم اخبارها فلم اجد احدا يرشدني اليها فجعلت اتتبعها في الاسواق فلم اقع لها على خبر ومرضت اسا وحكيت قصتي لذي قرابة لي فقالت لي لا بأس عليك هذه ايام الربيع ما انقضت وستمطر السماء فتخرج حينئذ واخرج انا معك فافعل مرادك قال فاطمانت نفسي بذلك الى ان سال العقيق وخرج الناس ينظرون فخرجت مع اخوتي وقرابتي فجلسنا في مجلسنا بعينه فما لبثنا الا والنسوة كفرسي رهان فقلت لقرابتي قولي لهذه الجارية يقول لك هذا الرجل

لقد احسن من قال

رمتني بسهم اقصد القلب وانثنت	وقد عاودت جرحا بدو تذوبا

قال فمضت اليها وقالت لها ذلك فقالت لها قولي له وقد احسن من اجابه

بنا مثل ما تشكو فصبرا لعلنا	نرى فرجا يشفي القلوب قريبا

قال فامسكت عن الكلام خوفا لفضيحة وقمت منصرفا فقامت لقيامي فتبعتها قرابتي حتى عرفت منزلها ورجعت فاخذتني وسرنا اليها حتى اجتمعنا واتصل ذلك حتى شاع وظهر وحجبها ابوها فلم ازل مجتهدا في لقائها فلم اقدر وشكوت ذلك الى ابي فجمع اهلنا ومضى الى ابيها راغبا في خطبتها فقال لو بدا له ذلك قبل ان يفضحها لفعلت ولكنه اشهرها فما كنت لاحقق قول الناس قال ابراهيم فاعدت عليه الصوت وعرفني منزله ثم انصرف وكانت بيننا عشرة ثم جلس جعفر بن يحيى وحضرت على عادتي فغنيته شعر الفتى فطرب وشرب اقداحا وقال ويلك لمن هذا الصوت فحدثته حديث الفتى فامرني بالركوب اليه وان اجعله على ثقة من بلوغ اربه فمضيت اليه واحضرته فاستعاده الحديث فحدثه فقال هي في ذمتي حتى ازوجك اياها فطابت نفسه واقام معنا فلما اصبح ركب جعفر الى الرشيد وحدثه بذلك فاستظرفه وامر ان يحضر اجميعا فاستعاد الصوت وشرب عليه فامر بكتب الكتاب الى عامل الحجاز باحضار المرأة واهلها ووالدها مبجلين الى حضرته والانفاق عليهم نفقة واسعة فلم يمض الا يسير حتى حضروا فاشار الرشيد بايصال الرجل اليه فحضر وامر بتزويج ابنته من الفتى واعطاه الف دينار ونقلت الى اهله ولم يزل الشاب من ندماء جعفر حتى حدث ما حدث فعاد الفتى باهله الى المدينة فرحم الله تعالى روا حهم اجمعين حكاية اجنبية مما اتفق ان الوزير ابا عامر احمد بن مروان كان قد اهدى له غلام من النصارى لا تقع العيون على احسن منه فلمحه الملك الناصر فقال له اني لك هذا قال هو من عند الله فقال تتحفونا بالنجوم وتستأثرون بالاقمار فاعتذر اليه ثم احتفل في هدية بعثها اليه مع

الغلام وقال له كن داخلا فى جملة الهدية ولولا الضرورة ما سمحت بك

نفسى وكتب معه هذه الابيات

امولاى هذا البدر سار لافقكم	وللافق اولى بالبدور من الارض
ارضيكم بالنفس وهى نفيسة	ولم ار قبلى من بمهجته يرضى

قال فحسن ذلك عند الناصر واتحفه بمال جزيل وتمكن عنده ثم بعد ذلك اهديت للوزير جارية من اجمل نساء الدنيا فخاف ان ينهى ذلك الى الناصر فيطلبها فتكون كقصة الغلام فاحتفل فى هدية اعظم من الاولى وارسلها

مع الجارية وكتب معها هذه الابيات

امولاى هذى الشمس والبدر اولا	تقدم لكى ان يلتقى القمران
قران لعمرى بالسعادة ناطق	فدم معهما فى كوثر وجنان
فما لهما والله فى الحسن ثالث	وما لك فى ملك البرية ثان

قال فتضاعفت مكانته عنده ثم وشى به بعض اعدائه عند الناصر ان عنده بقية من الغلمان وحذره وانه لا يزال يلهج بذكره حين تحركه الشمول فيقرع السن على تغدر الوصول فقال الناصر للواشى لا تحرك به لسانك والاطار رأسك وكتب على لسان الغلام ورقة فيها يا مولاى تعلم انك كنت لى على الانفراد ولم ازل معك فى نعيم وانا وان كنت عند السلطان مشاركا فى المنزلة محاذرا ما ابيد ومن سطوة الملك فتحيل فى استدعاى معه ثم بعثها مع غلام صغير واوصاه ان يقول هى من عند فلان وان الملك لم يكلمه قط فلما وقف عليها ابو عامر واستخبر الخادم فاحسن بالمكيدة فكتب

على ظهر الورقة يقول

امن بعد احكام التجارب ينبغى	لدى سقوط الطير فى غابة الاسد
ولا انا ممن يغلب الحب عقله	ولا جاهل ما يدعيه اولو الحسد
فان كنت روحى قد وهبتك طائعا	وكيف ترد الروح ان فارق الجسد

فلما وقف الناصر على الجواب تعجب من فطنته ولم يعد الى سماع واثر فيه بعد ذلك ثم قال له كيف خلصت من الشرك قال لان عقلي بالهوى غير مشترك

وهذا سبب قتل البرامكة وما وقع لهم مع الرشيد

والقصة في ذلك على ما رواه ابراهيم بن اسحاق عن ابي ثور زاهر بن صقلاب قال بلغني انه كان لهارون الرشيد مجلس بالليل مع جعفر البرمكي فقال له يوما لا يطيب لي ذلك الا بحضر اختي ميمونة ولكن لا يجوز الا ان كتبت لك عليها لاباحة النظر من غير ان تقربها فاتفقا على ذلك وعقد له عليها ثم احضرها فكانت تحضر لذلك المجلس الا انه زاد غرامها وعشقها فيه وكان لجعفر البرمكي امرأة تزين له الجواري كل ليلة فجاءت ميمونة لها وارشتها بمال فزينتها له وادخلتها عليه فظن انها جارية فواقعها فلما اصبحوا قالت له انا ميمونة وقد كنت اسألك ان تساعدني على مودتك فتأبى فلما ايست منك احتلت عليك بما رايت في هذه الليلة وان لم تواظب لاكونن سببا في سلب نعمتك وهل انت الا زوجي فقال لها جعفر ويحك اهلكتيني واهلكت نفسك وكان كما قال ولم يزورها حتى ظهر امرها للرشيد فهذا كان سبب قتل البرامكة وهذا ابتداء الحديث قال المبرد قال ابو عبد الله المارستاني عن يحيى بن اكثم القاضي قال سألت اسماعيل بن يحيى الهاشمي عن سبب زوال نعمة البرامكة قال نعم اعرف صحة الخبر وباطن القصة كان سبب ذلك اني كنت مع الرشيد يوما من الايام راكبا الى الصيد فبينما نحن اذ نظر الى موكب بالبعد اعترضنا فقال لي يا اسماعيل لمن هذا فقلت هؤلاء اخيك جعفر بن يحيى فالتفت يمينا وشمالا الى من معه في موكبه فاذا هو شرذمة يسيرة ثم نظر الى الموكب الذي فيه جعفر فلم يره فقال لي يا اسماعيل ما فعل جعفر وموكبه فقلت يا سيدي قد مضى اخواك في طريق ولم يعلم بموضعك فقال ما اتانا اهلا ان يزيننا بموكبه ويجملنا بجيشه فقلت العفو يا امير المؤمنين لو علم بمكانك ما تعداك وما سار الا بين يديك واعتذرت

بما حضرني من الكلام ثم سرنا حتى انتهينا الى ضيعة عامرة ومواش كثيرة وعمارة
حسنة وكان الطريق يدور عليها فدرنا حتى وردنا باب القرية فنظر الرشيد الى
البيدر والى كثرة الغلال فيه والمواشي ويسار اهلها فالتفت الي وقال يا اسماعيل
لمن هذه الضيعة قلت لاخيك جعفر بن يحيى فسكت ثم تنفس الصعداء ثم سرنا ولم نزل
نمر بكل ضيعة اعمر من الاخرى وكلما امر وسألني عن ضيعة قلت لجعفر بن يحيى
حتى سرنا ووصلنا الى المدينة فلما اردت وداعه والانصراف الى منزلي نظر
الى من كان حواليه نظرة ففعلوا ما اراد فتفرقوا وبقيت انا وهو فقال يا اسماعيل
قلت لبيك يا امير المؤمنين فقال انظر الى البرامكة اغنيناهم وافقرنا اولادنا
واغفلنا امرهم فقلت في نفسي بلية والله ثم قلت لماذا يا امير المؤمنين قال
نظرت الى هؤلاء وغفلت عن هؤلاء لاني لا اعرف لاحد من اولادي
ضيعة من ضياع البرامكة على طريق واحد على قرب هذه المدينة فكيف بما
هو لهم غير ذلك على غير هذه الطريق في سائر البلدان فقلت يا امير المؤمنين
انما البرامكة عبيدك وخدمك والضيعات واموالهم وكل ما يملكونه لك فنظر
الي نظرة جبار عنيد ثم قال ما عد البرامكة بني هاشم الا عبيدهم وانهم هم
الدولة وان لا نعمة لبني العباس الا والبرامكة انعموا عليهم بها فقلت امير
المؤمنين ابصر من غيره بخدمه ومواليه فقال والله يا اسماعيل انك لتعلم اني
قلت هذا وكاني اراك ان تعلمهم بكلامي فتتخذ لك عندهم يدا واني آمرك ولا
تكتم هذا الامر فانه ما علم به احد غيرك ومتى بلغهم شيء مما جرى علمت انه ما
افشاه الا انت فقلت يا امير المؤمنين اعوذ بالله ان يكون مثلي يفشي سرك قال وكان
هذا القول اول ما ظهر من امر البرامكة ثم ودعته وانصرفت متفكرا في ايقاع
الحيلة عليهم فلما كان من الغد بكرت اليه وجلست بين يديه وكان في محل
يشرف على الدجلة من شرقي مدينة باب السلام وبازائه منزل جعفر من الجانب
الغربي وكانت المواكب من جميع الاصناف من قائد وامير وعامل يردون في كل

يوما الى قصر جعفر فالتفت الى وقال يا اسماعيل هذا ما كنا فيه بالامس انظر كم على
باب جعفر من الجيوش والغلمان والمواكب وانا ما على باب داري احد فقلت يا
امير المؤمنين ناشدتك الله ان لا تعلق نفسك بشيء من هذا وان جعفرا انما هو
عبدك وخادمك ووزيرك وصاحب جيوشك اذا لم يكن الجيش على بابه فعلى
باب من يكون انما بابه من ابوابك فقال يا اسماعيل انظر اليه دوابهم الست ترى
اجمازهم الى قصري وتروث بازائنا ونحن ننظر اليها والله هذا هو الاستخفاف
بعينه والله لا اصبرن على ذلك ثم غضب غضبا شديدا وامتلأ غيظا فامسكت عن
الكلام وقلت والله هذا قضاء من الله سابق وحكم لا محالة واقع ثم استأذنته
في الانصراف ورجعت الى منزلي فلقيني جعفر في الطريق يريد الرشيد فتواريت
عنه حتى مضى فدخل اليه وسلم عليه فاجلسه عن يمينه واكرمه غاية الاكرام وبش
في وجهه وحادثه ساعة ووهب له خادما من خاصة خدمه وانبلهم واوضحهم
وجها واكملهم ظرفا فاتبا حاسبا لبيبا فسر جعفر سرورا كاملا ووقع في قلبه اجل
موقع وكان دسيسا عليه وبلية لديه يرفع اخباره الى الرشيد ويحصي عليه
انفاسه ساعة بساعة ووقتا بوقت فخلا به جعفر يومه ذلك وليلته واحتجب
من اجله عن الناس فلما كان بعد ثلاثة ايام سرت الى جعفر فسلمت عليه فلما
خلا مجلسه ولم يبق عنده غيري وذلك الخادم واقف وعلمت ان الخادم يحصي علينا
اخبارنا فقلت ايها الوزير نصيحة افتأذن لي بالكلام قال تكلم وكان الرشيد ولاه
كورة خراسان كلها وما يضاف اليها وينسب لها قبل هذا الكلام بايام وخلع عليه
وعقد له لواء وعسكرا بالنهروان فضرب الناس مضاربهم بها وهم متأهبون للسفر
فقلت يا سيدي انت عازم على الخروج الى بلدة كثيرة الخير واسعة الاقطار
عظيمة المملكة فلو صيرت بعض ضياعك لولد امير المؤمنين لكان احظى لمنزلتك
عنده فلما قلت ذلك نظر الي مغضبا وقال والله يا اسماعيل ما اكل الخبز ابن عمك
او قال صاحبك الا بفضلي ولا قامت هذه الدولة الا بنا اما كفى اني تركته

لا يهتم بامر شئ من امر نفسه وولده وحاشيته ورعيته وقد ملأت بيوت
امواله اموالا وذلت للامور الجليلة ادبرها حتى يمد عينيه الى ما ادخرته
واخترته لولدى وعقبى من بعدى وداخله حسد بنى هاشم وبغيهم ودب فيه
الطمع والله لئن سألنى شيئا من ذلك ليكونن وبالا عليه سريعا فقلت والله يا
سيدى ما كان ما ظننت شيئا ولا تكلم امير المؤمنين بحرف قال فما هذا الفضول
منك فقعدت بعدها هنيهة ثم قمت الى منزلى ولم اركب اليه ولا الى الرشيد
لانى صرت بينهما فى حال تهمة وقلت فى نفسى هذا الخليفة وهذا وزيره وايش لى
بالدخول بينهما ولا شك فى زوال نعمة البرامكة وان امورهم قد انثلمت قال و
حدثنى خادم ام جعفر ان الخادم الذى وهبه الرشيد لجعفر كتب الى الرشيد
بما كان بينى وبينه وما تكلم به من الكلام الغليظ قال فلما اقرأ الكتاب وفهم
الخبر احتجب ثلاثة ايام متفكرا فى ايقاع الحيلة على البرامكة فدخل فى اليوم الرابع
على زبيدة فخلا بها وشكى لها ما فى قلبه واطلعها على الكتاب الذى رفعه
اليه الخادم وكان بين جعفر وزبيدة شر وعداوة قديمة فلما تملكت الحجة عليه
بالغت فى مكرهم واجتهدت فى هلاكهم وكان الرشيد يتبارك بمشورتها
فقال اشيرى على برأيك الموفق الرشيد فانى خائف ان يخرج الامر من يدى
ان تمكنوا من خراسان وتغلبوا عليها فقالت يا امير المؤمنين مثلك مع البرامكة
كمثل رجل سكران غريق فى بحر عميق فان كنت قد افقت من سكرتك وتخلصت
من غرقك اخبرتك بما هو اصعب عليك واعظم من هذا بكثير وان كنت على الحالة
الاولى تركتك فقال لها قد كان ما كان فقولى اسمع منك فقالت ان هذا
الامر قد اخفاه عنك وزيرك وهو اصعب مما انت فيه واقبح واشنع فقال لها
ويحك وما هو فقالت انا اجل من ان اخاطبك به ولكن تحضر ارجوان الخادم و
تشدد عليه وتوهنه ضربا فانه يعرفك الخبر وكان الرشيد قد احل جعفرا محلا
لم يحله اخوه ولا ابوه وامره ان يدخل على الحريم فى السفر والحضر وابرز اليه جواريه

واخواته وبناته لانه كان بينهما رضاع سوا امرأته زبيدة فانه لم يكن رآها ولا
دخل عليها ولا قضى لها حاجة ولا هي ايضا تستقضيه حاجة فلما افسد قلب الرشيد
وعزم على هلاك البرامكة وجدت سبيلا على البرامكة فحطت على جعفر
وكان جعفر يدخل على الحريم في غياب الرشيد ويقضي حوائجهن لانهن لا يستترن
منه وكان ذلك بامر الرشيد ولم يعلم الرشيد ما حدث من جعفر قال فخرج
الرشيد واستدعى بارجوان الخادم واحضر السيف والنطع وقال برئت من
المنصور ان لم تصدقني في حديث جعفر لاقتلنك فقال الامان يا امير المؤمنين
قال نعم لك الامان فقال اعلم ان جعفرا قد خانك في اختك ميمونة وقد دخل بها
منذ سبع سنين وولدت منه ثلاث بنين احدهم له ست سنين والآخر له
خمس سنين والثالث عاش سنتين ومات قريبا والاثنان قد انفذهما
الى مدينة الرسول صلى الله عليه وسلم وهي حامل بالرابع وانت اذنت له بالدخول
على اهل بيتك وامرتني ان لا امنعه في اي وقت شاء ليلا او نهارا قال امرتك ان
لا تحجبه فحين حدثت هذه الحادثة لم لا اخبرتني اول مرة ثم امر بضرب
عنقه وقام من وقته على الفور ودخل على زبيدة وقال لها رأيتي ما عاملني
به جعفر وما ارتكب من هتك ستري ونكس رأسي وفضحني بين العرب والعجم
فقالت هذه شهوتك وارادتك عمدت الى شاب جميل الوجه حسن الثياب
طيب الرائحة جبار في نفسه ادخلته على ابنة خليفة من خلفاء الله وهي احسن منه
وجها وانظف منه ثوبا واطيب منه رائحة لكنها لم تر رجلا قط غيره فهذا جزاء من
جمع بين النار والحطب فخرج من عندها سكرو با فدعا بخادمه مسرور وكان قاسي
القلب فظا غليظا قد نزع الله الرحمة من قلبه فقال يا مسرور اذا كان الليلة بعد
العتمة فائتني بعشرة من الفعلاء اجلادا ومعهم خادمان قال نعم فلما كان بعد العتمة
جاء مسرور ومعه الفعلاء والخادمان فقام الرشيد وهم بين يديه حتى اتى
المقصورة التي فيها اخته فنظر اليها وهي حامل فلم يكلمها بشيء ولم يعاتبها على

مافعلت وامر الخادمين بادخالها فى صندوق كبير فى مقصورتها بعد قتلها
ووضعها بحليها وثيابها كما هى وقفل عليها وقد علمت انها بعد قتل رجوان
لاحقة به فلما علم انه استوثق بها دعا بالفعلاء ومعهم المعاول والزنابيل فحفروا
وسط تلك المقصورة حتى بلغوا الماء وهو قاعد على كرسى ثم قال حسبكم
هاتوا الصندوق فدلوه فى تلك الحفرة ثم قال ردوا التراب عليه ففعلوا وسووا
الموضع كما كان ثم اخرجهم وقفل الباب واخذ المفتاح معه وجلس فى موضعه
والفعلاء والخادمان بين يديه ثم قال يا مسرور خذ هؤلاء القوم واعطهم
اجرتهم فاخذهم مسرور وجعلهم فى جوالق وخيط عليهم بعد ان ثقلهم بالصخر
والحصى ورماهم فى وسط الدجلة ورجع من وقته فوقف بين يديه فقال يا مسرور
فعلت ما امرتك به قال وفيت القوم اجورهم فدفع اليه مفتاح البيت وقال
احفظه حتى اسألك عنه وامض الآن فانصب فى وسط المحل القبة التركية
ففعل ذلك ووافاه قبل الصبح ولم يعلم احد ما يريد فلما جلس فى مجلسه
وكان يوم خميس يوم موكب جعفر قال يا مسرور لا تتباعد عنى ودخل الناس
فسلموا عليه ووقفوا على مراتبهم ودخل جعفر بن يحيى البرمكى فسلم عليه فرد عليه
السلام احسن رد وترحب به وضحك فى وجهه فجلس فى مرتبته وكانت مرتبته
اقرب المراتب الى امير المؤمنين ثم حدثه ساعة وضاحكه فاخرج جعفر الكتب الواردة
عليه من النواحى فقرأها عليه وامر ونهى ومنع ونفذ الامور وقضى حوائج الناس
ثم استأذنه جعفر فى الخروج الى خراسان فى يومه ذلك فدعا الرشيد بالمنجم
وهو جالس بحضرته فقال الرشيد كم مضى من النهار قال ثلاث ساعات و
نصف فاخذ له الارتفاع وحسب له الرشيد بنفسه ونظر فى نجمه فقال يا اخى
هذا يوم نحوستك وهذه ساعة نحس ولا ارى الا انه يحدث فيها حدث و
لكن تصلى الجمعة وترحل فى سعودك وتبيت فى النهروان تبكر يوم السبت و
تستقبل الطريق بالنهار فانه اصلح من اليوم فما رضى جعفر بما قاله الرشيد حتى

اخذ الاصطرلاب من يد المنجم وقام واخذ الطالع وحسب الطالع لنفسه وقال و
الله صدقت يا امير المؤمنين ان هذه الساعة ساعة نحس وما رايت نجما اشد
احتراقا ولا اضيق مجرى من البروج فى مثل هذا اليوم ثم قام وانصرف الى منزله
والناس والقواد والخاص والعام من كل جانب يعظمونه ويجلونه الى ان وصل
الى قصره فى جيش عظيم وامر ونهى وانصرف الناس عنه فلم يستقر به المجلس حتى بعث
اليه الرشيد مسرورا وقال له امض الى جعفر وائتنى به الساعة وقل له وردت كتب من
خراسان فاذا دخل من الباب الاول وقف الجند والثانى اوقف الغلمان والثالث
فلا تدع احدا يدخل معه من غلمانه بل يدخل وحده فاذا دخل فى صحن الدار فمل به
الى القبة التركية التى امرتك بنصبها فاضرب عنقه وائتنى برأسه ولا تطلع احدا من خلق الله
على ما امرتك به ولا تراجعنى فى امره وان لم تفعل امرت من يضرب عنقك
ويأتينى برأسك ورأسه جملة وفى دون هذا كفاية وانت اعلم وتبادر قبل
ان يبلغه الخبر من غيرك فمضى مسرور واستأذن على جعفر فدخل عليه وقد نزع
ثيابه وطرح نفسه ليستريح فقال سيدى اجب امير المؤمنين قال فانزعج وارتاع
منه وقال ويلك يا مسرور انا فى هذه الساعة خرجت من عنده فما الخبر قال
وردت كتب من خراسان يحتاج تقرأها فطابت نفسه ودعا بثيابه فلبسها
وتقلد بسيفه وذهب معه فلما دخل من الباب الاول وقف الجند وفى الثانى
اوقف الغلمان فلما دخل من الباب الثالث التفت فلم ير احدا من غلمانه ولا الخادم
الفرد فندم على ركوبه تلك الساعة ولم يمكنه الرجوع فلما صار بازاء تلك القبة
المضروبة فى صحن الدار مال به اليها وانزله عن دابته وادخله القبة فلم ير فيها احدا
وفى رواية رأى فيها سيفا ونطعا فحس بالبلاء وقال لمسرور يا اخى ما الخبر
فقال له مسرور انا الساعة اخوك وفى منزلك تقول لى ويلك انت تدرى ما القضية
وما كان الله ليهملك ولا ليغفل فقد امرنى امير المؤمنين بضرب عنقك وحمل
رأسك اليه الساعة فبكى جعفر وجعل يقبل يدى مسرور ورجليه ويقول يا اخى

يامسرور قد علمت كرامتي لك دون جميع الغلمان والحاشية وان حوائجك عندي
مقضية في سائر الاوقات وانت تعرف موضعي ومحلي من امير المؤمنين وما
يوحيه الي من الاسرار ولعل ان يكونوا بلغوه عني باطلا وهذه مائة الف دينار
احضرلك بها الساعة قبل ان اقوم من موضعي هذا وخلني اهيم على وجهي فقال
لاسبيل الى ذلك ابدا قال فاحملني اليه واوقفني بين يديه فلعله اذا وقع نظره
علي تذكر الرحمة فيصفح عني قال مالي سبيل الى ذلك ابدا ولا يمكنني مراجعته
وقد علمت انه لاسبيل الى الحياة ابدا قال فتوقف عني ساعة وترجع عليه وتقول
له قد فرغت مما امرتني به واسمع ما يقول وعد فافعل ماتريد فان فعلت ذلك
وحصلت لي السلامة فاني اشهد الله وملائكته اني اشاطرك في نعمتي مما ملكته
يدي واجعلك امير الجيش واملكك امر الدنيا ولم يزل به وهو يبكي حتى طمع
في الحياة قال له مسرور ربما يكون ذلك وحل سيفه ومنطقته واخذهما ووكل
به اربعين غلاما من السودان يحفظونه ومضى مسرور ووقف بين يدي
الرشيد وهو جالس يقطر غضبا وفي يده القضيب لولع ينكت به في الارض
فلما رآه قال له ثكلتك امك مافعلت في امر جعفر فقال يا امير المؤمنين قد انفذت
امرك فيه قال فاين رأسه قال في القبة قال فأتني برأسه الساعة فرجع مسرور و
جعفر يصلي وقد ركع ركعة فلم يمهله ان يصلي الثانية حتى سل سيفه الذي
اخذه منه وضرب عنقه واخذ رأسه بلحيته فطرحها بين يدي امير المؤمنين
وهو يشخب دما فتنفس الصعداء وبكى بكاء شديدا وجعل ينكت في الارض
اثر كل كلمة ويقرع اسنانه بالقضيب ويخاطبه ويقول يا جعفر الم احلك
محل نفسي يا جعفر ماكافأتني ولا عرفت حقي ولا حفظت عهدي ولا ذكرت
نعمتي ولا نظرت في عواقب الامور ولا تفكرت في صروف الدهر ولاحسبت
تقلب الايام واختلاف احوالها يا جعفر خنتني في اهلي وفضحتني بين العرب و
العجم يا جعفر أسأت الي والى نفسك ولا تفكرت في عاقبة امرك قال مسرور



وانا واقف بين يديه وهو ينكت فى الارض فى كل كلمة ولم يزل كذلك الى ان اذن لصلاة الظهر فدعا بماء فتوضأ للصلاة وخرج للجامع فصلى بالناس جماعة ثم الظهر وجهه لقصور جعفر ودوره وقبض على ابيه واخيه وجميع اولاد البرامكة وموالهم وغلمانهم واستباح ما فيها ووجه مسرورا الى العسكر فاخذ جميع ما فيه من مضارب وخيام وسلاح وغير ذلك فلما اصبح يوم السبت فاذا هو قد قتل من البرامكة وحاشيتهم نحو الف انسان وترك من بقى منهم لا يرجع الى وطنه وشتت شملهم فى البلاد ولم يقدر واحد منهم على كسرة خبز وحبس اباه يحيى واخاه الفضل فى مطمورة وامر بجثة جعفر فصلبت على الجسر ببغداد ثم بعث الى خراسان ان يوطن بلادها وامر الناس فردوا مضاربهم ودخل العسكر واستقرت له الامور واحضر على بن عيسى بن ماهان فولاه خراسان ثم وجه الى مدينة النبى صلى الله عليه وسلم فأتى بالصبيين ولدى جعفر من اخته ميمونة قال دخلا عليه فى بيته فلما رآهما اعجب بهما وكانا فى نهاية من الحسن والجمال فاستنطقهما فوجد لغتهما مدنية وفصاحتهما هاشمية وفى الفاظهما عذوبة وبلاغة فقال لكبيرهما ما اسمك يا قرة عينى قال الحسن وقال للصغير ما اسمك يا حبيبى قال الحسين فنظر اليهما وبكى بكاء شديدا ثم قال يعز على حسنكما وجمالكما لا رحم الله من ظلمكما ولم يدر ما يراد بهما ثم قال يا مسرور ما فعل بالمفتاح الذى دفعته لك وامرتك بحفظه قال هو حاضر يا امير المؤمنين قال فأتنى به ثم دعا بجماعة من الغلمان والخدم وامرهم ان يحفروا فى البيت حفرة عميقا ودعا مسرورا وامره بقتلهما ودفنهما مع امهما فى تلك الحفرة رحمهم الله تعالى جميعا وهو مع ذلك يبكى بكاء شديدا حتى ظننت انه رحمهما ثم مسح عينيه من الدموع وامر ان لا تذكر البرامكة فى مجلس ولا يستعان بمن بقى منهم فى المدينة ابدا فخرجوا على وجوههم فى البلاد شاردين متنكرين وقطع الله دابرهم قال فلما كان بعد مدة من هلاك البرامكة وجد الرشيد رقعة تحت مصلاه

فيها خطاب وابيات من الشعر فبحث عنها فقيل ان صاحب السر علمها فبعث
اليه فسأله عنها فقال يا امير المؤمنين وجدتها فى صحن الدار ولا اعلم من طرحها
فاخذتها وطرحتها تحت مصلاك فقيل ان ذلك من زبيدة لتهلك من بقى
من البرامكة فعملت الرقعة للرشيد وحركته وزادت فى غيظه فاستدعى فى
الوقت بالفضل بن يحيى وضربه سياطا حتى كاد ان يهلكه وزاد فى حديده
واغلاله ثم استدعى يحيى وكان شيخا كبيرا وزاد فى حديده واغلاله ايضا
وكان قد نشأ فى النعيم فتذكر فقد جعفر وتشتت الاهل فكتب كتابا الى الرشيد
يستعطفه ويسأله ان يخفف عنه من القيد والغل وهو بسم الله الرحمن الرحيم
الى امير المؤمنين ونسل المهديين وامام المسلمين وخليفة رسول رب العالمين
من عبد اسلمته ذنوبه واوبقته عيوبه وخذله شفيقه ورفضه صديقه
وخانه الزمان واناخ عليه الخذلان ونزل به الحدثان فصار الى الضيق بعد
السعة وعالج الموت بعد الدعة وشرب بكاس الموت مترعه وافترش السخط
بعد الرضا واكتحل السهر بعد الكرى فنهاره فكر ونومه سهر وساعته شهر
وليله دهر قد عاين الموت مرارا وشارف الهلاك جهارا يا امير المؤمنين قد
اصابتنى مصيبتان الحال والمال اما المال فان ذلك منك ولك كان فى يدى
عارية منك ولا بأس برد العوارى الى اهلها واما المصيبة بجعفر فبجرمه وجريرته
وعاقبته بما استخف من امرك وكان جزاؤه فوق ما استحق واما الفقير فاذكر
يا امير المؤمنين خدمتى وارحم ضعفى ووهن قوتى وهب لى رضاك فمن
مثلك الزلل ومن مثلك الاقالة ولست اعتذر ولكن اقر وقد رجوت ان
افوز برضاك فتقبل عذرى وصدق نيتى وظاهر طاعتى وتلويح حجتى ففى
ذلك ما يكتفى به امير المؤمنين ويرى الحقيقة فيه ويبلغ المراد منه ثم انشأ

يقول

قل للخليفة ذى الصنائع	والعطايا الفاشيه

وابن الخلائف من قريش	والملوك العاليه
راس الامور وخبر من	ساس الامور الماضيه
ان البرامكة الذى	ن رموا لديك بداهيه
عمتهم لك سخطة	لم تبق منهم باقيه
فكانهم مما بهم	اعجاز نخل خاويه
صفر الوجوه عليهم	خلع المذلة بادية
مستضعفون ومطردو	ن بكل ارض قاصيه
بعد الامارة والوزا	رة والامور الساميه
ومنازل كانوا بها	فوق المنازل عاليه
اضحوا وجل مناهمو	منك الرضا والعافيه
يامن يريد لى الردى	يكفيك ويحك مابيه
يكفيك انى مستبا	ح لمعشر ونسائيه
يكفيك ما ابصرته	ذلى وذل مكانيه
فلقد رايت الموت من	قبل الممات علانيه
وبكاء فاطمة الكبيرة	والدموع الجاريه
ومقالها بتفجع	يا اسرتى وشقائيه
من لى وقد غلب الزمان	على جميع رجاليه
يالهف نفسى لهفها	ما للزمان وماليه
او ماسمعت مقالتى	ياذا الفروع الزاكيه
ياعطفة الملك الرضا	عودى علينا ثانيه

فلما وقف الرشيد على الرقعة كتب على ظهر هذه الابيات

يا آل برمك انكم	كنتم ملوكا عاتيه
فعصيتمو وطغيتمو	وكفرتمو نعمائيه

هذى عقوبة من عصى	من فوقه وعصانيه
اجرى القضاء عليكمو	ما ختمتموه علانيه
من ترك نصح امامكم	عند الامور البادية

ثم اردفه بقوله تعالى (بسم الله الرحمن الرحيم) وضرب الله مثلا قرية كانت آمنة مطمئنة يأتيها رزقها رغدا من كل مكان فكفرت بانعم الله فاذاقها الله لباس الجوع والخوف بما كانوا يصنعون فلما قراها يحيى وهو بالسجن اخذته الحمى لوقته وساعته وكان ينام على التراب وايس من الحياة وعلم انه ليس له مخلص مما هو فيه من السجن انتهى وقيل ليحيى ابن خالد بن برمك ايها الوزير اخبرنا باحسن ما رايت فى ايام سعادتك قال ركبت يوما فى بعض الايام فى سفينة اريد التنزه فلما خرجت برجلى لاصعد فاتكات على لوح من الواحها وكان باصبعى خاتم فطار فصه من يدى وكان ياقوتا احمر قيمته الف مثقال من الذهب فتطيرت من ذلك ثم عدت الى منزلى واذا بالطباخ قد اتى بذلك الفص بعينه وقال ايها الوزير لقيت هذا الفص فى بطن حوت وذلك لانى اشتريت حيتانا للمطبخ فشققت بطنها فرايت هذا الفص فقلت لا يصلح هذا الا للوزير اعزه الله تعالى فقلت الحمد لله هذا بلوغ الغاية و قيل له اخبرنا ببعض ما لقيت من المحن قال اشتهيت لحما فى قدر طباخ وانا فى السجن فعزمت الف دينار فى شهوتى حتى اتيت بقدر ولحم مقطع فى قصعة فارسية والخل وسائر حوائجها فى قصعة اخرى وتركوا عندى ما احتاج اليه واتيت بنار فاوقدت تحت القدر ونفخت ولحيتى فى الارض حتى كادت روحى تخرج فلما نضجت تركتها تفور وتغلى وقمت الخبز وعمدت لانزلها فانفلتت من يدى وانكسر القدر على الارض فبقيت التقط اللحم وامسح منه التراب واكله وذهب المرق الذى كنت اشتهيته وهذا اعظم ما مر بى انتهى ثم ان الرشيد نذر الحج فخرج وخرج معه العسكر وكان خروجه فى رمضان فكانت

تضرب له السرادقات المكللة بالديباج مفروشة بالحرير يخرج من سرادق الى سرادق والناس محدقون به حتى وصل الى الحرم وحج فاتفق ان الوفاة دنت من يحيى وهو فى السجن فكتب رقعة واوصى لولده الفضل ان يوصلها

الى الرشيد وكتب فيها هذه الابيات

ستعلم فى الحساب اذا التقينا	غدا يوم القيام من الظلوم
وينقطع التلذذ عن اناس	من الدنيا وتنقطع الهموم
تنام ولم تنم عنك المنايا	تنبه للمنية يا نؤوم
تروم الخلد فى دار المنايا	وكم قد رام غيرك ما تروم
الى ديان يوم الدين نمضى	وعند الله تجتمع الخصوم

قال فلما قدم الرشيد نفذها اليه الفضل فلما قرأها علم بموته فقال مات والله يحيى ومات الجود والكرم والسخاء والله لو كان حيا فرجت عنه ثم امر باطلاق الفضل ابنه واستوزره مكان اخيه جعفر رحمة الله عليهم اجمعين قال بعضهم فى

البرامكة شعرا

ان البرامكة الكرام تعلموا	فعل الكرام فعلموه الناسا
كانوا اذا غرسوا سقوا واذا بنوا	لم يهدموا لبنائهم اساسا
واذا هم صنعوا الصنائع فى الورى	جعلوا لها طول البقاء لباسا
فعلام تسقينى وانت سقيتنى	كاس المرارة من جنابك كاسا
آنستنى متفضلا افلا ترى	ان القطيعة توحش الايناسا

وسئل اسحاق الموصلى عن سخاء اولاد يحيى بن خالد فقال اما الفضل فيفعله يرضيك

واما جعفر فقوله يرضيك	واما محمد فيفعل ما يجد

وفى يحيى يقول القائل

سألت الندا هل انت حر فقال لا	ولكننى عبد ليحيى بن خالد
فقلت شراء قال لا بل وراثة	توارثها من والد بعد والد

(وفى الفضل يقول القائل)

اذا نزل الفضل بن يحيى ببلدة	رأيت بها غيث السماحة ينبت
فليس بسعال اذا سيل حاجة	ولا بمكب فى ثرى الارض ينكت

(وفى محمد يقول القائل)

سألت الندا والجود مالى أراكما	تبدلتما عزا بذل مؤبد
وما بال ركن المجد امسى مهدما	فقالا اصبنا فى ابن يحيى محمد
فقلت فهلا متما بعد موته	وقد كنتما عبديه فى كل مشهد
فقالا اقمنا كى نعزى بفقده	مسافة يوم ثم نتلوه فى غد

وذكر الحافظ السيوطى نفعنا الله به فى رسالته منتهى العقول فى منتهى النقول ان منتهى الكرم للوزراء البرامكة كادان لا يوجد احد من العلماء والحكماء والعظماء والندماء الا وللبرامكة عليه كرم نماء كماء السماء وتكرم جعفر بخمسين الف دينار من الذهب تكرمه كثيرا فى ولايته كلها من غير من ولا اذى ولا لغرض ولا لمرض حتى صار يضرب بهم المثل الاكبر بقولهم تبرمك فلان ومن كرم جعفر انه تكرم فى يوم على الف شاعر اعطى كل شاعر الف درهم والدرهم ثلاثة انصاف فضة ومن كرمه انه تكرم على من هجاه بخمسة آلاف دينار وعفا عن تأديبه وتعذيبه ولما وقع بهم من الامر ما اوقع الرشيد صار امرهم الى ما سيوصف من الفقر والذل والاهانة فمن ذلك ما قاله محمد بن غسان صاحب ولاية الكوفة وقاضيها قال دخلت على امى فى يوم عيد اضحى فرايت عندها عجوزا فى اطمار رثة واذا لها بيان ولسان فقلت لامى من هذه قالت هذه خالتك عتابة ام جعفر البرمكى ابن يحيى فسلمت عليها وقلت لها اصابك الدهر الى ما ارى قالت نعم يا بنى ان الذى كنا فيه عارية ارتجعها الدهر منا قال فقلت حدثينى ببعض شانك قالت خذه جملة لقد مضى على عيد اضحى مثل هذا منذ ثلاث سنين وعلى راسى اربعمائة وصيفة وانا ازعم ان ابنى عاق لى وقد جئتكم اليوم اطلب جلدى شاة اجعل احدهما شعارا والآخر دثارا

قال

قال فغمني ذلك وابكاني فوهبت لها بعض دنانير كانت عندي والله اعلم
ومن قول يحيى بن خالد لابنه جعفر يا بني ما دام قلمك يرعف فامطره معروفا
ومن كلام جعفر اذا احببت انسانا من غير سبب فارج خيره واذا ابغضت انسانا
من غير سبب فتوق شره * وقال يحيى بن سلام الابرش قال حدثني ابي قال
خرج الرشيد للصيد يوما بعد ما اباد البرامكة فاجتاز بجدار خراب من جدار
بني برمك فرأى لوحا مكتوبا عليه هذه الابيات

يا من لا لعب الزمان باهله	فاباد هم بتفرق لا يجمع
ان الذين عهدتهم بك مرة	كان الزمان بهم يضر وينفع
اصبحت تفزع من رآك وطالما	كنا اليك من المهول نضرع
ذهب الذين يعاش في اكنافهم	وبقي الذين حياتهم لا تنفع

قال فبكى الرشيد واقبل على الاصمعي وقال اتعرف شيئا من اخبار البرامكة
فحدثني به فقال الاصمعي ولي الامان قال ولك الامان فقال احدثك
بشيء شاهدته بعيني من الفضل بن يحيى وذلك انه خرج يوما للصيد و
القنص وهو في موكبه اذا رأى اعرابيا على ناقة قد اقبل من صدر البرية
يركض في سيره قال هذا يقصدني فقلت ومن اعلمك قال لا يكلم احد غيري
فلما دنا الاعرابي ورأى المضارب تضرب والخيام تنصب والعسكر الكثير الجم
الغفير وسمع الغوغاء والضجة ظن انه امير المؤمنين فنزل وعقل راحلته وتقدم
اليه وقال السلام عليك يا امير المؤمنين ورحمة الله وبركاته * قال اخفض
عليك ما تقول فقال السلام عليك ايها الامير قال الآن قاربت اجلس فجلس
الاعرابي فقال له الفضل من اين اقبلت يا اخا العرب قال من قضاعة قال من ادناها
او من اقصاها قال من اقصاها قال الاصمعي فالتفت الى الفضل وقال كم من
العراق الى ارض قضاعة فقلت ثمانمائة فرسخ فقال يا اخا العرب مثلك من يقصد
من ثمانمائة فرسخ الى العراق لاي شيء قال قصدت هؤلاء الاماجد الانجاد الذين

قد اشتهر معروفهم فى البلاد قال من هم قال البرامكة قال الفضل يا اخا العرب ان البرامكة خلق كثير وفيهم جليل وخطير ولكل منهم خاصة وعامة فهل افردت لنفسك منهم من اخترت لنفسك واتيته لحاجتك قال اجل قال اطولهم باعا واسمحهم كفا قال من هو قال الفضل بن يحيى بن خالد فقال له الفضل يا اخا العرب ان الفضل جليل القدر عظيم الخطر اذا جلس للناس مجلسا عاما لم يحضر مجلسه الا العلماء والفقهاء والادباء والشعراء والكتاب والمناظرون للعلم اعالم انت قال لا قال افاديب قال لا قال فعارف انت بايام العرب واشعارها قال لا قال وردت على الفضل بكتاب وسيلة قال لا فقال يا اخا العرب غرتك نفسك مثلك يقصد الفضل ابن يحيى وهو ما عرفتك عنه من الجلالة باى ذريعة او وسيلة تقدم عليه قال والله يا امير ما قصدته الا لاحسانه المعروف وكرمه الموصوف وببيتين من الشعر قلتهما فيه فقال الفضل يا اخا العرب انشدنى البيتين فان كانا يصلحان ان تلقاه بهما اشرت عليك بلقائه وان كانا لا يصلحان ان تلقاه بهما بررتك بشئ من مالى ورجعت الى باديتك وان كنت لم تستحق بشعرك شيئا قال افتفعل ايها الامير قال نعم قال فانى اقول

الم تر ان الجود من عهد آدم	تحدر حتى صار يمتطه الفضل
ولو ان اما مسها جوع طفلها	غذته باسم الفضل لاغتذى الطفل

قال احسنت يا اخا العرب فان قال لك هذان البيتان قد مدحنا بهما شاعر واخذ الجائزة عليهما فانشدنى غيرهما ما تقول قال اقول

قد كان آدم حين حان وفاته	اوصاك وهو يجود بالحوباء
ببنيه ان ترعاهم فرعيتهم	وكفيت آدم عولة الابناء

قال احسنت يا اخا العرب فان قال لك الفضل مدحنا هذان البيتان اخذتهما من افواه الناس فانشدنى غيرهما ما تقول وقد مقتك الادباء بالابصار وامتدت الاعناق اليك وتحتاج ان تناضل عن نفسك قال اذن اقول

ملت جهابذ فضل وزن نائله	وملّ كاتبه احصاء ما يهب

والله لولاك لم يمدح بمكرمة	خلق ولم يرتفع مجد ولا حسب

قال احسنت يا اخا العرب فان قال لك هذان البيتان ايضا اخذتهما من افواه الناس ما كنت قائلا قال اقول

وللفضل صولات على مال نفسه	يرى المال منه بالمذلة والعنا
ولو ان رب المال ابصر ماله	لصلى على مال الامير واذنا

قال احسنت يا اخا العرب فان قال لك الفضل هذان البيتان مسروقان انشدني غيرهما ما تقول قال اذن اقول

ولو قيل للمعروف نادى اخا العلا	لنادى باعلى الصوت يا فضل يا فضل
ولو انفقت جدواك من بمل عاجلا	لاصبح من جدواك قد نفد الوصل

قال احسنت يا اخا العرب فان قال لك الفضل هذان البيتان مسروقان ايضا انشدني غيرهما ما تقول قال اقول

وما الناس الا اثنان صب وباذل	وانى لذاك الصب والباذل الفضل
على ان لى مثلا كما ذكر الورى	وليس لفضل فى سماحته مثل

قال احسنت يا اخا العرب فان قال لك الفضل انشدني غيرهما ما تقول قال

اقول ايها الامير

حكى الفضل عن يحيى سماحة خالد	فقامت به التقوى وقام به العدل
وقام به المعروف شرقا ومغربا	ولم يك للمعروف بعد ولا قبل

قال احسنت يا اخا العرب فان قال لك قد ضجرنا من الفاضل والمفضول انشدني بيتين على الكنية لا على الاسم ما تقول قال اذن اقول

الا يا ابا العباس يا واحد الورى	ويا ملكا خد الملوك له نعل
اليك الناس شرقا ومغربا	فرادى وازواجا كانهم نحل

قال احسنت يا اخا العرب فان قال لك الفضل انشدنا غير الاسم والكنية والقافية قال والله لئن زادني الفضل وامتحنني بعد هذا لاقولن اربعة ابيات ما سبقنى

اليمن عرفى ولا عجمى ولئن زادنى بعدها لاجمعن قوائم ناقتى هذه واجعلها فى حرام الفضل وارجعن الى قضاعة خاسرا ولا بالى فنكس الفضل رأسه وقال للاعرابى يا اخا العرب سمعنى الابيات الاربعة قال اقول

ولائمة لامتك يافضل فى الندا	فقلت لها هل يقدح اللوم فى البحر
أتنهين فضلا عن عطاياه للغنى	فمن ذا الذى ينهى السحاب عن القطر
كان نوال الفضل فى كل بلدة	تحدر هذا المزن فى مهمه قفر
كان وفود الناس فى كل وجهة	الى الفضل لاقوا عنده ليلة القدر

قال فاسلت الفضل عن فيه وسقط على وجهه ضاحكا ثم رفع رأسه وقال يا اخا العرب انا والله الفضل بن يحيى سل ما شئت فقال سألتك بالله ايها الامير انك لهو قال نعم قال له فاقلنى قال اقالك الله اذكر حاجتك قال عشرة الآف درهم قال الفضل ذهبت بنا وبنفسك يا اخا العرب تعطى عشرة الآف درهم فى عشرة الآف وامر بدفع المال فلما صار المال اليه حسده وزير الفضل وقال يامولاى هذا اسراف يأتيك جلف من اجلاف العرب بابيات استرقها من اشعار العرب فتجزيه بهذا المال فقال استحقه بحضوره الينا من ارض قضاعة قال الوزير اقسمت عليك يامولاى الا اخذت سهما من كنانتك وركبته فى كبد قوسك واومات به الى الاعرابى فان رد عن نفسه ببيت من الشعر والا استعطف مالك ويكون له فى بعضه كفاية فاخذ الفضل سهما وركبه فى كبد قوسه وأوما به الى الاعرابى وقال له رد سهمى ببيت من الشعر فانشأ يقول

لقوسك قوس الجود والوتر والندا	وسهمك سهم العز فارم به فقرى

قال فضحك الفضل وانشأ يقول

اذا ملكت كفى منالا ولم انل	فلا انبسطت كفى ولا نهضت رجلى
على الله اخلاف الذى قد بذلته	فلا مبق لى بخلى ولا متلف بذلى
ارونى بخيلا نال مجدا ببخله	وهاتوا كريما مات من كثرة البذل

ثم قال الفضل لوزيره اعط الاعرابي مائة الف درهم لقصده وشعره ومائة الف درهم لكفينا شر قوائم ناقته فاخذ الاعرابي المال وانصرف وهو يبكي فقال له الفضل مم بكاؤك يا اعرابي استقلالا بالمال الذي اعطيناك قال لا ولكني ابكي على مثلك يأكله التراب وتواريه الارض وتذكرت قول الشاعر

لعمرك ما الرزية فقد مال	ولا فرس يموت ولا بعير
ولكن الرزية فقد حر	يموت لموته خلق كثير

وتوجه الاعرابي بالمال مسرورا رحمة الله عليهم اجمعين (ويحكى) ان الرشيد قال لابي نواس بعني ذقنك قال بكم قال بالف دينار قال بعتك فقال الرشيد لخازن داره ادفع له الف دينار فدفعها له فاخذها وربطها وقال يا امير المؤمنين خذ ما اشتريت قال لا ولكن جعلتها وديعة عندك قال فمضى ابو نواس واشتغل بامره ولهوه وهو خائف على ذقنه من امير المؤمنين قال فبينما هو متفكر في شئ يفعله اذ جاءه قاصد امير المؤمنين فلم يقدر ان يتكلم دون ان قام معه ودخل الى دار الخلافة فوجده في جمع كثير من خواص المملكة واعوان الدولة وكان من شانه ان يجلس بالقرب من امير المؤمنين فتحادثوا وتمالحوا فضرط ابو نواس ضرطة مزعجة أزعجت الحاضرين فضحكوا اجميعا وضحك امير المؤمنين وقال له في ذقنك يا معرص فقال في الحال الله اعلم هي ذقن من فقال امير المؤمنين قد وهبتها لك يا ملعون فاخذها وانصرف وكسب الالف دينار بهذه الحيلة والله اعلم انتهى (وكان نصر بن مقبل) عاملا على الرقة فأتى برجل من الظرفاء وجد ينكح شاة فقال له ما حملك على هذا فقال ايها الامير انها والله ملك يميني وقد قال الله تعالى او ما ملكت ايمانكم فاطلقه وامر ان تضرب الشاة الحد فان ماتت تصلب قالوا ايها الامير انها بهيمة قال وان كانت بهيمة فان الحدود لا تعطل وان عطلتها فبئس الوالي انا فانتهى الى الرشيد خبره ولم يكن رآه قبل فدعا به فلما احضر بين يديه قال من انت قال مولى الكلب فضحك منه ثم قال كيف بصرك بالحكم فقال يا امير المؤمنين

فيها خطاب وابيات من الشعر فبحث عنها فقيل ان صاحب السر علمها فبعث
اليه فسأله عنها فقال يا امير المؤمنين وجدتها في صحن الدار ولا اعلم من طرحها
فاخذتها وطرحتها تحت مصلاك فقيل ان ذلك من زبيدة لتهلك من بقي
من البرامكة فعملت الرقعة للرشيد وحركته وزادت في غيظه فاستدعى في
الوقت بالفضل بن يحيى وضربه سياطا حتى كاد ان يهلكه وزاد في حديده
واغلاله ثم استدعى يحيى وكان شيخا كبيرا وزاد في حديده واغلاله ايضا
وكان قد نشأ في النعيم فتذكر فقد جعفر وتشتت الاهل فكتب كتابا الى الرشيد
يستعطفه ويسأله ان يخفف عنه من القيد والغل وهو بسم الله الرحمن الرحيم
الى امير المؤمنين ونسل المهديين وامام المسلمين وخليفة رسول رب العالمين
من عبد اسلمته ذنوبه واوبقته عيوبه وخذله شقيقه ورفضه صديقه
وخانه الزمان واناخ عليه الخذلان ونزل به الحدثان فصار الى الضيق بعد
السعة وعالج الموت بعد الدعة وشرب بكاس الموت مترعه وافترش السخط
بعد الرضا واكتحل السهر بعد الكرى فنهاره فكر ونومه سهر وساعته شهر
وليله دهر قد عاين الموت مرارا وشارف الهلاك جهارا يا امير المؤمنين قد
اصابتني مصيبتان الحال والمال اما المال فان ذلك منك ولك كان في يدي
عارية منك ولا بأس برد العواري الى اهلها واما المصيبة بجعفر فبجرمه وجريرته
وعاقبته بما استخف من امرك وكان جزاؤه فوق ما استحق واما الفقير فاذكر
يا امير المؤمنين خدمتي وارحم ضعفي ووهن قوتي وهب لي رضاك و
مثلي الزلل ومن مثلك الاقالة ولست اعتذر ولكن اقر وقد
افوز برضاك فتقبل عذري وصدق نيتي وظاهر طاعة
ذلك ما يكتفي به امير المؤمنين ويرى الحقيقة

يقول

قل للخليفة ذي الصنائع		وا

وابن الخلائف من قريش | والملوك العاليه
واس الامور وخير من | ساس الامور الماضيه
ان البرامكة الذى | ن رموا لديك بداهيه
عمتهمو لك سخطة | لم تبق منهم باقيه
فكانهم مما بهم | اعجاز نخل خاويه
صفر الوجوه عليهم | خلع المذلة باديه
مستضعفون ومطردو | ن بكل ارض قاصيه
بعد الامارة والوزا | رة والامور الساميه
ومنازل كانوا بها | فوق المنازل عاليه
اضحوا وجل مناهمو | منك الرضا والعافيه
يا من يريد لى الردى | يكفيك ويحك مابيه
يكفيك انى مستبا | ح لمعشر ونسائيه
يكفيك ما ابصرته | ذلى وذل مكانيه
فلقد رايت الموت من | قبل الممات علانيه
وبكاء فاطمة الكبيرة | والدموع الجاريه
ومقالها بتفجع | يا اسرتى وشفائيه
من لى وقد غلب الزمان | على جميع رجاليه
يالهف نفسى لهفها | ما للزمان وماليه
اوما سمعت مقالتى | يا ذا الفروع الزاكيه
لعاطفة الملك الرضا | عودى علينا ثانيه

[illegible] على الرقعة [illegible] على ظهر هذه الابيات

[illegible] | [illegible] نتم ملوكا عاتيه
[illegible] | [illegible] كفرتمو نعمائيه

فيها خطاب وابيات من الشعر فبحث عنها فقيل ان صاحب السر علمها فبعث
اليه فسأله عنها فقال يا امير المؤمنين وجدتها في صحن الدار ولا اعلم من طرحها
فاخذتها وطرحتها تحت مصلاك فقيل ان ذلك من زبيدة لتهلك من بقي
من البرامكة فعملت الوقعة للرشيد وحركته وزادت في غيظه فاستدعى في
الوقت بالفضل بن يحيى وضربه سياطا حتى كاد ان يهلكه وزاد في حديده
واغلاله ثم استدعى يحيى وكان شيخا كبيرا وزاد في حديده واغلاله ايضا
وكان قد نشأ في النعيم فتذكر فقد جعفر وتشتت الاهل فكتب كتابا الى الرشيد
يستعطفه ويسأله ان يخفف عنه من القيد والغل وهو بسم الله الرحمن الرحيم
الى امير المؤمنين ونسل المهديين وامام المسلمين وخليفة رسول رب العالمين
من عبد اسلمته ذنوبه واوبقته عيوبه وخذله شفيقه ورفضه صديقه
وخانه الزمان واناخ عليه الخذلان ونزل به الحدثان فصار الى الضيق بعد
السعة وعالج الموت بعد الدعة وشرب بكاس الموت مترعه وافترش السخط
بعد الرضا واكتحل السهر بعد الكرى فنهاره فكر ونومه سهر وساعته شهر
وليله دهر قد عاين الموت مرارا وشارف الهلاك جهارا يا امير المؤمنين قد
اصابتني مصيبتان الحال والمال اما المال فان ذلك منك ولك كان في يدي
عارية منك ولا بأس برد العواري الى اهلها واما المصيبة بجعفر فبجرمه وجريرته
وعاقبته بما استخف من امرك وكان جزاؤه فوق ما استحق واما الفقير فاذكر
يا امير المؤمنين خدمتي وارحم ضعفي ووهن قوتي وهب لي رضاك فمن
مثلك الزلل ومن مثلك الاقالة ولست اعتذر ولكن اقر وقد رجوت ان
افوز برضاك فتقبل عذري وصدق نيتي وظاهر طاعتي وتلويح حجتي ففي
ذلك ما يكتفي به امير المؤمنين ويرى الحقيقة فيه ويبلغ المراد منه ثم انشا

يقول

قل للخليفة ذي الصنائع	والعطايا الفاشيه

وابن

وابن الخلائف من قريش … والملوك العاليه
ساس الامور وخبر من … ساس الامور الماضيه
ان البرامكة الذ … ين والديك بداهيه
عمتهم لك سخطة … لم تبق منهم باقيه
فكانهم مما بهم … اعجاز نخل خاويه
صفر الوجوه عليهم … خلع المذلة باديه
مستضعفون ومطرد … ن بكل ارض قاصيه
بعد الامارة والوزا … رة والامور الساميه
ومنازل كانوا بها … فوق المنازل عاليه
اضحوا وجل مناهم … منك الرضا والعافيه
يا من يريد لي الردى … يكفيك ويحك مابيه
يكفيك اني مستبا … ح لمعشر وشمائيه
يكفيك ما ابصرته … ذلي وذل مكانيه
فلقد رايت الموت من … قبل الممات علانيه
وبكاء فاطمة الكبيرة … والدموع الجاريه
ومقالها بتفجع … يا اسرتي وشفائيه
من لي وقد غلب الزمان … على جميع رجاليه
يالهف نفسي لهفها … مال الزمان ومالِيه
او ما سمعت مقالتي … يا ذا الفروع الزاكيه
يا عطفة الملك الرضا … عودي علينا ثانيه

فلما وقف الرشيد على الرقعة كتب على ظهر هذه الابيات

يا آل برمك انكم … كنتم ملوكا عاتيه
فعصيتمو وطغيتمو … وكفرتمو نعمائيه

هذى عقوبة من عصى	من فوقه وعصانيه
اجرى القضاء عليكمو	ما ختمتموه علانيه
من ترك نصح امامكم	عند الامور البادية

ثم اردفه بقوله تعالى (بسم الله الرحمن الرحيم) وضرب الله مثلا قرية كانت آمنة مطمئنة يأتيها رزقها رغدا من كل مكان فكفرت بانعم الله فاذاقها الله لباس الجوع والخوف بما كانوا يصنعون فلما قراها يحيى وهو بالسجن اخذته الحمى لوقته وساعته وكان ينام على التراب وايس من الحياة وعلم انه ليس له مخلص مما هو فيه من السجن انتهى وقيل ليحيى ابن خالد بن برمك ايها الوزير اخبرنا باحسن ما رايت فى ايام سعادتك قال كنت يوما فى بعض الايام فى سفينة اريد التنزه فلما خرجت برجلى لاصعد فاتكات على لوح من الواحها وكان باصبعى خاتم فطار فصه من يدى وكان ياقوتا احمر قيمته الف مثقال من الذهب فتطيرت من ذلك ثم عدت الى منزلى واذا بالطباخ قد اتى بذلك الفص بعينه وقال ايها الوزير لقيت هذا الفص فى بطن حوت وذلك لانى اشتريت حيتانا للمطبخ فشققت بطنها فرايت هذا الفص فقلت لا يصلح هذا الا للوزير اعزه الله تعالى فقلت الحمد لله هذا بلوغ الغاية وقيل له اخبرنا ببعض ما لقيت من المحن قال اشتهيت لحما فى قدر طباخ وانا فى السجن فعزمت الف دينار فى شهوتى حتى اتيت بقدر ولحم مقطع فى قصبة فارسية والخل وسائر حوائجها فى قصبة اخرى وتركوا عندى ما احتاج اليه واتيت بنار فاوقدت تحت القدر ونفخت ولحيتى فى الارض حتى كادت روحى تخرج فلما نضجت تركتها تفور وتغلى وفتيت الخبز وعمدت لانزلها فانفلتت من يدى وانكسرا القدر على الارض فبقيت التقط اللحم وامسح منه التراب واكله وذهب المرق الذى كنت اشتهيته وهذا اعظم ما مر بى انتهى ثم ان الرشيد نذر الحج فخرج وخرج معه العسكر وكان خروجه فى رمضان فكانت

تضرب له السرادقات المكللة بالديباج مفروشة بالحرير يخرج من سرادق الى سرادق والناس محدقون به حتى وصل الى الحرم وحج فاتفق ان الوفاة دنت من يحيى وهو فى السجن فكتب رقعة واوصى لولده الفضل ان يوصلها

الى الرشيد وكتب فيها هذه الابيات

ستعلم فى الحساب اذا التقينا	غدا يوم القيام من الظلوم
وينقطع التلذذ عن اناس	من الدنيا وتنقطع الهموم
تنام ولم تنم عنك المنايا	تنبه للمنية يا نؤوم
تروم الخلد فى دار المنايا	وكم قد رام غيرك ما تروم
الى ديان يوم الدين نمضى	وعند الله تجتمع الخصوم

قال فلما قدم الرشيد نفذها اليه الفضل فلما قراها علم بموته فقال مات والله يحيى ومات الجود والكرم والسخاء والله لو كان حيا فوجت عنه ثم امر باطلاق الفضل ابنه واستوزره مكان اخيه جعفر رحمة الله عليهم اجمعين قال بعضهم فى

البرامكة شعرا

ان البرامكة الكرام تعلموا	فعل الكرام فعلموه الناسا
كانوا اذا غرسوا سقوا واذا بنوا	لم يهدموا لبنائهم اساسا
واذا هم صنعوا الصنائع فى الورى	جعلوا لها طول البقاء لباسا
فعلام تسقينى وانت سقيتنى	كاس المرارة من جنابك كاسا
آنستنى متفضلا افلا ترى	ان القطيعة توحش الايناسا

وسئل اسحاق الموصلى عن سخاء اولاد يحيى بن خالد فقال اما الفضل فيفعله يرضيك

واما جعفر فقوله يرضيك	واما محمد فيفعل ما يجد

وفى يحيى يقول القائل

سالت الندا هل انت حر فقال لا	ولكننى عبد ليحيى بن خالد
فقلت شراء قال لا بل وراثة	توارثها من والد بعد والد

وفى الفضل يقول القائل

اذا نزل الفضل بن يحيى ببلدة ... رايت بها غيث السماحة ينبت
فليس بسحال اذا سيل حاجة ... ولا بمكب فى ثرى الارض ينكت

وفى محمد يقول القائل

سالت الندا والجود مالى اراكما ... تبدلتما عزا بذل مؤبد
وما بال ركن المجد امسى مهدما ... فقالا اصبنا فى ابن يحيى محمد
فقلت فهلا متما بعد موته ... وقد كنتما عبديه فى كل مشهد
فقالا اقمنا كى نعزى بفقده ... مسافة يوم ثم نتلوه فى غد

وذكر الحافظ السيوطى نفعنا الله به فى رسالته منتهى العقول فى منتهى النقول
ان منتهى الكرم للوزراء البرامكة كاد ان لا يوجد احد من العلماء والحكماء والعظماء
والندماء الا وللبرامكة عليه كرم نماء كماء السماء وتكرم جعفر بخمسين الف دينار من
الذهب تكرم منه كثيرا فى ولايته كلها من غير من ولا اذى ولا لغرض ولا لمرض حتى
صار يضرب بهم المثل الاكبر يقولون تبرمك فلان ومن كرم جعفر انه تكرم فى يوم على
الف شاعر اعطى كل شاعر الف درهم والدرهم ثلاثة انصاف فضة ومن كرمه
انه تكرم على من هجاه بخمسة الاف دينار وعفا عن تاديبه وتعذيبه ولما وقع بهم
من الامر ما اوقع الرشيد صار امرهم الى ما سيوصف من الفقر والذل والاهانة
فمن ذلك ما قاله محمد بن غسان صاحب ولاية الكوفة وقاضيها قال دخلت على امى
فى يوم عيد اضحى فرايت عندها عجوزا فى اطمار رثة واذا لها بيان ولسان فقلت لامى
من هذه قالت هذه خالتك عتابة ام جعفر البرمكى ابن يحيى فسلمت عليها وقلت
لها اصابك الدهر الى ما ارى قالت نعم يا بنى ان الذى كنا فيه عارية ارتجعها
الدهر منا قال فقلت حدثينى ببعض شانك قالت خذه جملة لقد مضى على عيد
اضحى مثل هذا منذ ثلاث سنين وعلى راسى اربعمائة وصيفة وانا ازعم ان ابنى
عاق لى وقد جئتكم اليوم اطلب جلدى شاة اجعل احدهما شعارا والاخر دثارا

قال

قال فغمني ذلك وابكاني فوهبت لها بعض دنانير كانت عندي والله اعلم
ومن قول يحيى بن خالد لابنه جعفر يا بني ما دام قلمك يرعف فامطره معروفا
ومن كلام جعفر اذا احببت انسانا من غير سبب فارج خيره واذا ابغضت انسانا
من غير سبب فتوق شره * وقال يحيى بن سلام الابرش قال حدثني ابي قال
خرج الرشيد للصيد يوما بعدما اباد البرامكة فاجتاز بجدار خراب من جدار
بني برمك فرأى لوحا مكتوبا عليه هذه الابيات

يا من لا لعب الزمان باهله … فاباد هم بتفرق لا يجمع
ان الذين عهدتهم بك مرة … كان الزمان بهم يضر وينفع
اصبحت تفزع من رآك وطالما … كنا اليك من المهول نضرع
ذهب الذين يعاش في اكنافهم … وبقي الذين حياتهم لا تنفع

قال فبكى الرشيد واقبل على الاصمعي وقال اتعرف شيئا من اخبار البرامكة
فحدثني به فقال الاصمعي ولي الامان قال ولك الامان فقال احدثك
بشيء شاهدته بعيني من الفضل بن يحيى وذلك انه خرج يوما للصيد و
القنص وهو في موكبه اذا رأى اعرابيا على ناقة قد اقبل من صدر البرية
يركض في سيره قال هذا يقصدني فقلت ومن اعلمك قال لا يكلمه احد غيري
فلما دنا الاعرابي ورأى المضارب تضرب والخيام تنصب والعسكر الكثير الجم
الغفير وسمع الغوغا والضجة ظن انه امير المؤمنين فنزل وعقل راحلته وتقدم
اليه وقال السلام عليك يا امير المؤمنين ورحمة الله وبركاته : قال اخفض
عليك ما تقول فقال السلام عليك ايها الامير قال الآن قاربت اجلس فجلس
الاعرابي فقال له الفضل من اين اقبلت يا اخا العرب قال من قضاعة قال من ادناها
او من اقصاها قال من اقصاها قال الاصمعي فالتفت الي الفضل وقال كم من
العراق الى ارض قضاعة فقلت ثمانمائة فرسخ فقال يا اخا العرب مثلك من يقصد
من ثمانمائة فرسخ الى العراق لاي شيء قال قصدت هؤلاء الاماجد الانجاد الذين

قد اشتهر معروفهم فی البلاد فقال من هم قال البرامكة قال الفضل يا اخا العرب ان البرامكة خلق كثير وفيهم جليل وخطير ولكل منهم خاصة وعامة فهل افردت لنفسك منهم من اخترت لنفسك واتيته لحاجتك قال اجل قال اطولهم باعا واسمحهم كفا قال من هو قال الفضل بن يحيى بن خالد فقال له الفضل يا اخا العرب ان الفضل جليل القدر عظيم الخطر اذا جلس للناس مجلسا عاما لم يحضر مجلسه الا العلماء والفقهاء والادباء والشعراء والكتاب والمناظرون للعلم اعالم انت قال لا قال افاديب قال لا قال فعارف انت بايام العرب واشعارها قال لا قال وردت على الفضل بكتاب وسيلة قال لا فقال يا اخا العرب غرتك نفسك مثلك يقصد الفضل ابن يحيى وهو ما عرفتك عنه من الجلالة بای ذريعة او وسيلة تقدم عليه قال والله يا امير ما قصدته الا لاحسانه المعروف وكرمه الموصوف وببيتين من الشعر قلتهما فيه فقال الفضل يا اخا العرب انشدني البيتين فان كانا يصلحان ان تلقاه بهما اشرت عليك بلقائه وان كانا لا يصلحان ان تلقاه بهما برزتك بشیء من مالی ورجعت الی باديتك وان كنت لم تستحق

بشعرك شيئا قال افتفعل ايها الامير قال نعم قال فانی اقول

الم تر ان الجود من عهد آدم	تحدر حتى صار يمتطه الفضل
ولو ان اما مسها جوع طفلها	غذته باسم الفضل لاغتذى الطفل

قال احسنت يا اخا العرب فان قال لك هذان البيتان قد مدحنا بهما شاعر

واخذ الجائزة عليهما فانشدنی غيرهما ما تقول قال اقول

قد كان آدم حين حان وفاته	اوصاك وهو يجود بالحوباء
ببنيه ان ترعاهم فرعيتهم	وكفيت آدم عولة الابناء

قال احسنت يا اخا العرب فان قال لك الفضل ممتحنا هذان البيتان اخذتهما من افواه الناس فانشدنی غيرهما ما تقول وقد مقتك الادباء بالابصار وامتدت الاعناق اليك وتحتاج ان تناضل عن نفسك قال اذن اقول

ملت حبابذ فضل وزن نائله	وملّ كاتبه احصاه ما يهب

والله لولاك لم يمدح بمكرمة	خلق ولم يرتفع مجد ولا حسب

قال احسنت يا اخا العرب فان قال لك هذان البيتان ايضا اخذتهما من افواه الناس ما كنت قائلا قال اقول

وللفضل صولات على مانفسه	يرى المال منه بالمذلة والعنا
ولو ان رب المال ابصر ماله	لصلى على مال الامير واذنا

قال احسنت يا اخا العرب فان قال لك الفضل هذان البيتان مسروقان انشدني غيرهما ماتقول قال اذن اقول

ولو قيل للمعروف نادى اخا العلا	لنادى باعلى الصوت يا فضل يا فضل
ولو انفقت جدواك من بمل عاجلا	لاصبح من جدواك قد نفذ الوصل

قال احسنت يا اخا العرب فان قال لك الفضل هذان البيتان مسروقان ايضا انشدني غيرهما ما تقول قال اقول

وما الناس الا اثنان صب وباذل	واني لذاك الصب والباذل الفضل
على ان لي مثلا كما ذكر الورى	وليس لفضل في سماحته مثل

قال احسنت يا اخا العرب فان قال لك الفضل انشدني غيرهما ماتقول قال

اقول ايها الامير

حكى الفضل عن يحيى سماحة خالد	فقامت به التقوى وقام به العدل
وقام به المعروف شرقا ومغربا	ولم يك للمعروف بعد ولا قبل

قال احسنت يا اخا العرب فان قال لك قد ضجرنا من الفاضل والمفضول انشد في بيتين على الكنية لا على الاسم ما تقول قال اذن اقول

الا يا ابا العباس يا واحد الورى	ويا ملكا خد الملوك له نعل
اليك الناس شرقا ومغربا	فرادى وازواجا كانهم نحل

قال احسنت يا اخا العرب فان قال لك الفضل انشدنا غير الاسم والكنية والقافية قال والله لئن زادني الفضل وامتحنني بعد هذا لاقولن اربعة ابيات ما سبقني

اليهن عزى ولا عجمى ولئن زادنى بعدها لاجمعن قوائم ناقتى هذه واجعلها فى حرام الفضل وارجعن الى قضاعة خاسرا ولا ابالى فنكس الفضل رأسه وقال للاعرابى يا اخا العرب بمعنى الابيات الاربعة قال اقول

ولائمة لامتك يا فضل فى الندا	فقلت لها هل يقدح اللوم فى البحر
أتنهين فضلا عن عطاياه للغنى	فمن ذا الذى ينهى السحاب عن القطر
كان نوال الفضل فى كل بلدة	تحدر هذا المزن فى مهمه قفر
كان وفود الناس فى كل وجهة	الى الفضل لاقوا عنده ليلة القدر

قال فاسبل الفضل عن فيه وسقط على وجهه ضاحكا ثم رفع رأسه وقال يا اخا العرب انا والله الفضل بن يحيى سل ما شئت فقال سألتك بالله ايها الامير انك لهو قال نعم قال له فاقلنى قال اقالك الله اذكر حاجتك قال عشرة الآف درهم قال الفضل ازدهيت بنا وبنفسك يا اخا العرب نعطى عشرة الآف درهم فى عشرة الآف وامر بدفع المال فلما صار المال اليه حسده وزير الفضل وقال يا مولاى هذا اسراف يأتيك جلف من اجلاف العرب بابيات استرقها من اشعار العرب فتجزيه بهذا المال فقال استحقه بحضوره الينا من ارض قضاعة قال الوزير اقسمت عليك يا مولاى الا اخذت سهما من كنانتك وركبته فى كبد قوسك واومات به الى الاعرابى فان رد عن نفسه ببيت من الشعر والا استعطف مالك ويكون له فى بعضه كفاية فاخذ الفضل سهما وركبه فى كبد قوسه واوما به الى الاعرابى وقال له رد سهمى ببيت من الشعر فانشأ يقول

لقوسك قوس الجود والوتر الندا	وسهمك سهم العز فارم به فقرى

قال فضحك الفضل وانشأ يقول

اذا ملكت كفى منالا ولم انل	فلا انبسطت كفى ولا نهضت رجلى
على الله اخلاف الذى قد بذلته	فلا مبق لى بخلى ولا متلف بذلى
ارونى بخيلا نال مجدا ببخله	وهاتوا اكريما مات من كثرة البذل

ثم قال الفضل لوزيره اعط الاعرابي مائة الف درهم لقصده وشعره ومائة الف درهم لكفينا شر قوائم ناقته فاخذ الاعرابي المال وانصرف وهو يبكي فقال له الفضل مم بكاؤك يا اعرابي استقلالا بالمال الذي اعطيناك قال لا ولكني ابكي على

مثلك ياكله التراب وتواريه الارض وتذكرت قول الشاعر

لعمرك ما الرزية فقد مال		ولا فرس يموت ولا بعير	
ولكن الرزية فقد حر		يموت لموته خلق كثير	

وتوجه الاعرابي بالمال مسرورا رحمة الله عليهم اجمعين (ويحكى) ان الرشيد قال لابي نواس بعني ذقنك قال بكم قال بالف دينار قال بعتك فقال الرشيد لخازن داره ادفع له الف دينار فدفعها له فاخذها وربطها وقال يا امير المؤمنين خذ ما اشتريت قال لا ولكن جعلتها وديعة عندك قال فمضى ابو نواس واشتغل بامره ولهوه وهو خائف على ذقنه من امير المؤمنين قال فبينما هو متفكر في شئ يفعله اذ جاءه قاصد امير المؤمنين فلم يقدر ان يتكلم دون ان قام معه ودخل الى دار الخلافة فوجده في جمع كثير من خواص المملكة واعوان الدولة وكان من شانه ان يجلس بالقرب من امير المؤمنين فتحادثوا وتمالجوا فضرط ابو نواس ضرطة مزعجة ازعجت الحاضرين فضحكوا اجمعيا وضحك امير المؤمنين وقال له في ذقنك يا معرص فقال في الحال الله اعلم هي ذقن من فقال امير المؤمنين قد وهبتها لك يا ملعون فاخذها وانصرف وكسب الالف دينار بهذه الحيلة والله اعلم انتهى (وكان نصر بن مقبل) عاملا على الرقة فاتى برجل من الظرفاء وجد ينكح شاة فقال له ما حملك على هذا فقال ايها الامير انها والله ملك يميني وقد قال الله تعالى او ما ملكت ايمانكم فاطلقه وامر ان تضرب الشاة الحد فان ماتت تصلب قالوا ايها الامير انها بهيمة قال وان كانت بهيمة فان الحدود لا تعطل وان عطلتها فبئس الوالي انا فانتهى الى الرشيد خبره ولم يكن رآه قبل فدعا به فلما احضر بين يديه قال من انت قال مولى لكلب فضحك منه ثم قال كيف بصرك بالحكم فقال يا امير المؤمنين

البهائم عندى والناس سواء ولو وجب حد على بهيمة وكانت امى والخنى لحدتهما ولم تأخذنى فى الله لومة لائم فامر الرشيدان لا يستعان به على عمل فلم يزل معطلا الى ان مات والله اعلم ويحكى ان هارون الرشيد امر بقتل ابى نواس فقال انقتلنى شهوة لقتلى فقال لا بل انت مستحق للقتل قال فبم استحقيت القتل

قال بقولك

الا فاسقنى خمرا وقل لى هى الخمر	ولا تسقنى سرا اذا امكن الجهر

فقال له يا امير المؤمنين افتعلم انه سقانى وشربت فقال له امير المؤمنين اظن ذلك فقال يا امير المؤمنين افتقتلنى على الظن وقد قال الله تعالى ان بعض الظن اثم فقال له الرشيد قد قلت ايضا ما تستحق به القتل فقال

ماهو فقال له قولك

ماجاءنا احد يخبر انه	فى جنة من مات او فى نار

فقال له يا امير المؤمنين هل جاءنا احد قال لا قال أتقتلنى على الصدق فقال له الرشيد ولست القائل

يا احمد المرتجى فى كل نائبة	قم سيدى نعص جبار السموات

فقال له يا امير المؤمنين او صار القول فعلا قال لا اعلم قال افتقتلنى على مالا تعلم فقال له امير المؤمنين دع هذا كله فقد اعترفت فى مواضع كثيرة من شعرك بالزنا قال ابو نواس قد علم الله هذا قبل علم امير المؤمنين بقوله تعالى والشعراء يتبعهم الغاوون الم تر انهم فى كل واد يهيمون وانهم يقولون مالا يفعلون فقال الرشيد خلوا عنه ومن هذا اخذ الصفى الحلى فقال

نحن الذى جاء الكتاب مخبرا	بعفاف انفسنا وفسق الالسن

وعن محمد بن نافع قال رأيت ابا نواس فى النوم بعد موته فقلت يا ابا نواس فقال لات حين كنية فقلت الحسن بن هانئ قال نعم قلت ما فعل الله بك قال غفر الله لى بابيات قلتها فى علتى قبل موتى هى تحت الوسادة فسألت اهله

فقلت هل قال اخي شعرا قال لا لا نعلم الا انه دعا بدواة وقرطاس وكتب شيئا

لا ندري ما هو فدخلت ورفعت وسادته واذا انا برقعة مكتوب فيها

يا رب ان عظمت ذنوبي كثرة	فلقد علمت بان عفوك اعظم
ان كان لا يرجوك الا محسن	فمن الذي يدعو ويرجو المجرم
مالي اليك وسيلة الا الرجا	وجميل عفوك ثم اني مسلم

(وهذه حكاية العجمي والكردي وما جرى بينهما على يد القاضي بسبب الجراب)

قيل ان الخليفة هارون الرشيد قلق ليلة فاستدعى بوزيره جعفر البرمكي فلما حضر عنده قال له جعفر اني قلقت وضاق صدري واريد منك شيئا يشرح خاطري فقال له جعفر يا امير المؤمنين ان لي صديقا اسمه علي العجمي وعنده من جميع الحكايات والاخبار فقال علي به فقال سمعا وطاعة ثم ان جعفر اخرج من عند الخليفة في طلب علي العجمي فارسل خلفه فلما حضر قال اجب يا امير المؤمنين فقال سمعا وطاعة فاتى عند الخليفة فسلم وترحم فقال له الخليفة اجلس فجلس فقال له الخليفة اسمع يا علي انني الليلة ضيق الصدر وقد سمعت عنك ان في ذهنك حكايات واخبار واريد منك ان تسمعني ما يزيل همي وفكري فقال يا امير المؤمنين تريد ان احكي لك شيئا سمعته او رايته فقال ان كنت رايت شيئا فاحكه فقال سمعا وطاعة اعلم يا امير المؤمنين اني سافرت في بعض السنين من بلدي الى هذه المدينة وهي بغداد وصحبتي غلام ظريف ومعه جراب نظيف فاودعني اياه فبينما انا ابيع واشتري واذا انا برجل كردي ظالم معتد هجم علي واخذ الجراب مني وقال هذا الجراب جرابي وكل ما فيه قماشي وثيابي فقلت يا معشر الناس قد اعترائي الوسواس فقال الناس جميعا امضوا الى القاضي فمضينا الى القاضي وانا بحكمه راضي فدخلنا عليه وتمثلنا بين يديه فقال القاضي في اي شئ جئتما فقال الكردي نحن خصمان قال ايكما المدعي فتقدم الكردي فقال ايد الله مولانا القاضي هذا الجراب جرابي وكل ما فيه قماشي وثيابي وقد ضاع مني ووجدته مع هذا الرجل فقال القاضي ومتى ضاع منك فقال الكردي

ضاع مني بالامس فقال القاضي ان كنت عرفته فصف لي ما فيه فقال الكردي ان
في جرابي هذا مقودين من لجين واكحالا للعينين ومنديلا لليدين ومشربتين
مذهبتين وشمعدانين ومكنبتين وطبقين وابريقين وصينية وطشتين و
قدرة ودستين ومغرفة ومعلقتين ومسلة ومزودين ومقلمة وعلبتين
وقعبا وقصعتين ومخدة ونطعين وجبة وفروتين وبقرة وعجلتين وعنزا و
شاتين ونعجة وخروفين وقطين ابلقين وجملا وناقتين وبقرة وثورين
ولبوة وسبعين ودبة وثعلبين ومرتبة وسريرين وطبقة وقاعتين ودهليزا
ومقعدين ومطبخا ببابين وجماعة اكراد يشهدون ان الجراب جرابي فقال القاضي
فما تقول انت يا علي فتقدمت يا امير المؤمنين وقد بهتني كلامه فقلت اعز
الله مولانا القاضي انا ما في جرابي الا دويرة خراب واخرى بلا باب ومقصورة
للكلاب وفيه للصبيان كتاب وشباب يلعبون بالكعاب وفيه عساكر و
اطناب ومدينة بصرى وبغداد وقصر كنعان بن شداد وكور وحداد وشبكة
صياد وعصا واوتاد وبنات واولاد والف قواد يشهدون ان الجراب جرابي
فلما سمع الكردي هذا الكلام بكى وانتحب وقال يا سيد القاضي جرابي هذا
معروف وكل ما فيه موصوف في جرابي هذا حصون وقلاع وقرى وضياع
وطابق للصراع ووحوش وضباع ورجال يلعبون الطابة والرقاع وان في جرابي
هذا حجرة ومهرين وفحلا وحصانين ورمحين طويلين وسبعين وارنبين وسكينا
وخنجرين وبحرا وخليجين وكرا وجوختين وعشاري ومركبين وصاري وقنديلين
وكورا ودكانين ومنقلة ونردين وعجوزا وقحبتين وقوادا وشاطرين ومخنثا
وملقين واعمى وبصيرين واعرج ومكسحين وعيارا وازعرين وجامعا ومدرستين
وديرا وكنيستين وقسيسا وشماسين وبتركا وراهبين وقاضيا وشاهدين
يشهدون ان الجراب جرابي فقال القاضي ما تقول انت يا علي فبادرت يا امير
المؤمنين وقد امتلات غيظا وزدت في الحمق وقلت ايد الله مولانا القاضي ان في

جرابي

جرابي هذا زردخانات صفاح وخزائن سلاح والف كبش نطاح في عشرين مراح واربعين كلب نباح وبساتين وكروم عنب وتين وتفاح وصور واشباح وقناني واقداح وعرائس ملاح ومغاني وافراح وهرجا وصياح وعبدا فلاح واخاه نجاح ورفيقه صباح ومعهم سيوف ورماح وقسي ونشاب واصدقاء و احباب وخلان واصحاب ومجلس للعتاب وندمان للشراب وطنبور مع رباب ونايات وقناني مصفوفات وصبيان ودايات واخوان معلمات وبنات مجليات وجواري مغنيات وجاريتان حبشيات وثلاثة هنديات واربعة بدويات و خمسة روميات وستة تركيات وسبعة عجميات وثمانية قفجيات وتسعة كرجيات وعشرة كلبات والدجلة والفرات وشبكة وصياد وقداحة وزناد وارم ذات العماد والف جواد وقصر شداد بن عاد وخانات مع حمامات وقدوم ونجار وخشبة مع مسمار وتاجر مع عطار وبوار مع بيطار وعبد أسود بمزمار ومقدم وركبدار ومدن وامصار وثمانية الف دينار وبواب وكستدار ورأس نوبة وعلم دار والكوفة مع الانبار وعشرون صندوقا ملآنة قماش ودكانان نخاس و حاصلان معاش وبرجان للحمام وغزة وعسقلان ومن دمياط الى اسوان وايوان كسرى وملك سليمان ومن كوش نعمان الى ارض خراسان وبلخ واصبهان و من الهند الى بلاد السودان وفيه اطال الله عمر مولانا القاضي قماش وغلائل وعراضي وموسى يحد ماضي يحلق ذقن مولانا القاضي ان حكم ان الجراب ما هو جرابي فعند ذلك يا امير المؤمنين حار القاضي مما سمع ثم قال اراكما الا شخصين نحسين تلعبان بالقضاة والحكام لان ما وصفا لو اصفون ولا سمع السامعون ما وصفتم في هذا الجراب ما هذا الا بحر ليس له قرار ثم امر القاضي بفتح الجراب ففتحه الكردي فاذا فيه خبز وليمون وجبن وزيتون ثم اني رميت الجراب قدام القاضي والكردي ومضيت الى حال سبيلي فلما سمع امير المؤمنين ذلك ضحك حتى استلقى على قفاه وقد زال همه وغمه واحسن جائزة على العجمي وانصرف والله

اعلم (معن بن زائدة الشيباني) كان من الكرماء يقال فيه حدث عن البحر ولا حرج وكان عاملا بالبصرة فحضر على بابه شاعر واقام مدة يريد الدخول فلم يتهيأ له ذلك فقال يوما لبعض الخدام اذا دخل الامير البستان فعرفني فلما دخل اعلمه بذلك فكتب الشاعر بيتا ونقشه على خشبة والقاها في الماء الذي يدخل البستان وكان معن جالسا على القناة فلما رأى الخشبة اخذها وقرأها فاذا فيها

هذا البيت مكتوب

ايا جود معن ناج معنا بحاجتي	فليس الى معن سواك رسول

فقال من الرجل صاحب هذه فأتي به اليه فقال كيف قلت فانشده البيت فامر له بعشرة بدر فاخذها وانصرف فوضع معن الخشبة تحت بساطه فلما كان في اليوم الثاني اخرجها من تحت البساط ينظر فيها ودعا بالرجل فامر له بمائة الف درهم فلما كان اليوم الثالث فعل مثل ذلك فتفكر الرجل وخاف ان يأخذ منه ما اعطاه فخرج من البلد بما كان معه فلما كان في اليوم الرابع طلب الرجل فلم يوجد فقال معن والله هممت ان اعطيه حتى لا يبقى في بيت مالي درهم ولا دينار الا

اعطيته له وفيه يقول القائل

يقولون معن لا زكاة لماله	وكيف يزكي المال من هو باذله
اذا حال حول لم يجد في دياره	من المال الا ذكره وجمائله
تراه اذا ما جئته متهللا	كأنك تعطيه الذي انت تأمله
هو البحر من اي النواحي أتيته	فلجته المعروف والبر ساحله
تعوّد بسط الكف حتى لو انه	اراد انقباضا لم تطعه أنامله
فلو ان ما في كفه غير نفسه	لجاد بها فليتق الله سائله .

ومن قول معن دعني اهب الاموال حتى اعف الاكرمين عن اللئام ويروى أن معن بن زائدة خرج في جماعة يتصيدون فاعترضهم قطيع ظباء فتفرقوا في طلبه وانفرد معن خلف ظبي فلما ظفر به نزل فذبحه فرأى شخصا مقبلا من البرية

على حمار فركب فرسه فاستقبله فسلم عليه وقال له من اين اتيت قال اتيت من ارض قضاعة وان لى بها ارضا لها عدة سنين وقد اخصبت فى هذه السنة فزرعتها قثاء فطرحت فى غير وقتها فجمعت منها ما استحسنته وقصدت الامير معن بن زائدة لكرمه المشهور ومعروفه المأثور واحسانه المذكور فقال له كم املت منه قال الف دينار فقال له ان قال لك كثير قال خمسمائة دينار قال ان قال لك كثير قال ثلثمائة دينار قال ان قال لك كثير قال مائتي دينار قال ان قال لك كثير قال مائة دينار قال ان قال لك كثير قال خمسين دينار قال ان قال لك كثير قال فلا اقل من ثلاثين قال فان قال لك كثير قال ادخل قوائم حماري فى حر امه وارجع الى اهلى خائبا فضحك معن منه وساق جواده حتى لحق بعسكره ونزل منزله وقال لحاجبه اذا اتاك شيخ على حمار بقثاء فادخل به على فاتى بعد ساعة فلما دخل على الامير معن لم يعرفه لهيبته وجلالته وكثرة خدمه وحشمه وهو متصدر فى دست مملكته والحفدة قيام عن يمينه وشماله وبين يديه فلما سلم عليه قال له الامير معن ما الذى اتى بك يا اخا العرب قال املت الامير واتيته بقثاء فى غير اوانها قال فكم املت فينا قال الف دينار قال كثير قال خمسمائة دينار قال كثير قال ثلثمائة دينار قال كثير قال مائتي دينار قال كثير قال مائة دينار قال كثير قال والله لقد كان ذلك الرجل الذى قابلنى على ميشوم ثم قال خمسين دينارا قال كثير قال فلا اقل من ثلاثين قال فضحك معن وسكت فعلم الاعرابى انه صاحبه فقال يا سيدى ان لم تعطنى الثلاثين فالحمار مربوط بالباب وها انا مع معن جالس فضحك معن حتى استلقى على قفاه ثم استدعى بوكيله وقال اعطه الف دينار وخمسمائة دينار وثلثمائة دينار ومائتي دينار ومائة دينار وخمسين دينارا وثلاثين دينارا ودع الحمار مربوطا مكانه فبهت الاعرابى وتسلم الفى دينار ومائة وثمانين دينارا رحمة الله عليهم اجمعين وقيل كان معن بن زائدة فى بعض صيوده فعطش فلم يجد مع غلمانه ماء فبينما هو كذلك واذا بثلاث جوار قد اقبلن حاملات ثلاث قرب فسقينه فطلب شيئا من المال مع غلمانه فلم يجده فدفع لكل واحدة منهن عشرة اسهم من كنانته نصولها من ذهب فقالت

احداهن ويلكن لم تكن هذه الشمايل الا لمعن بن زائدة فلتقل كل واحدة منكن شيئا من الابيات فقالت الاولى

يركب في السهام نصول تبر	ويرمي للعدا كرما وجودا
فللمرضى علاج من جراح	واكفان لمن سكن اللحودا

(وقالت الثانية)

ومحارب من فرط جود بنانه	عمت مكارمه الاقارب والعدا
صيغت نصول سهامه من عسجد	كي لا يفوته التقارب والندا

(وقالت الثالثة)

ومن جوده يرمي العداة باسهم	من الذهب الابريز صيغت نصولها
لينفقها المجروح عند انقطاعه	ويشتري الاكفان منها قتيلها

وكان مع كرمه صاحب شهامة فمن ذلك انه سعى رجل في افساد دولة المهدي وكان من الكوفة فعلم به فهدر دمه وجعل لمن دل عليه مائة الف درهم فاقام الرجل حينا مختفيا ثم ظهر في مدينة السلام فبينما هو في بعض الشوارع اذ رآه رجل من الكوفة فعرفه فاخذ بجامع طوقه ونادى هذا طلبة امير المؤمنين فبينما الرجل على تلك الحالة وقد اجتمع حوله خلق كثير اذ سمع وقع حوافر الخيل من ورائه فالتفت فاذا هو بمعن بن زائدة فقال يا ابا الوليد اجرني اجارك الله فوقف فقال للرجل الذي تعلق به ماتريد منه قال هذا طلبة امير المؤمنين اهدر دمه وجعل لمن دل عليه مائة الف درهم فقال له معن دعه ثم قال يا غلام اردفه وكر راجعا الى داره فصاح الرجل معن حال بيني وبين من طلبه امير المؤمنين ولم يزل صارخا الى ان اتى قصر المهدي فامر المهدي باحضار معن فاتته الرسل فدعا معن اولاده ومماليكه وقال لا تسلموا الرجل وواحد منكم بعيش ثم سار الى المهدي فدخل وسلم فلم يرد عليه ثم قال يا معن انجير علينا عدونا قال نعم يا امير المؤمنين قال المهدي ونعم ايضا واشتد غضبه فقال معن يا امير المؤمنين بالامس بعثتني الى اليمن





فقدما الجيش فقتلت فی طاعتك فی یوم واحد عشرة الآف رجل ولی مثل هذا ایام كثیرة فما رایتمونی اهلا ان اجیر رجلا واحدا استجار بی ودخل منزلی فسكن غضبه لهذی وقال قد اجرنا من اجرت یا ابا الولید قال معن فان رأی امیر المؤمنین ان یصله بصلة یعلم منها موقع الرضی فان قلب الرجل قد انخلع من صدره خوفا قال قد امرنا له بخمسین الف درهم قال یا امیر المؤمنین ان صلات الخلفاء علی قدر جنایات الرعیة قال قد امرنا له بمائة الف درهم قال عجلها یا امیر المؤمنین فان خیر البر عاجله فاحضر معن الرجل وقال له خذ صلة امیر المؤمنین وقبل یده وایاك ومخالفة خلفاء الله فی ارضه فما كل مرة تسلم الجرة فارسلها الناس مثلا واخذ الرجل المال واستغفر الله انتهی وكان معن لا یغیظ احدا ولا احد یغیظه فقال بعض الشعراء انا اغیظه لكم ولو كان قلبه من حجر فراهنوه علی مائة بعیر ان اغاظه اخذها ولم یغظه دفع مثلها فعمد الرجل فذبحه وسلخه ولبس الجلد مثل الثوب وجعل اللحم من خارج والشعر من داخل والذباب یقع علیه ویقوم ولبس برجلیه نعلین من جلد الجمل وجعل اللحم من خارج والشعر من ناحیة رجلیه وجلس بین یدیه معن علی هذه الصورة المشروحة ومد رجلیه

فی وجهه وقال

اناو الله لا ابدی سلاما	علی معن المسمی بالامیر

فقال له معن السلام لله ان سلمت رددنا علیك وان لم تسلم ما عتبنا علیك فقال الشاعر

ولا انزل بلادا انت فیها	ولو خربت الشام مع الثغور

فقال له البلاد بلاد الله ان نزلت مرحبا بك وان رحلت كان الله فی عونك

فقال الشاعر

وارحل عن بلادك الف شهر	اجذ السیر فی اعلی القفور

فقال له مصحوبا بالسلامة فقال الشاعر

اتذكر اذ قمیصك جلد شاة	واذ نعلاك من جلد البعیر

فقال له اعرف ذلك ولا انكره فقال الشاعر

وتأوی کل مسطبة وسوق | بلا عبد لديك ولا وزير

فقال له ما نسيت ذلك يا اخا العرب فقال الشاعر

ونومك في الشتاء بلا رداء | واكلك دائما خبز الشعير

فقال له الحمد لله على كل حال فقال الشاعر

وفي يمناك عكاز قوي | تذود به الكلاب عن الهرير

فقال له ما خفي عليك خبرها اذ هي كعصا موسى فقال الشاعر

فسبحان الذي اعطاك ملكا | وعلمك القعود على السرير

فقال له بفضل الله لا بفضلك فقال الشاعر

فعجل يا ابن ناقصة بمال | فاني قد عزمت على المسير

فامر له بالف دينار فقال الشاعر

قليل ما امرت به فاني | لأطمع منك بالشيء الكثير

فامر له بالف دينار اخرى فقال الشاعر

فثلث اذ ملكت الملك رزقا | بلا عقل ولا جاه خطير

فامر له بثلثمائة دينار فقال الشاعر

ولا ادب كسبت به المعالي | ولا خلق ولا رأي منير

فامر له باربعمائة دينار فقال الشاعر

فمنك الجود والافضال حقا | وفيض يديك كالبحر الغزير

فامر له بخمسمائة دينار وما زال يطلب منه الزيادة حتى استكمل الف دينار فاخذها وانصرف متعجبا من حلم معن وعدم انتقامه منه ثم قال في نفسه مثل هذا لا ينبغي ان يهجى بل يمدح واغتسل ولبس ثيابه ورجع اليه فسلم عليه ومدحه واعتذر له بان الحامل له على هجوه المائة بعير التي صار الرهن عليها في نظير اغاظته له فامر له بمائة بعير يدفعها في نظير الرهن وبمائة بعير اخرى لنفسه فاخذها

وانصرف والله اعلم

خلاف

خلافة المأمون بن هارون الرشيد واسمه عبد الله

ومما وضع فى بطون الدفاتر * واستحسنته عيون البصائر * ونقلته الاصاغر عن الاكابر * ما رواه خادم امير المؤمنين * قال طلبنى امير المؤمنين المأمون ليلة وقد مضى من الليل ثلثه فقال لى خذ معك فلانا وفلانا وسماهما لى احدهما على بن محمد والآخر دينار الخادم واذهب مسرعا لما اقول لك فانه بلغنى ان شيخا يحضر ليلا الى آثار دور البرامكة وينشد شعرا ويذكرهم ذكرا كثيرا ويندبهم ويبكى عليهم ثم ينصرف فامض انت وعلى ودينار حتى تردوا تلك الخرابات فاستتروا خلف بعض الجدر فاذا رأيتم الشيخ قد جاء وبكى وندب وأنشد أبياتا فأتونى به قال فاخذتهما ومضينا حتى اتينا الخرابات فاذا نحن بغلام قد اتى ومعه بساط وكرسى حديد واذا شيخ قد جاء وله جمال وعليه مهابة ولطف فجلس على الكرسى وجعل يبكى وينتحب

ويقول هذه الابيات

ولما رأيت السيف جندل جعفرا	ونادى مناد للخليفة فى يحيى
بكيت على الدنيا وزاد تأسفى	عليهم وقلت الآن لا تنفع الدنيا

مع ابيات اطالها فلما فرغ قبضنا عليه وقلنا له اجب امير المؤمنين ففزع فزعا شديدا وقال دعونى حتى اوصى بوصية فانى لا اوقن بعدها بحياة ثم تقدم الى بعض الدكاكين واستفتح واخذ ورقة وكتب فيها وصية وسلمها الى غلامه ثم سرنا به فلما مثل بين يدى امير المؤمنين فقال حين رآه من انت وبما استوجبت منك البرامكة ما تفعله فى خرائب دورهم قال الخادم ونحن نستمع فقال يا امير المؤمنين ان للبرامكة ايادى خضرة عندى افتأذن لى احدثك بحالى معهم قال قل فقال يا امير المؤمنين انا المنذر بن المغيرة من اولاد الملوك وقد زالت عنى نعمتى كما تزول عن الرجال فلما ركبنى الدين واحتجت الى بيع ما على رأسى ورأس اهلى وبيتى الذى ولدت فيه اشاروا على بالخروج الى البرامكة فخرجت من دمشق ومعى نيف وثلاثون امرأة وصبيا وصبية وليس معنا ما يباع ولا ما يوهب حتى

دخلنا بغداد ونزلنا فى بعض المساجد فدعوت ببعض ثياب كنت اعددتها لاستنزهها فلبستها وخرجت وتركتهم جياعا لاشئ عندهم ودخلت شوارع بغداد سائلا عن البرامكة فاذا انا بمسجد مزخرف وفى جانبه شيخ باحسن زى وزينة وعلى الباب خادمان وفى الجامع جماعة جلوس فطمعت فى القوم ودخلت المسجد وجلست بين ايديهم وانا اقدم رجلا واؤخر اخرى والعرق يسيل منى لانها لم تكن صناعتى واذا الخادم قد اقبل ودعا القوم فقاموا وانا معهم فدخلوا دار يحيى بن خالد فدخلت معهم واذا يحيى جالس على دكة له وسط بستان فسلمنا وهو يعدنا مائة وواحدا وبين يديه عشرة من ولده واذا بامرد نبت العذار فى خديه قد اقبل من بعض المقاصير وبين يديه مائة خادم متمنطقون فى وسط كل خادم منطقة من ذهب يقرب وزنها من الف مثقال مع كل خادم مجمرة من ذهب فى كل مجمرة قطعة من عود كهيئة الفهر وقد قرن به مثله من العنبر السلطانى فوضعوه بين يدى الغلام وجلس الى جنب يحيى ثم قال للقاضى تكلم وزوج ابنتى عائشة من ابن اخى هذا فخطب القاضى خطبة النكاح وزوجه وشهد اولئك الجماعة واقبلوا علينا بالنثار ببنادق المسك والعنبر فالتقطت والله يا امير المؤمنين ملء كمى ونظرت واذا نحن فى المكان ما بين يحيى والمشايخ وولده و الغلام مائة واثنا عشر واذا بمائة واثنا عشر خادما قد اقبلوا ومع كل خادم صينية من فضة على كل صينية الف دينار فوضعوا بين يدى كل رجل منا صينية فرايت القاضى والمشايخ يضعون الدنانير فى اكمامهم ويجعلون الصوانى تحت آباطهم ويقوم الاول فالاول حتى بقيت وحدى لا اجسر على اخذ الصينية فغمزنى الخادم فجسرت و اخذتها وجعلت الذهب فى كمى والصينية فى يدى وقمت وجعلت التفت الى ورائى مخافة ان امنع من الذهاب فبينما انا كذلك الى ان وصلت الى صحن الدار ويحيى يلاحظنى فقال للخادم ائتنى بهذا الرجل فأتانى فقال مالى اراك تتلفت يمينا وشمالا فقصصت عليه قصتى فقال للخادم ائتنى بولدى موسى فأتاه به فقال له يا بنى هذا رجل غريب فخذه اليك واحفظه بنفسك وبنعمتك فقبض موسى ولده على يدى

وادخلني الى دار من دورہ فاکرمني غاية الاکرام واقمت عندہ يومي وليلتي في الذعيش وانتم سرور فلما اصبح دعا باخيه العباس وقال له الوزير امرني بالعطف على هذا الفتى وقد علمت اشتغالي في بيت امير المؤمنين فاقبضه اليك واكرمه نفعل ذلك واكرمني غاية الاكرام ثم لما كان من الغد تسلمني اخوه احمد ثم لم ازل في ايدي القوم يتداولوني على مدة عشرة ايام لا اعرف خبر عيالي وصبياني افي الاموات هم ام في الاحياء فلما كان اليوم الحادي عشر جاءني خادم ومعه جماعة من الخدم فقالوا اقم فاخرج الى عيالك بسلام فقلت واويلاه سلبت الدنانير والصينية واخرج على هذه الحالة انا لله وانا اليه راجعون فرفع الستر الاول ثم الثاني ثم الثالث ثم الرابع فلما رفع الخادم الستر الاخير قال لي مهما كان لك من الحوائج فارفعها الي فاني مامور بقضاء جميع ما تامرني به فلما رفع الستر الاخير رايت حجرة كالشمس حسنا ونورا واستقبلني منها رائحة الند والعود ونفحات المسك واذا بصبياني وعيالي يتقلبون في الحرير والديباج وحمل الي مائة الف درهم وعشرة آلاف دينار ومنشور بضيعتين وتلك الصينية التي كنت اخذتها بما فيها من الدنانير والبنادق واقمت يا امير المؤمنين مع البرامكة في دورهم ثلاث عشرة سنة لا يعلم الناس امن البرامكة انا ام رجل غريب فلما جاءتهم البلية ونزل بهم يا امير المؤمنين من الرشيد ما نزل اجحفني عمرو بن مسعدة والزمني في هاتين الضيعتين من الخراج مالا في دخلهما به فلما تحامل على الدهر كنت في آخر الليل اقصد خرابات دورهم فاندبهم واذكر حسن صنعهم الي وابكي على احسانهم فقال المامون علي بعمرو بن مسعدة فلما اتى به قال له تعرف هذا الرجل قال يا امير المؤمنين هو بعض صنائع البرامكة قال كم الزمته في ضيعته قال كذا وكذا فقال له رد اليه كلما اخذته منه في مدته وافرغهما له ليكونا له ولعقبه من بعده قال فعلا نحيب الرجل فلما راى المامون كثرة بكائه قال له يا هذا قد احسنا اليك فما يبكيك قال يا امير المؤمنين وهذا ايضا من صنيع البرامكة لو لم آت خراباتهم فابكيهم واندبهم حتى اتصل خبري الى امير المؤمنين ففعل

بى ما فعل من اين كنت اصل الى امير المومنين قال ابراهيم بن ميمون فرايت المأمون وقد دمعت عيناه وظهر عليه حزنه وقال لعمرى هذا من صنائع البرامكة فعليهم فابك واياهم فاشكر ولهم فأوف ولاحسانهم فاذكر انتهى قال اسحاق دخلت يوما على المأمون فى زمن الورد فقال لى يا اسحاق هل قلت شيئا فى الورد قلت اقول بسعادة امير المؤمنين وفكرت ساعة فلم تسمح قريحتى فى ذلك الوقت بشئ فخرجت من عنده وبقيت ليلتى ساهرا متفكرا فلم يفتح لى بشئ فلما اصبحت غدوت الى دار الخلافة واذا غلام الفضل بن مروان على باب المأمون ومعه سبع وردات على صينية فضة ينتظر الاذن فى الدخول بها عليه فسألته المهلة بها قليلا فامتنع فسألته ثانيا وقلت امهل قليلا ولك بكل وردة دينار فلما اجاب الى ذلك فدفعت له سبعة دنانير واحببت ان لا يصل اليه الورد قبل وصول الشعر وخرجت اقصد الازقة لعلى اسمع شيئا من احد وينبعث خاطرى ولو بيت واحد فبينما انا كذلك واذا انا برجل يغربل التراب وهو ينشد ويقول

اشرب على ورد الخدود فانه	اذهى وابهى فالصبوح يطيب
ما الورد احسن من تورد وجنة	حمراء جاد بها عليك حبيب
صبغ المدام بياضها فكانه	ذهب بقالب فضة مضروب

فلما سمعته نزلت عن دابتى ودخلت مسجدا بالقرب منه وطلبته فلما اقبل سألته ان يمليها على فابى وقال ان اردت فاعطنى بكل بيت عشرة دنانير فدفعتها له واستمليتها منه ثم عدت انا وغلام الفضل بن مروان واذا بالمأمون يشرب من وراء الستارة فلما جيبت العود قال لجواريه اسكتن فقد جاء اسحاق فقدم ذلك الورد بين يديه وأنشدت الابيات فسمعت التشهيق والنغم من وراء الستارة ثم اخرج الى بدرة فيها عشرة آلاف درهم فاعدت الابيات فاخرج الى بدرة اخرى فاعدت الثالثة فاخرج الى بدرة ثالثة فاخذت فى غير الشعر فخرج الى خادم وقال يقول لك امير المؤمنين لو دمت على انشادك لدمنا على البدرة ولو الى الليل

انتهى من حلبة الكميت (ويحكى) عن العباس صاحب شرطة المأمون قال
دخلت الى مجلس امير المؤمنين ببغداد يوما وبين يديه رجل مكبل بالحديد
فقال لي يا عباس قلت لبيك يا امير المؤمنين قال خذ هذا اليك فاستوثق
به واحتفظ عليه وبكر به الي في غد واحترز عليه كل الاحتراز قال العباس فدعوت
جماعة حملوه ولم يقدروا ان يتحرك فقلت في نفسي مع هذه الوصية التي اوصاني بها
امير المؤمنين من الاحتفاظ به ما يجب الا ان يكون معي في بيتي فلما تركوه في
داري اخذت اسأله عن قضيته وحاله ومن هو فقال انا من دمشق فقلت جزى الله
دمشق واهلها خيرا فمن انت من اهلها فقال وعمن تسأل وقلت او تعرف
فلانا قال لي ومن اين تعرف ذلك الرجل فقلت له وقعت لي معه قضية فقال ما
كنت بالذي اعرفك خبره حتى تعرفني قضيتك معه فقلت ويحك كنت مع بعض
الولاة بدمشق فبغى اهلها وقد خرجوا علينا حتى ان الوالي خرج في زنبيل
من قصر الحجاج وهرب هو واصحابه وهربت في جملة القوم فبينما انا هارب
في بعض الدور واذا الجماعة يعدون فما زلت اعدو امامهم حتى تجاوزتهم
ومررت بهذا الرجل الذي ذكرته لك وهو جالس على باب داره فقلت يا هذا
اغثني اغاثك الله قال لا بأس عليك ادخل الدار فدخلت فقالت لي زوجته ادخل
تلك المقصورة فدخلتها ووقف الرجل على باب الدار فما شعرت الا وقد دخل والرجال
معه يقولون هو والله عندك فقال دونكم الدار ففتشوها حتى لم يبق سوى
تلك المقصورة وامرأته بها فقالوا ها هو هنا فصاحت بهم المرأة ونهرتهم فانصرفوا
وخرج الرجل وجلس على باب داره ساعة وانا قائم ارجف ما تحملني رجلاي
من شدة الخوف فقالت المرأة اجلس لا بأس عليك فجلست فلم البث حتى
دخل الرجل فقال لا تخف فقد صرف الله عنك شرهم وصرت الى الامن والدعة
ان شاء الله تعالى فقلت جزاك الله خيرا فما زال يعاشرني احسن معاشرة
واجملها وافرد لي مكانا من داره ولم يحوجني الى شيء ولم يفتر عن تفقد احوالي

فاقمت عنده اربعة اشهر فی انعم عیش وارغده الی ان سکنت الفتنة وهدأت وزال اثرها فقلت له اتأذن لی فی خروج حتی اتفقد حال غلمانی فلعلی اقف منهم علی خبر فاخذ علی المواثیق بالرجوع الیه فخرجت وطلبت غلمانی فلم ار لهم اثرا فرجعت الیه واعلمته بالخبر وهو مع هذا کله لا یعرفنی ولا یعرف من انا فقال لی علام تعزم فقلت عزمت علی التوجه الی بغداد فقال ان القافلة بعد ثلاثة ایام تخرج فقلت له انک قد تفضلت علی هذه المدة ولک علی عهد الله اننی لا انسی لک هذا الفضل ولا وفینک مهما استطعت قال فدعا بغلام اسود وقال له انعل الفرس لفلانی ثم جهز آلة السفر فقلت فی نفسی ما اشک انه یرید ان یخرج الی ضیعة له او ناحیة من النواحی فاقاموا یومهم ذلک فی کد وتعب فلما کان یوم خروج القافلة جاء فی السحر فقال یا فلان قم فان القافلة تخرج الساعة واکره ان تنفرد عنها فقلت فی نفسی کیف اصنع ولیس معی ما اتزود به ولا ما اکری به مرکبا ثم قمت فاذا هو وامرأته یحملان بقجة من افخر اللباس وخفین جدیدین وآلة السفر ثم جاءنی بسیف ومنطقة فشدهما فی وسطی ثم قدم لی غلاما وعلی کتفه صرتان وفوقهما مرتبة السفر وسجادة من افخر ما یکون واعلمنی بما فی الصرتین انه خمسة آلاف درهم وشد لی الفرس الذی انعله بسرج ولجامه وقال لی ارکب وهذا الغلام الاسود یخدمک ویسوس مرکوبک واقبل هو وامرأته یعتذران الی من التقصیر فی امری ورکب معی من یشیعنی وانصرفت الی بغداد وانا اتوقع خبره لانی بعهدی له فی مجازاته ومکافاته واشتغلت مع امیر المؤمنین فلم اقدر اتفرغ الی ان ارسل الیه من یکشف خبره فلهذا اسأل عنه فلما سمع الرجل الحدیث قال قد امکنک الله من الوفاء له ومکافاته علی فعله ومجازاته علی صنعه بلا کلفة علیک ولا مؤنة تلزمک فقلت وکیف ذلک قال انا ذلک الرجل واما الضر الذی انا فیه فقد غیر علیک حالی وما کنت تعرفه منی ثم لم یزل یذکر لی تفاصیل الاسباب حتی اثبت معرفته فما تمالکت ان قمت فقبلت رأسه ثم قلت له فما الذی صیرک الی ما اری

قال

قال هاجت بدمشق فتنة مثل الفتنة التي كانت في ايامك فنسبت الي وبعث
امير المؤمنين بجيوش فاصلحوا البلد فاخذت انا وضربت الى ان اشرفت على
الموت وقيدت وبعث بي الى امير المؤمنين وامري عنده عظيم وهو قاتلي لا محالة
وقد اخرجت من عند اهلي بلا وصية وقد تبعني من ينصرف اليهم بخبري وهو نازل
عند فلان فان رايت ان تجعل من مكافاتك لي ان ترسل من يحضره لي حتى اوصيه
بما اريد فان انت فعلت ذلك فقد جاوزت حد المكافاة وقمت بوفاء عهدك
قال العباس فقلت يصنع الله خيرا ثم احضر حدادا في الليل ففك قيوده وازال ما كان
عليه من الانكال وادخله حمام داره والبسه من الثياب ما احتاج اليه ثم سير من
احضر اليه غلامه فلما رآه جعل يبكي ويوصيه فاستدعى العباس نائبه وقال
علي بفرس الفلاني والبغل الفلاني والبغلة الفلانية حتى عد عشرة ثم عشرة
من الصناديق ومن الكسوة كذا وكذا قال ذلك الرجل واحضر لي بدرة فيها عشرة
آلاف درهم وكيسا فيه خمسة آلاف دينار وقال لعامله في الشرطة خذ هذا الرجل
وشيعه الى حد الانبار فقال له ان ذنبي عظيم عند امير المؤمنين وخطبي جسيم
وان انت احتججت باني هربت بعث امير المؤمنين في طلبي كل من على بابه فارد
فاقتل فقال انج بنفسك ودعني ودبر امري فقال والله لا ابرح من بغداد حتى اعلم
ما يكون من خبرك فان احتجت الى حضوري حضرت فقال لصاحب الشرطة ان كان
الامر على ما يقول فليكن في موضع كذا وكذا فان انا سلمت في غداة غد اعلمته وان
انا قتلت وقيته بنفسي كما وقاني بنفسه وانشدك الله ان لا يذهب من ماله درهم
وتجتهد في اخراجه من بغداد قال الرجل فاخذني صاحب الشرطة وصيرني في مكان
يثق به وتفرغ العباس لنفسه وتحنط وجهز له كفنا قال العباس فلم افرغ من صلاة
الصبح الا ورسل المامون في طلبي يقولون يقول لك امير المؤمنين هات الرجل
معك وقم قال فتوجهت الى دار امير المؤمنين واذا هو جالس وعليه كآبة فقال
اين الرجل فسكت فقال ويحك اين الرجل فسكت فقال ويحك اين الرجل فقلت

يا امير المؤمنين اسمع مني ما اقول فقال لله علي عهد لئن ذكرت انه هرب لاضربن عنقك فقلت لا والله يا امير المؤمنين انه ما هرب ولكن اسمع حديثي معه وحديثه ثم شأنك وما تريد تفعله في امري قال قل فقلت يا امير المؤمنين كان من حديثي معه كيت وكيت وقصصت عليه القصه جميعها وعرفته اني اريد ان افي له واكافئه على ما فعل معي وقلت انا وسيدي ومولاي امير المؤمنين بين امرين اما ان يصفح عني وقد وفيت وكافأت واما ان يقتلني فاقيه بنفسي وقد تحنطت وها كفني يا امير المؤمنين فلما سمع المامون الحديث قال ويلك لا جزاك الله خيرا عن نفسك انه فعل بك ما فعل من غير معرفة وتكافئه بعد المعرفة والعهد بهذا لا غير لا عرفتني خبره فكنت اكافئه عنك ولا اقصر به في لم فقلت يا امير المؤمنين انه هاهنا وقد حلف انه لا يبرح حتى يعرف سلامتي فان احتجت الى حضوره حضر فقال المأمون وهذه منه اعظم من الاولى اذهب الآن فطيب نفسه وسكن روعه وائتني به حتى اتولى مكافأته عنك قال فاتيت اليه وقلت ليزل عنك حزنك ان امير المؤمنين قال كيت وكيت فقال الحمد لله الذي لا يحمد على السراء والضراء احد سواه ثم قام فصلى ركعتين ثم اتيت به الى امير المؤمنين فلما مثل بين يديه اقبل عليه وادنى مجلسه وحدثه حتى حضر الغداء واكل معه وخلع عليه وعرض عليه اعمال دمشق فاستعفى عنها فامر له المأمون بعشرة افراس بسروجها ولجمها وعشرة ابغال بآلاتها وعشرة بدر وعشرة آلاف دينار وعشرة مماليك بدوابهم وكتب الى عامله بدمشق بالوصية به واطلق خراجه وامر بكاتبته باحوال دمشق فصارت كتبه تصل الى المأمون وكلما وصلت خريطة البريد وفيها كتابة يقول لي يا عباس هذا كتاب صديقك والله اعلم (ويحكى) عن اسحاق الموصلي انه قال خرجت ليلة من عند المأمون متوجها الى بيتي فاحسست بالبول فعمدت الى زقاق وقمت لا تمسح بالحيطان واذا بزنبيل كبير باربعة آذان ملبس ديباجا

فقلت ان لهذا سببا وبقيت متحيرا فى امره فحملنى السكر وقال لى اجلس فيه فجلست فلما احس بى الذين كانوا يرقبونه جذبوه الى رأس الحائط فاذا انا باربع جوار يقلن لى انزل بالرحب والسعة ومشت بين يدى جارية بشمعة حتى نزلت الى دار ومجالس مفروشة لم ار مثلها الا فى دار الخلافة فجلست فما شعرت بعد ساعة الا بستور قد رفعت فى ناحية من الجدر واذا بوصائف يتمشين وفى ايديهن الشمع وبعض مجامر يحرق فيهن العود بينهن جارية كانها البدر الطالع فنهضت وقالت مرحبا بك من زائر وجلست ثم سألتنى عن خبرى فقلت انصرفت من عند بعض اخوانى وغرنى الوقت وحرقنى البول فعمدت الى هذا الزقاق فوجدت زنبيلا معلقا فحملنى السكر على ان جلست فيه فان كان خطأ فالنبيذ اكسبنيه قالت لا ضير وارجو ان تحمد عاقبة امرك ثم قالت فما صناعتك قلت بزاز ببغداد فقالت هل رويت من الاشعار شيئا (قليلا شيئا) ضعيفا قالت فذاكرنا شيئا قلت ان للداخل حشمة ولكن تبدئين انت قالت صدقت فانشدتنى شعر الجماعة من القدماء والمحدثين من اجود اقاويلهم وانا مستمع لا ادرى مم اعجب من حسنها ام من حسن روايتها ثم قالت اذهب ما كان منك من الحصر قلت اى والله قالت فان رأيت ان تنشدنا فانشدتها شيئا للجماعة من القدماء ما فيه مقنع فاستحسنت ذلك ثم قالت والله ما ظننت ان يوجد فى ابناء السوقة هذا ثم امرت بالطعام فاحضر فجعلت تقطع وتضع قدامى وفى المجلس من صنوف الرياحين وغريب الفواكه ما لا يكون الا عند سلطان ودعت بالشراب فشربت قدحا ثم ناولتنى قدحا ثم قالت هذا اوان المذاكرة والاخبار فاندفعت اذاكرها وقلت بلغنى انه كذا وكذا وكان رجل يقال له كذا حتى اتيت على عدة اخبار حسان فسرت بذلك وقالت كثر تعجبى ان يكون احد من التجار يحفظ مثل هذا وانما هذه احاديث ملوك فقلت كان لى جار يحادث الملوك وينادمهم واذا تعطل حضرت معه فربما حدثنى بما سمعت فقالت لعمرى لقد احسنت الحفظ وما هذه الا قريحة جيدة واخذنا

فی المذاکرة اذا سکتت ابتدأت انا حتی قطعنا اکثر اللیل و بخور العود یعبق و انا فی حالة لو توهمها المأمون لطار شوقا الیها فقالت انك من اظرف الرجال و ضوء الوجه بارع فی الادب و ما بقی الا شئ واحد قلت و ما هو قالت لو کنت تترنم ببعض الاشعار قلت والله لقد کنت بما کنت الفت به و لم ارزقه و اعرضت عنه و فی قلبی منه حرارة و کنت احب فی مثل هذا المجلس شیئا منه لتکمل لیلتی قالت کانك عرضت فقلت والله ما هو تعریض قد بدأتی بالفضل و انت جدیر علی ذلك فامرت بعود فحضر بصوت ما سمعت بحسنه مع حسن ادبها و جودة الضرب بالکمال الراجح ثم قالت هل تعرف هذا الصوت و من غنی به قلت لا قالت الشعر لفلان و المغنی لاسحاق هذا اجعلت فداك بهذه الصفة قالت بخ بخ اسحاق بارع هذا الشان فقلت سبحان الله اعطی هذا الرجل ما لم یعطه احد قالت فکیف لو سمعت هذا الصوت منه ثم لم نزل علی ذلك حتی اذا کان الفجر اقبلت عجوز کانها دایة لها و قالت ان الوقت قد حضر فنهضت عند قولها فقالت لتستر ما کنا فیه فان المجلس فی الامانات قلت جعلت فداك لم اکن احتاج الی وصیة فی ذلك فودعتها و جاریة بین یدی الی باب الدار ففتح لی فخرجت الی داری فصلیت الصبح و نمت فاتانی رسول المأمون الی فسرت الیه و اقمت عنده نهاری فلما کان العشاء تفکرت ما کنت فیه البارحة و هذا شئ لا یصبر عنه الا جاهل فخرجت و جئت الی الزنبیل فوجدته علی عادته فجلست فیه و رفعت الی موضع البارحة و اذا هی قد طلعت فقالت لقد عاودت فقلت و لا اظن الا انی قد ثقلت و اخذنا فی المحادثة مثل تلك اللیلة السالفة فی المذاکرة و المناشدة و غریب الغناء منها الی الفجر فانصرفت الی منزلی فصلیت الصبح و نمت فاتانی رسول امیر المؤمنین الی فمضیت الیه و اقمت نهاری عنده فلما کانت العشیة توجه الی خطایاه و قال اقسمت علیك لتجلس حتی اجئ و احضر فما کان حتی ان غاب و جالت و ساوسی فلما تذکرت ما کنت فیه هان علی ما یخشی من امیر المؤمنین فوثبت مبادرا و خرجت جاریا حتی اتیت الزنبیل فجلست فیه

فرغت الى مجلسي فقالت صدقنا قلت اي والله قالت اجعلها دار اقامة قلت جعلت فداك حق الضيافة ثلاثة ايام فان رجعت بعد ذلك فانتم في حل من دمي ثم جلسنا على تلك الحال فلما قرب الوقت علمت بان المأمون لابد ان يسألني فلا يقنع الا بشرح القصة فقلت لها اراك ممن يعجب بالغناء ولي ابن عم احسن مني وجها واظرف قدا واكثر ادبا واطيب رجا وهو اعرف خلق الله بغناء اسحاق فقالت طفيلي ومقترح قلت لها انت المحكمة ثم قالت ان كان ابن عمك على ما تصف فما نكره معرفته ثم جاء الوقت فنهضت وقمت وذهبت فلم اصل الى داري الا ورسل المأمون قد هجموا علي وحملوني حملا عنيفا فوجدته قاعدا على كرسي وهو مغتاظ مني فقال يا اسحاق اخروجا عن الطاعة قلت لا والله قال فما قصتك اصدقني قلت نعم في خلوة فاومأ الى من بين يديه فتنحوا فحدثته الحديث وقلت له وعدتها بك قال احسنت فاخذ نافي لذتنا ذلك اليوم والمأمون معلق القلب بها فما صدقنا ان جاء الوقت وسرنا وانا اوصيه واقول له تجنب واحذر ان تناديني باسمي قدامها وبحضرتها وغنا وانا لك تبع وهو يقول نعم ثم سرنا الى عند الزنبيل فوجدناهما اثنين فقعد نافيهما ورفعنا الى الموضع المعهود فحضرت واقبلت وسلمت فلما رآها المأمون بهت في حسنها وجمالها واخذت تذاكره وتناشده الاشعار ثم احضرت النبيذ فشربنا وهي مقبلة عليه مسرورة به وهو اكثر فاخذت العود وغنت صوتا ثم قالت وابن عمك هذا من التجار واشارت الى قلت نعم قالت والله انكما لقريبان فلما شرب المأمون ثلاثة ارطال داخله الفرح والطرب فصاح وقال يا اسحاق قلت لبيك يا امير المؤمنين قال غن هذا الصوت فلما علمت انه الخليفة نهضت الى مكان فدخلته فلما فرغت من الصوت قال انظر من رب هذه الدار فبادرت العجوز وقالت للحسن بن سهل فقال علي به فغابت العجوز ساعة واذا الحسن قد حضر فقال له المأمون الك ابنة قال نعم قال ما اسمها قال بوران قال امتزوجة قال لا والله قال فاني اخطبها منك قال هي جاريتك وامرها اليك قال قد تزوجتها على نقد ثلاثين الفا

تحمل اليك صبيحة يومنا هذا فاذا اقبضت المال فاحملها الينا من ليلتنا قال نعم ثم خرجنا فقال يا اسحاق لا توقف على هذا الحديث احدا فسترته الى ان مات المامون فما اجتمع لاحد مثل ما اجتمع لي في تلك الاربعة ايام مجالسة المامون بالنهار وبوران بالليل والله ما رايت احدا من الرجال مثل المامون ولا شاهدت امراة تقارب بوران فهما وعقلا والله تعالى اعلم اهـ من حلبة الكميت (وقيل كان المامون يوما ياكل مع ابيه الرشيد فلما فرغ جعلت جارية تصب الماء على يد الرشيد فنظر اليها المامون واشار اليها كانه يقبلها فانكرت ذلك منه بعينها وابطأت في الصب بقدر النظر الى المامون فقال لها الرشيد لاى شئ صغى الابريق في يدك فوالله لئن لم تصدقيني الحق لاضربن عنقك فقالت يا سيدى نظر الى عبد الله المامون واشار الى كانه يقبلني فانكرت ذلك بعيني فنظر الرشيد الى المامون فسقط مغشيا عليه كانه ميت مما داخله من الخوف والفزع فاخذه وضمه الى صدره وقال له يا عبد الله اتحبها قال اى والله يا امير المؤمنين فقال له هي لك خذ بيدها وادخل بها الى هذه القبة قال ففعل فلما خرج الى الرشيد قال له هل قلت في هذا شيئا قال نعم يا امير المؤمنين ثم انشد يقول

ظبي كنيت بطرفي	عن الضمير اليه
قبلته من بعيد	فاعتل من شفتيه
ورد اخبث رد	بالكسر من حاجبيه
فما برحت مكاني	حتى قدرت عليه

(وعن ابى عبد الله النميرى) انه قال كنت يوما مع المامون وكان بالكوفة فركب للصيد ومعه سرية من العسكر فبينما هو سائر اذ لاحت له طريدة فاطلق عنان فرسه وكان على سابق من الخيل فاشرف على نهر من ماء بحر الفرات فاذا هو بجارية عربية خماسية القد قائمة النهد كانها القمر ليلة تمامه وبيدها قربة قد ملأتها من النهر ورفعتها على كتفها وصعدت من حافة النهر فانحل

وكاؤها فصاحت برفيع صوتها يا ابت ادرك فاها قد غلبني فوها لا طاقة لي بفيها
قال فعجب المأمون من فصاحتها ورمت القربة من يدها فقال لها المأمون يا جارية
من اي العرب انت فقالت انا من بني كلاب قال وما حملك ان تكوني من الكلاب
قالت والله لست من الكلاب وانما انا من قوم كرام غير لئام يقرون الضيف ويضربون
بالسيف ثم قالت يا فتى من اي الناس انت قال اوعندك علم بالانساب قالت نعم
قال من مضر الحمراء قالت من اي مضر قال من اكرمها نسبا واعظمها حسبا وخيرها
اما وابا ممن تهابه مضر وتخشاه قالت اظنك من كنانة قال انا من كنانة قالت من اي كنانة قال
من اكرمها مولدا واشرفها محتدا واكرمها في المكرمات يدا ممن تهابه كنانة وتخشاه
قالت والله انت من بني هاشم قال انا من هاشم قالت من اي هاشم قال من اعلاها
منزلة واشرفها قبيلة ممن تهابه هاشم وتخشاه قال فعند ذلك قبلت الارض و
قالت السلام عليك يا امير المؤمنين وخليفة رسول رب العالمين قال فعجب
المأمون منها وطرب طربا شديدا ثم قال لاتزوجن بها لانها من اكبر الغنائم و
وقف حتى تلاحقته العسكر فنزل وارسل خلف ابيها وخطبها منه فزوجه بها وهي
والدة العباس والله اعلم (ومن محاسن الاخلاق) ما حكي عن القاضي يحيى بن
اكثم قال كنت نائما ذات ليلة عند المأمون فعطش فامتنع ان يصيح لغلام يسقيه
وانا نائم فينغص على نومي فرايته وقد قام يمشي على اطراف اصابعه حتى اتى موضع
الماء وكان بينه وبين الماء نحو ثلثمائة خطوة ثم رجع يمشي على اطراف اصابعه
حتى وصل الى الفراش الذي انا عليه فخطى خطوات لطيفة لئلا ينبهني حتى وصل
الى فراشه ثم رايته آخر الليل وقد قام يبول فقعد طويلا يحاول ان انحرك فيصيح
للغلام فلما تحركت وثب قائما وصاح بالغلام واهب للصلاة ثم جاءني وقال
كيف اصبحت يا ابا محمد وكيف مبيتك قلت خير مبيت جعلني الله فداك قال لقد
استيقظت للصلاة فكرهت ان اصيح للغلام فازعجك فقلت يا امير المؤمنين
لقد خصك الله باخلاق الانبياء عليهم السلام ووهب لك سيرتهم فهناك الله

بهذه النعمة وانتها عليك فامر لي بالف دينار وانصرفت (وحدث سليمان الوراق
قال ما رايت اعظم حلما من المأمون دخلت عليه يوما وفي يده فص مستطيل من
ياقوت احمر له شعاع قد اضاء له المجلس وهو يقلبه بيده ويستحسنه ثم دعا برجل
صائغ وقال له اصنع بهذا الفص كذا وكذا واحلل فيه كذا وكذا وعرفه كيف
يعمل به فاخذه الصائغ وانصرف ثم عدت الى المأمون بعد ثلاث فتذكره
فاستدعى بالصائغ فاتى به وهو يرعد وقد انتقع لونه فقال المأمون ما
فعلت بالفص فتلجلج الرجل ولم ينطق بكلام ففهم المأمون بالفراسة انه
حصل فيه خلل فولى وجهه عنه حتى سكن جأشه ثم التفت اليه واعاد القول
فقال الامان يا امير المؤمنين قال لك الامان فاخرج الفص اربع قطع وقال يا امير
المؤمنين سقط من يدي على السندال فصار كما ترى فقال المأمون لا باس
عليك اصنع به اربع خواتم والطف له في الكلام حتى ظننت انه كان يشتهي الفص
على اربع قطع فلما خرج الرجل من عنده قال اتدرون كم قيمة هذا الفص قلنا لا
قال اشتراه الرشيد بمائة الف وعشرين الفا انتهى (ومن حلمه ايضا) قال يحيى
كنت انا والمأمون يوما في بستان ندور فيه فمشينا في البستان من اوله الى
آخره وكنت مما يلي الشمس والمأمون مما يلي الظل فكان يجذبني ان اكون في الظل
وهو في الشمس فامتنع من ذلك حتى اذا رجعنا قال لي والله يا يحيى لتكونن في
مكاني ولاكونن في مكانك حتى اخذ نصيبي من الشمس كما اخذت نصيبك
منها فقلت والله يا امير المؤمنين لو قدرت ان اقيك من هول المطلع لفعلت
ولم يزل بي حتى تحولت الى الظل وتحول هو الى الشمس ووضع يده على عاتقي وقال
بحياتي عليك الا ما وضعت يدك على عاتقي مثل ما فعلت فانه لاخير في صحبة
من لا ينصف (ومن حلمه ايضا) انه كان له خادم يسرق طاساته التي يتوضأ فيها
فقال له المأمون اذا سرقت شيئا فأتني بما تسرقه فاشتريه منك فقال له الخادم
اشتر مني هذه واشار الى التي بين يديه فقال بكم قال بدينارين قال على شرط

انك

انك لا تسرقها قال نعم فاعطاه دينارين فلم يعد الخادم يسرق بعدها شيئا لما رأى من حلمه والله اعلم (وروى) بعض اهل الادب ان فتى من اهل الكوفة قد فاق اهل زمانه فى الادب والبيان والفصاحة باللسان ناقدا فى صناعته حافظا للاقدار راويا للاشعار خبيرا بسير الملوك فى الايام السالفة بصيرا بالبحث عن امورهم فى الايام الآنفة حاذقا فى التصنيف متفننا فى التأليف صبيح الوجه مقبول المشاهد حلو الشمايل وكان مع ذلك لا يتوجه له وجه من العمل الا عارضه فيه عائق وحال دونه حائل وقد رسابق فبقى حينا من الدهر وقد برز فى القدر والمال والجاه من كان عنده فى الصناعة متاخرا فضاق صدره وعيل صبره وضلت مقاليده فخرج الى بغداد واكترى فى بعض خاناتها منزلا واجمع رايه على ان يحمل نفسه على خطب هائل ليكون فيه هلكة او ملكة وتربص لذلك الى ان يرى وجها الى ان عزم امير المؤمنين المأمون ان يشرب يوما هو وصنوه المعتصم فامر المأمون بالاستعداد ليوم سماه ليخلو فيه مع الجوارى منفردين عن سائر الندماء فظهر خبرهما بذلك وعرف الناس ذلك اليوم الذى عزما عليه فعزم هذا الاديب المذكور على ان يتطفل فى ذلك على المأمون واخيه المعتصم فمضى الى اخوانه واصدقائه فاستعار من هذا قباء وجبة وزردية ومن آخر منطقة وخفا وسيفا ومن آخر برذونا ومن آخر ما يحتاج اليه من الطيب واستعد لذلك اليوم ودخل الحمام سحرا وتطيب ولبس وركب عند طلوع الشمس الى دار المعتصم وقال للحاجب عرف الامير انى رسول امير المؤمنين واستاذن لى عليه فسعى الحاجب عدوا حتى اخبر المعتصم فاذن له فلما دخل عليه وتمثل بين يديه قال له ياسيدى ان امير المؤمنين يقرئك السلام ويقول لك انسيت الوعد المتقدم اليك بالركوب لنخلو ونستريح يومنا هذا قال المعتصم لا والله ما نسيت ذلك ولكن تربصت ساعة ونمت نومة لاتقوى بذلك على انتصاب سائر النهار فقال الفتى فعجل الآن ايها الامير فانه امرنى ان لا افارقك حتى آتيه بك وامر المعتصم باسراج

مركوبه واسرع فى التأهب ولبس ثيابه وتطيب وركب وركب الفتى معه والمعتصم لاينكر
شيئا من كلام الفتى ويتأمل للطافته وهيئته ولم يتوهم الا انه من بعض خواص
المأمون واخذ الفتى يحدث المعتصم واقبل عليه بكليته ولم يتمكن من سؤاله
شهوة لاستماع حديثه حتى بلغ باب الخليفة فالقى الفتى نفسه عن دابته واخذ يمشى
بين يديه والحجاب لاينكرون منه شيئا ويظنون انه من خدم المعتصم حتى نزل
المعتصم واخذ الفتى بركابه ودخل المجلس فلما استقر المعتصم فى مجلسه جلس الفتى
بين يديه وهو منهمك فى نوادره واخباره والمعتصم مصغ اليه تعجبا مما يسمع من
حسن كلامه واخبر المأمون ان المعتصم قد وصل ومعه رفيق لايعرف من هو فقال
المأمون اخى قد عرف ان هذا المجلس اتفقنا عليه لاينبغى ان يحضره احد من الناس
الا من هو عديل النفس وقد احسن اخى اذ جعل لنا ثالثا فان المجلس اذا لم يحضره
اكثر من اثنين تعطل لقيام احدهما الى الصلاة والى ما بد منه ثم خرج من ساعته
فرحا وليس له همة الا تصفح وجه الغلام واستنطاقه واعتبار قدره وعقله فلما
استقر على سرير ملكه والفتى عالم بما وقع فى نفس المأمون نهض قائما فقبل
يد المأمون وعاد الى مجلسه واخذ فى نوادره وحديثه ومضحكاته وحسن
اخباره وغرايب اشعاره كانه يغرف من بحر وهو مع ذلك يوهم المأمون انه من
خواص المعتصم فساعة يكنيه وساعة يسميه حتى غلب على قلب المأمون واظهر
الحسد لاخيه فى صحبة مثل هذا الغلام وكلامه وامر المأمون باحضار المائدة
فنصبت بانواع الطعام فاكلوا وغسلوا ايديهم ولمجلس الشراب انتقلوا وامر المأمون
باحضار الجوارى من غير ستارة فحضرن واخذن فى الغناء فما من صوت يمر الا و
الفتى عارف به وبالمغنى ومتى قيل وفيمن قيل فعز فى عين المأمون حتى
ملاء عينه وتزايد حسده لاخيه فى صحبة مثله فسال الفتى بول ولم يجد للمدافعة
سبيلا فقام وهو متيقن انهما سيذكرانه ويتواصفان امره وحاله اذا خلا
المجلس فما هو الا ان غاب من بين ايديهما حتى قال المأمون لاخيه المعتصم يا ابا

نسخة: وانما

اسحاق من صاحبك هذا فوالله ما رأيت رجلا قط اكثر منه ادبا ولا الطف هيئة
ولا اشرف من شمايله فقال المعتصم والله ما اعلم من هو وانه جاء في مبكرا برسالة
امير المؤمنين فقال المأمون سألتك بالله يا اخي اهو كذلك فقال اي والله الذي
لا اله الا هو فقال المأمون طفيلي ورب الكعبة وغضب وامر الجواري بالنهوض
فنهضن واقبل الفتى راجعا فلما نظر الى خلو المجلس من الجواري والى تغير وجه
المأمون وقف على رأس المجلس واقبل بوجهه على المعتصم وقال يا ابا اسحاق كاني
بك قد اخذت في نوع الزور والبهتان وهذا المجلس من المجالس التي لا تحتمل المزاح وما
هكذا وعدتني ثم قال والله يا امير المؤمنين ما بليت من احد من الناس مثل ما بليت
من هذا لانه دائما ابدا يعرضني لمثل هذا واشباهه ويغري بي ويوقعني في كل ورطة
ثم اقبل على المعتصم وقال يا ابا اسحاق سألتك بالله امير المؤمنين الا ما اعفيتني من
ملاعبتك التي لا تحتمل وتؤدي الى مؤاخذة امير المؤمنين ولم يزل يأتي بهذا و
امثاله حتى شك المأمون في امره والتفت الى اخيه المعتصم وقال سألتك
بالله يا اخي بحياتي عليك الا ما علمتني بحقيقة امره فقال المعتصم يا امير المؤمنين
برئت من ذمة الله ورسوله ومن حياتك وولايتك ان كنت اعرفه او رأيته
قط الا في يومي هذا فقال الفتى كذب والله يا امير المؤمنين لقد كنت معه دهري
الاطول وفي موضع كذا وكذا وان هذا فعله معي ابدا فضحك المأمون تعجبا وقال
ادخل فدخل وامره بالجلوس فجلس ثم قال لك الامان ان صدقتني فصدقه الحديث
على وجهه فاعجب من حسن منطقه ولطف مدخله ودقيق تصرفه وامر باعادة
الجواري الى مجلسهن فطربوا سائر يومهم فقال له المأمون اخبرني باعجب ما لحقك
في قدومك من الكوفة الى بغداد واجعله نظما ولا تكتم عني شيئا فقال نعم

(ثم انشا يقول)

بينما انا واقف في البيت مكتئبا	مفكر في حصول الكد والقوت
وليس في البيت لي شيء المر به	وبي من الجوع ما يدني الى الموت

اذا بصوت بباب الدار اسمعه	والاذن مصغية منى الى الصوت
ناديت من ذا الذى رجوى لى فرجا	نادى انا فرج زن لى كرى البيت

فضحك المامون حتى استلقى على فراشه ثم ضرب برجله الارض من شدة اعجابه
وقال ثم ماذا قال يا امير المؤمنين فخرجت فاذا هو صاحب الخان يطالبنى بالكراء
فوعدته بان يرجع الى مرة اخرى فمضى ومضيت على وجهى لا اعلم اين اتوجه فسألت
كل من لقيته من صديق لى كنت استأنس به فخطر على بالى بيتان من الشعر

في ذلك وهما

غريب الدار ليس له صديق	جميع سؤاله اين الطريق
تعلق بالسؤال لكل شخص	كما يتعلق الرجل الغريق

فاشرفت يا امير المؤمنين على جارية كانها البدر ليلة كماله وهى تقول

ترفق يا غريب فكل حر	يمر بحال سعة وضيق
وكل ملمة ان انت فيها	صبرت لها اتيح لها الطريق

ثم قالت خذ هذه فادفع بها فاقتك فوالله ما هى الا مواساة من قوت ورمت
الى صدرى بقرطاس واذا فيه عشرة دراهم فرجعت من فورى فوجدت
صاحب الكراء قائما على الباب فدفعت اليه خمسة دراهم واستعنت
بالباقى الى ان وقعت هذه القصة وهذا الامر الذى كلفنى وحملنى على

ما فعلت وانشأ يقول

لم آت فعلا غير مستحسن	جهلا بفعل الاحسن الاملح
لكننى فى حالة اوجبت	ضرورة اتيان مستقبح

فاعجب المأمون امره واستحسنه وامر له بمائة الف درهم يصلح بها شأنه
والحقه بمراتب الخاصة ورفعت منزلته عنده وصار اقرب الناس اليه
وآخر خارج من عنده واول داخل اليه وسمى طفيلى المعتصم وانشد

للمأمون يوما يقول

كانت لقلبي اهواء مفرقة	فاستجمعت اذ رأتك العين اهوائي
تركت للناس دنياهم ودينهم	شغلا بذلك عن ديني ودنيائي
وصار يحسدني من كنت احسده	وصرت مولى الورى مذ صرت مولائي

فاستحسن المامون الابيات وامر بكتبها على الستارة وصار الفتى اذ احضر يوم سرور المامون لم يكن للمأمون هم الا اقتراح هذه الابيات الى ان ينقضي المجلس ثم ان الفتى بعد ان حسنت حالته ارسل الى الدار التي اشرفت عليه منها الجارية فاذا هي لرجل من اهل بغداد من مباشريها وقد مات ولم يخلف ولدا سوى تلك الجارية وما مات حتى تضعضع حاله فاعلم المامون بذلك فامر بخطبها للفتى ودفع المهر من عنده وصار الفتى والجارية في نعمة عظيمة بقية عمرهما والله اعلم وسرق شاب سرقة فاتى به الى المأمون فامر بقطع يده فتقدم لتقطع يده فانشد الشاب يقول

يدي يا امير المؤمنين اعيذها	بعفوك ان تلقى نكالا يشينها
فلا خير في الدنيا ولا في اخرتها	اذا ما شمال فارقتها يمينها

وكانت ام الشاب واقفة على رأسه فبكت وقالت امير المؤمنين انه ولدي وواحدي ناشدتك الله الا رحمتني وهديت لوعتي وجدت بالعفو عما استحق العقوبة فقال المأمون هذا حد من حدود الله تعالى فقالت يا امير المؤمنين اجعل عفوك عن هذا الحد ذنبا من الذنوب التي تستغفر منها فرق لها المأمون وعفا عنه وفي حياة الحيوان قال رايت في بعض المجاميع بخط بعض العلماء الاكابر ان المامون اشرف يوما من قصره فرأى رجلا قائما بيده فحمة وهو يكتب بها على حائط قصره فقال المامون لبعض خدمه اذهب الى ذلك الرجل فانظر ما كتب وائتني به فبادر الخادم الى الرجل مسرعا وقبض عليه وقال ما كتبت فاذا هو

قد كتب هذين البيتين

يا قصر جمع فيك الشوم واللوم	متى يعشش في اركانك البوم

يوما يعشش فيك البوم من فرحي	أكون أول من ينعاك مرغوم

ثم ان الخادم قال له اجب امير المؤمنين فقال الرجل سألتك بالله لا تذهب بي اليه فقال الخادم لا بد من ذلك ثم ذهب به فلما مثل بين يدي امير المؤمنين واعلم بما كتب فقال له المأمون ويلك ما حملك على هذا فقال يا امير المؤمنين انه لا يخفى عليك ما حواه قصرك هذا من خزائن الاموال والحلي والحلل والطعام والشراب والفرش والاواني والامتعة والجواري والخدم وغير ذلك مما يقصر عنه وصفي ويعجز عنه فهمي واني يا امير المؤمنين قد مررت عليه الآن وانا في غاية من الجوع والفاقة فوقفت مفكرا في امري وقلت في نفسي هذا القصر عامر عال وانا جائع ولا فائدة لنا فيه فلو كان خرابا ومررت به لم اعدم رخامة او خشبة او مسمارا ابيعه واتقوت بثمنه او ما علم امير المؤمنين رعاه الله قول الشاعر

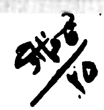
اذا لم يكن للمرء في دولة امرئ	نصيب ولا حظ تمنى زوالها
وما ذاك من بغض له غير انه	يرجى سواها فهو يهوى انتقالها

فقال المأمون يا غلام اعطه الف درهم ثم قال هي لك في كل سنة ما دام قصرنا عامرا

(بأهله مسرورا بدولته وانشدوا في معنى ذلك)

اذا كنت في امر فكن فيه محسنا	فعما قليل انت ماض وتارك
فكم دحت الايام ارباب دولة	وقد ملكوا الاضعاف ما انت مالكه

(ويحكى) انه تنبأ رجل في ايام المأمون فقال ليحيى بن اكثم القاضي يا يحيى امض بنا مستترين حتى ننظر الى هذا المتنبي والى دعواه فركبا في الليل مستترين ومعهما خادم حتى صارا الى بابه وكان مستترا بثوبه فاستأذنا عليه فخرج اليهما فقال من انتما فقالا رجلان يريدان يسلما على يديك قال ادخلا فدخلا وجلس المأمون عن يمينه ويحيى عن يساره فقال المأمون الى من بعثت قال الى الناس كافة قال افيوحى اليك ام ترى في المنام ام ينفث في قلبك قال بل اناجي واكلم قال ومن يأتيك قال جبريل قال فمتى كان عندك قال الساعة قبل ان تأتياني بساعة



قال فما اوحى اليك قال وحى الى انه سيدخل عليك رجلان فيجلس احدهما عن يمينك والآخر عن يسارك والذى يجلس عن يسارك الوط خلق الله تعالى فقال له المأمون اشهد ان لا اله الا الله وانك رسول الله وكان يحيى يعزى الى ما قاله عنه المتنبى انتهى ودخل ابو نواس على القاضى يحيى اكثم ودخل معه غلام جميل الوجه فقال الغلام هذا مرعلى وقبلنى كرها ففتن به القاضى فانشد يقول

اذا كنت للتجميش والبوس كارها	فلا تدخل الاسواق الا منقبا
ولا تظهر الاصداغ من تحت طرة	وتشهر منها فوق خديك عقربا

فلما سمع الغلام ذلك انشأ يقول

لقد كنت ارجو ان ارى العدل بيننا	فاعقبنى بعد الرجاء قنوط
متى تصلح الدنيا ويصلح اهلها	اذا كان قاضى المسلمين يلوط

ويحكى انه كان عند المأمون يوما فقال له المأمون وهو يعرض له

باللواط يا يحيى من ذا الذى يقول

قاض يرى الحد فى الزناء ولا	يرى على من يلوط من بلس

فقال له الذى يقول

ما ارى الجور ينقضى وعلى الامة وآل من بنى العباس

ويقال ان المأمون شرب يوما ومعه القاضى يحيى بن اكثم فمال الساقى على القاضى حتى وقع سكران فامر المأمون ان يلقى عليه الورد والرياحين حتى يدفن فيها كانه ميت وصنع بيتى شعر وقال لمغنية خذى العود وغنى

على رأسه فغنت وقالت

ناديته وهى حى لا حراك له	مزمل فى ثياب من رياحين
فقلت قم قال رجلى لا تطاوعنى	فقلت خذ قال كفى لا يواتينى

فاستيقظ يحيى لرنة العود والجارية تغنى البيتين فقام وقال

يا سيدى وامير الناس كلهم	قد جار فى حكمه من كان يسقينى

سقاني الراح لم يمزج سلافتها | حتى بقيت سليب العقل لا الدين

قال الواقدي كان ابراهيم بن مهدي ادعى لنفسه الخلافة بالري واقام مالكها سنة واحد عشر شهرا واثنى عشر يوما وله اخبار كثيرة فمما حكاه قال لما دخل المأمون الري في طلبي اثقل على الطلب وجعل لمن يدل علي واتاه بي مائة الف درهم فخفت على نفسي وتحيرت في امري فخرجت من داري وقت الظهر وكان يوما صائفا وما ادري اين اتوجه فمررت بزقاق لا ينفذ فقلت لا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم انا لله وانا اليه راجعون وخفت ان رجعت على اثري يعلموا بي فرايت في صدر الزقاق عبدا اسود قائما على باب داره فتقدمت اليه وقلت له اعندك موضع اقيم فيه ساعة من نهار قال نعم وفتح الباب فدخلت الى بيت نظيف فيه حصير نظيفة وبسط ومخدات جلد ثم انه اغلق الباب علي ومضى فخفت ان يكون سمع الجعالة في حقي وانه عرفني ومضى ليدلهم علي فبقيت مثل الحبة في المقلاة تلففا ميتا من الخوف فبينما انا كذلك لك اذا اقبل ومعه حمال حامل كل ما احتاج اليه من لحم وخبز وقدر جديدة وجرة وكيزان جدد ثم التفت الي وقال جعلني الله فداك انا رجل حجام وانا اعرف انك تتقذر مني لما اتولاه من معيشتي فشانك بما لم تقع عليه يدي وكان لي حاجة الى الطعام فقمت وطبخت قدرا ما ظننت اني اكلت مثلها قط فلما قضيت اربي قال لي هل لك ان تشرب شيئا فانه يسلي الهم ويزيل الغم ويهب للنفس الفرح قلت ما اكره ذلك رغبة في موانسته فاتى بقطرميز جديد واحضر لي نقلا وفاكهة في اواني جدد من فخار ثم قال بعد ذلك ان اذنت لي جعلت فداك ان اقعد بناحية منك وآتي بشراب فاشرب سرورا بك فقلت افعل ففعل وشرب ثلاثا ثم دخل الى خزانة له فاخرج عودا مصلحا ثم قال يا سيدي ليس من قدري ان اسألك ان تغني ولكن قد وجب على مروتك حرمتي فان رأيت ان تشرف عبدك بان تغني لنفسك والعبد يسمع فافعل فقلت له ومن اين

لك انى احسن الغناء فقال متعجبا سبحان الله انت اشهر من ذلك انت ابراهيم ابن المهدى خليفتنا بالامس الذى جعل المأمون لمن يدل عليك مائة الف درهم فلما قال ذلك عظمت مروئته عندى وعلمت ان نخوته اجل مما بذل فتناولت

العود فاصلحته وقد مر بخاطرى ذكر اهلى وولدى فقلت

وعسى الذى اهدى ليوسف اهله	واعزه فى السجن وهو غريب
ان يستجيب لنا فيجمع شملنا	فالله رب العالمين قريب

فقال يا سيدى اجعل ما تغنيه مما اقتضبك اياه قلت نعم فقال غن لى

ان الذى عقد الذى انعقدت به	عقد المكاره فهو يملك حلها
فاصبر فان الله يعقب راحة	فلعلها ان تنجلى فلعلها

فحسن عندى اقتراحه فشربت وشرب ثم قال غن لى

وراء مضيق الخوف متسع الامن	واول مفروح به آخر الحزن
فلا تيأسن فالله ملك يوسفا	خزائنه بعد الخلاص من السجن

ففرح وشرب وشربت وقال غن لى

اذا ما الحادثات بلغن النهى	وكان لهن تذوب المهج
وحل البلاء وقل العزا	ء فعند التناهى يكون الفرج

فغنيته وحسن فى نفسى اقتضابه وانست به واستظرفته ثم قال ان رايت يا سيدى ان تأذن لى ان اغنى ما خطر ببالى وان كنت من غير اهل هذه الصناعة فقلت يكون ذلك زيادة فى ادبك ومروئتك فاخذ العود ثم قال

دستور ثم ضرب عليه وغنى يقول

شكونا الى احبابنا طول ليلنا	فقالوا لنا ما اقصر الليل عندنا
وذاك لان النوم يغشى عيونهم	سريعا ولا يغشى لنا النوم اعينا
اذا ما دنا الليل المضر بذى الهوى	جزعنا وهم يستبشرون اذا دنا
فلو انهم كانوا يلاقون مثل ما	نلاقى لكانوا فى المضاجع مثلنا

فقلت والله ذهب عنى كل ماكان عندى من الهلع وسألته يغنى فغنى يقول

تعيرنا انا قليل عدادنا	فقلت لها ان الكرام قليل
وماضرنا انا قليل وجارنا	عزيز وجار الاكثرين ذليل
وانا لقوم لا نرى الموت سبة	اذا ما راته عامر وسلول
يقرب حب الموت آجالنا لنا	وتكرهه آجالهم فتطول

فوالله لقد اجاد وذهب عنى كل ماكان من الفزع والجزع واستأنست به وداخلنى من الطرب ما لا مزيد عليه وعاجلنى النوم قبل اوانه فنمت ولم استيقظ الا بعد المغرب وجال فكرى فى هذا الحجام وادبه وظرفه وكيف غناؤه وادبه واردته ان يسليني عما انا فيه اشارة الى تخصيصه بالوفاء لضيفه ونصره لجاره فقعدت وغسلت وجهى وايقظته واخذت خريطة كانت صحبتى فيها دنانير ومصاغ لها قيمة فدفعتها اليه وقلت له انت فى وداعة الله وحفظه فانى ماض عنك ان تصرف ما فى هذه الخريطة فى بعض مهماتك ولك عندى اذا أمنت المزيد فاعادها على مبادرا وقال ياسيدى الصعلوك منا لا قيمة له عند اهل الرياسات ويظنون فيه الظنون الرديئة أفآخذ على ما وهبني الله من قربك وحلولك فى منزلى ثمنا لا والله فالححت عليه فاخذ موسى له بيده وقال والله ان راجعتنى لاتحرن نفسى فخشيت عليه واخذت الخريطة واثقلني حملها فلما انتهيت الى باب الدار قال ياسيدى ان هذا الموضع اخفى لك من غيره وليس عندى فى مؤنتك ثقلة فاقم عندى الى ان يفرج الله عنك فراجعته وسألته ان يكون منفقا من تلك الخريطة فلم يفعل وكان كل يوم يفعل بى مثل مافعل فى اليوم الاول فاقمت اياما فى اطيب عيش واهناه ثم سئمت من الاقامة عنده وخشيت الثقل عليه فتركنى ومضى يجدد لنا حالنا فلبست ثيابى وتزييت بزى النساء بالخف والنقاب وخرجت فلما صرت فى الطريق داخلنى من الخوف والفزع امر شديد ومشيت لاعبر الجسر واذا هو قد رش ورجل قائم فابصرنى بعض من كان فى خدمتى

من الجهد فتعلق بي وقال طلبة امير المؤمنين قد دفعته في صدره فوقع في الزلق و
صار عبرة وتبادر الناس اليه فاجتهدت في المشي حتى قطعت الجسر ودخلت زقاقا
فوجدت بابا وامرأة واقفة فيه فقلت يا سيدة النساء احقني دمي فاني رجل خائف
فقالت ادخل فدخلت فاطلعتني الى غرفة وفرشت لي وقدمت لي طعاما وقالت
ليهدأ روعك فانه لا يعلم بك مخلوق ولو اقمت سنة ما عليك بأس واذا بالباب
يدق فخرجت وفتحت الباب فاذا هو صاحبي الذي دفعته على الجسر وهو مشدوخ
الرأس ودمه يسيل على ثيابه فقالت له ما دهاك قال ان حديثي عجيب وامري
غريب ظفرت بالفتى وانفلت من يدي قالت وكيف قال ابراهيم بن المهدي
لقيته فتعلقت به فدفعني فاصابني ما ترين من حالي ولو حملته الى امير المؤمنين
لاخذت منه مائة الف درهم قال فاخرجت له خرقا ودرورا وفرشت له بعد
كبس جرحه فنام قليلا وطلعت وقالت لي اظنك صاحب القصة قلت نعم قالت لي
اني خائفة عليك ثم جددت لي الكرامة واقمت عندها ثلاثة ايام ثم قالت لي اني
خائفة عليك من هذا الرجل لئلا يطلع على امرك فينم عليك فالنج بنفسك فسألتها
امهالي الى الليل فلما دخل الليل لبست زي النساء وخرجت من عندها واتيت
الى بيت مولاة فلما رأتني بكت وتوجعت وحمدت الله تعالى على سلامتي وخرجت
كانها تريد كرامتي فتوجهت للسوق مظهرة الاهتمام للضيافة فظننت خيرا فلم
اشعر الا بابراهيم الموصلي بخيله ورجله والمولاة معه حتى سلمتني اليه فرأيت الموت
عيانا وحملت مثل ما انا الى امير المؤمنين فجلس مجلسا عاما وامر بادخالي عليه
فلما مثلت بين يديه سلمت عليه سلام الخلافة فقال لي لا سلمك الله ولا حفظك
ولا رعاك فقلت يا امير المؤمنين ان ولي الثار محكم في القصاص والعفو اقرب للتقوى
ومن تناولته يد الاقتدار بما مدّ له من اسباب الرجاء ما يامن معه عادية الدهر
وقد جعلك الله فوق خلقه واصبح عفوك فوق كل ذي عفو فان تأخذ فبحقك

(وان تعف فبفضلك وانشدت اقول)

ذنبي اليك عظيم ... وانت اعظم منه
فخذ بحقك او لا ... فاصفح بحلمك عنه
ان لم اكن في فعالي ... من الكرام فكنه

قال فرفع راسه الي فقلت مستبدرا

اتيت ذنبا عظيما ... وانت للعفو اهل
فان عفوت فمن ... وان جزيت فعدل

قال فرق المأمون واسترجع فرايت روايح الرحمة في شمايله ثم اقبل على اخيه ابي اسحاق محمد المعتصم وابنه العباس وجميع من حضر من خاصته وقال ماترون في امره فاشار الكل بقتلي الا انهم اختلفوا في القتل فقال المأمون لاحمد بن ابي خالد ماتقول يا احمد فقال يا امير المؤمنين ان قتلته فقد وجدنا مثلك قتل مثله وان عفوت لم نجد مثلك في العفو فنكس المأمون رأسه الى الارض وجعل يخط في الارض باصبعه ثم رفع رأسه وقال

قومي هموقتلوا اميم اخي ... فاذا رميت يصيبني سهمي

ثم قال المأمون لا بأس عليك يا عم فقلت ذنبي يا امير المؤمنين اعظم من ان انوه معه بعذر وعفوك اعظم من ان انطق معه بشكر

ولكن اقول شعرا

ان الذي خلق المكارم حازها ... في صلب آدم للامام السابع
ملئت قلوب الناس منك مهابة ... وتظل تكلؤهم بقلب خاشع
ما ان عصيتك والغواة تمدني ... اسبابها الا بنية طائع
وعفوت عمن لم يكن عن مثله ... عفو ولم يشفع اليك بشافع
ورحمت شبابا كافراخ القطا ... وحنين والده بقلب جازع

فقال المأمون لا تثريب اليوم عليك قد عفوت عنك ورددت عليك مالك

وضياعك فانشدت اقول

نسخة سفكت نسخة نات

رددت مالي ولم تبخل علي به	وقبل ردك مالي قد حقنت دمي
امنت منك وقد خولتني نعما	نعم الحيا نات من موت ومن عدم
فلو بذلت دمي ابغي رضاك به	والمال حتى اسل النعل من قدمي
وان جحدتك ما اوليت من نعم	اني الى اللوم اولى منك بالكرم

فقال المامون ان من الكلام كلاما كالدر وهذا منه وامر لي بمال وخلع علي وقال يا عم ان ابا اسحاق والعباس اشارا بقتلك فقلت انهما نصحاك يا امير المؤمنين ولكن فعلت ما انت اهله ودفعت ما خفت انا بما رجوت فقال المامون لقد مات حقدي بحياة عذرك وقد عفوت عنك ثم سجد المامون طويلا ثم رفع رأسه ثم قال يا عم الذي لم سجدت قلت له شكرا لله تعالى على ما اوقع علي وملكك اياي في يدك تفعل بي ما تشاء فقال اخطات ولكن شكرا لله تعالى على ما الهمني من العفو عنك من قبل نفسي ثم قال واعظم من عفوي عنك انني لم اجرعك مرارة امتنان الشافعين فحدثني بما كان من امرك فحدثت له ما جرى لي مع الحجام والجندي وزوجته والمولاة التي سلمتني فامر المامون باحضارها وهي في دارها تنتظر الجائزة فلما حضرت قال لها المامون ما حملك على ما فعلت من تسليمك ابراهيم مع انعامه عليك قالت رغبة في المال قال هل لك من ولد او زوج قالت لا فامر بضربها مائة سوط وامر بتخليدها في السجن ثم احضر الجندي وامراته والحجام فسال الجندي عن السبب الذي حمله على ما فعل قال رغبة في المال فقال انك اولى بان تكون حجاما من ان تكون خداما ووكل من يلزمه الجلوس في مكان الحجام ليتعلم الحجامة واحسن الى امراة الجندي وجعلها قهرمانة قصره وقال هذه امراة اديبة تصلح للمهمات وسلم للحجام دار الجندي وما فيها وخلع عليه واثبته برزقه في الديوان وزيادة الف دينار في كل سنة ولم يزل كذلك الى ان مات والله اعلم (وعن محمد بن عبد الله التميمي) قال حدثنا احمد بن محمد

الحريري قال كان لحمدونة بنت عبد الرحمن الهاشمي من الاموال ما لا يسعه
الديوان ولا تأكله النيران لكثرته وكانت ادب نساء بني هاشم وافصحهن
لسانا واقولهن شعرا فدخلت على المأمون يوما وكانت تحبه غاية الحب
سرا وكان المأمون جالسا في ايوان قد ابتدعه لم يبتدعه احد من الخلفاء
قبله وكان قد تنوق في بنائه وكان فيه من كل صورة في البر والبحر ممثلة
من الذهب والفضة وقد فرشه ببساط من الديباج الاصفر واسبل عليه
ستورا من الحرير الصيني وقد اقام فيه اربعمائة وصيفة بقراطق الحرير و
قلانس الوشي بطرر وشعور واصداغ وهن بقد واحد لا تزيد الواحدة منهن
على الاخرى اقام مائتين عن يمينه ومائتين عن يساره * فقال يا حمدونة هل
كان لابيك او لبعلك او لاحد من الخلفاء مثل هذا الايوان مع فرشه و
مثل هؤلاء الجواري مع زينتهن فقالت يا امير المؤمنين متعك الله وعمر
بك فلقد اوتيت ملكا عظيما انت اهله لتر فهك وشرفك فان اجبت خادمتك
حمدونة اجلستك في مجلس لم تجلس في مثله قط واصادتك صيدا لم تصد مثله
قط واسقيتك شرابا لم تشرب مثله قط وكان عنده يحيى بن اكثم فقال
لها يا حمدونة قد اجبتك الى ما سألتيني ولكن لا ينفعني ولا يهنيني ذلك الا بمشهد
من يحيى بن اكثم فانه لا يطيب لي مجلس الا به فقالت نعم يا امير المؤمنين ثم مدت
يدها الى جيبها فاخرجت منه مخزنة من ذهب احمر محشوة مسكا اذفر فدفعتها
الى يحيى وقالت يا يحيى ان الاجير لا يعمل حتى يستوفي اجرته وهذه اجرتك فلتكن
فكن مستحثا لي امير المؤمنين غدا عند الزوال في المسير الى منزل خادمته
فقال حبا وكرامة ثم خرجت من عنده فهيأت ما تحتاج اليه للمأمون وغيره
فلما كان من الغد جلس المأمون في مجلس السلام فلما زالت الشمس وصارت
في كبد السماء قال يحيى يا امير المؤمنين الحاجة التي عرضت عليك بالامس فنظر
المأمون لذلك وقام من مجلسه ولبس ثياب التجار ولبس يحيى مثل ذلك

بجاريتين مصريتين بغاشيتين وركبا هما حتى انيا دار حمته فدقا الباب دقا خفيفا فسمعته فاقبلت بنفسها حتى فتحت الباب واقبلا يمشيان جميعا حتى انتهوا الى بيت في بستان قد حمل على اربعة اعمدة من الرخام الاحمر المنقوش واذا في صدر البيت ثلاثة اسطر منقوشة بالدر وصنوف الجوهر وهي

ماسرني ان فؤادي ولا	ان لساني يوما خلا
وان لي ملك بني هاشم	يجئ الى او لـ اولا
ان لم ارا الدنيا مالكي	تأتي الى كن امقبلا
ياسائلي دوحي بلا علة	انت المعافى وانا المبتلا

فقال المأمون يا يحيى ما ملك احد من الخلفاء مثل هذا البيت واذا فرشه ارمني معفور منقوش باللآلي واذا فوق الارمني مطارح من الديباج الاخضر حشوها حواصل الريش وفي البيت المسك والعنبر والكافور والصندل والزعفران والند والعود مصفوف في اواني الذهب والفضة وهي تلوح منه روائح لا يدري ماهي من طيبها ثم اخرجتهما الى اربعة ميادين فيها انواع الرياحين حول البيت فقال ان هذا الا سحر يؤثر ثم دعت لهما بمائدة من الجزع اليماني قوائمها منها قطعة واحدة فوضعت وقدمت عليها الالوان الغريبة فقال المأمون ما طعمت مثل هذا الطعام قط ثم دعت بالطشت والابريق فغسلا ايديهما ثم امرت فقدم اليهما قناني الزجاج الشامية المرتفعة الصافية والبلور فيها شراب قد اتت عليه الايام والاعوام فهي تحكي الهوى لرقتها والياقوت لحمرتها والزنجبيل لحدتها ووضعت بين ايديهما مع اقداح وانطال تشاكل ذلك فقال المأمون والله ما رايت مثل هذا قط ثم اخرجت جاريتين عليهما جباب لوشي الكوفي المنسوج بالذهب وعلى رؤسهما مقانع رشيدية وتيجان من الذهب مكللة بالجوهر فجلسا وفي حجريهما العيدان المبسوطة الموزونة فحركتا الاوتار وغنتا بصوت شجي مليح من انواع الاغاني

وغرائب الاصوات فقال المأمون هذه الجنة مما نرى فيها من غرائب الطيب والجوهر
فقال يحيى وقد بقى لنا يا امير المؤمنين شرط آخر فقال وما هو يا يحيى قال
الصيد يا امير المؤمنين قال صدقت يا يحيى ثم قال يا حمدونة ما فعل الصيد فقالت
قوما اليه فقام المأمون ويحيى حتى دخلا بستانا لم ير مثله وقد كانت زينت
البستان باحسن ما تقدر عليه واتخذت فيه الوان الطيور من الفاخت والقمري
والهزار والطواويس فكانت الاطيار تغني من رؤس الاشجار وتغرد بالسرور
الاجهار وقد كانت زينت مائة جارية نواهد ابكار ابطرر وشعور وخدود
ومباسم ساطعات الانوار ترى كل واحدة منهن ابهى من صاحبتها واحسن
وعليهن من الوان الثياب ما يعجز عنه الوصف وفي اوساطهن مناطق الذهب
الاحمر وتقدمت اليهن وقالت لهن اذا رأيتن المأمون ويحيى تغادين ما بين
الاشجار فلما دخل المأمون ويحيى البستان فعلن ما كانت امرتهن فتضاعف السرور
على المأمون واعجب المأمون بذلك اعجابا شديدا ثم قال ليحيى هذا الصيد
فقال يا امير المؤمنين رأيك فيه فقال المأمون لو كان لنا كلب لاصطدنا هؤلاء
فقال يحيى انا كلبك يا امير المؤمنين فعدا المأمون ويحيى فاصطادا منهن صبية فقالت
حمدونة سألتك بحق اجدادك الا ما خليت عن الجواري لا تحل البخل بهن عليك وقد فهمت
المعنى فيه وقد كانت حمدونة تغار على المأمون فخلى عن الجواري وقال ليحيى دونك
والصيد اذن انت محل فقال يحيى لو كان لي كلب لاصطدت من هؤلاء فقال المأمون
انا كلبك فضحك يحيى وضرب بقلنسوته الارض فغداخلهن فاخذ منهن خمسة
فقالت حمدونة يا يحيى لك الخمسة ولا غيرة لي عليك وانما اغار على المأمون لحاجتي اليه
فقال يحيى والله يا امير المؤمنين لقد رأيت الهوى الغالب في حماليق عينيها ولا تتم
لنا النعمة الا بتزويجك اياها ان رأيت ذلك فقال المأمون انا برئ من رسول الله
صلى الله عليه وسلم ومنتف من جدّ العباس ان ذهبت من البستان ولم اتزوجها
ثم قال يا يحيى اخطب خطبة النكاح فخطب يحيى وامهرها المأمون الف الف دينار

واقطعها

واقطعهما مائة من منتخبات الضياع فحمدت حمدونة الله سرورا بما ظفرت من تزويج المأمون اياها وامرت ليحيى بعشرة الآف دينار ورجع المأمون الى منزله وزفت اليه فى تلك الليلة فواقعها فحملت بالعباس ابنه انتهى (وحكى) ان المأمون كان مشغوفا بحب جارية يقال لها نسيم وكانت ذات عقل وادب وفضل وكمال وكان لا يفارقها فى الحضر ولا فى السفر ثم بعد ذلك مال الى جارية اخرى احسن منها و اعرض عنها فاغتمت ولم تجد حيلة فى استعطافه وكانت ربت جارية رومية احسن منها فى العقل والادب وكتمت امرها عن المأمون فاتفق ان المأمون حصل له بعض ضعف ففصد فحصل له الشفاء فجعل الناس يدخلون اليه باصناف التحف والهدايا فاهدت اليه نسيم الجارية المذكورة ومعها جام بلور وغطته بمنديل دبيقى مكتوب عليه بالذهب هذه الابيات

فصدت عرقا تبتغى صحة	البسك الله به العافيه
فاشرب بهذا الجام يا سيدى	مستمتعا فى هذه الجاريه
واجعل لمن اهداكها زورة	تحظى بها فى الليلة الثانيه

فاعجب المأمون ما راى من الجام والجارية ثم بعث لها يقول نعم وفى هذه الليلة ثم رضى على نسيم ووصلها بعد ذلك (وحكى) ان المأمون مر يوما على زبيدة ام الامين فراها تحرك شفتيها بشئ لا يفهمه فقال لها يا اماه اتدعين على لكونى قتلت ابنك وسلبته ملكه قالت لا والله يا امير المؤمنين قال فما الذى قلتيه قالت يعفينى امير المؤمنين فالح عليها وقال لا بد ان تقوليه قالت له قلت قبح الله اللحاحة قال وكيف ذلك قالت لانى لعبت يوما مع امير المؤمنين الرشيد بالشطرنج على الحكم والرضى فغلبنى فامرنى ان اتجرد من اثوابى واطوف القصر عريانة فاستعفيته وبذلت له اموالا لا تحصى فلم يعف عنى فتجردت من اثوابى وطفت القصر عريانة وانا حقدة عليه ثم عاودنا اللعب فغلبته فامرته ان يذهب الى المطبخ فيطأ اقبح جارية واشوهها خلقة فاستعفانى عن ذلك فلم اعفه فنزل لى عن خراج مصر والعراق

فابيت وقلت والله لتطأنها فالححت عليه واخذت بيده وجئت به الى المطبخ فلم ار جارية اقبح ولا اشوه خلقة من اصل مراحل فامرته ان يطأها فوطئها تعلقت منه بك فكنت سبب القتل ولدى وسلبه ملكه فولى المأمون وهو يقول قاتل الله اللجاجة اى التى الح عليها حتى اخبرته بهذا الخبر انتهى (وأتى شاعر المأمون) فقال لقد قلت فيك شعرا فقال انشدنيه فقال

حياك رب الناس حياكا	اذ بجمال الوجه رقاكا
بغداد من نورك اشرقت	او ورق العود بجدواكا

قال فاطرق المأمون ساعة وقال يا اعرابى وانا قد قلت فيك شعرا وانشد يقول

حياك رب الناس حياكا	ان الذى املت اخطاكا
اتيت شخصا قد خلا كيسه	ولو حوى شيئا لاعطاكا

فقال يا امير المؤمنين الشعر بالشعر حرام فاجعل بينهما شيئا يستطاب فضحك المأمون وامر له بمال انتهى (وروى) ابن عامر الفهرى عن اشياخه قال امر المأمون ان يحمل اليه من اهل البصرة عشرة رجال كانوا قد رموا عنده بالزندقة فحملوا اليه فرآهم طفيلى فرآهم مجتمعين فظن خيرا ومضى معهم الى الساحل وقال ما اجتمع هؤلاء الا لوليمة فانسل ودخل الزورق وقال لا شك انها نزهة فلم يكن الا يسيرا وقد قيدوا القوم وقيد معهم فعلم انه وقع فيما لا طاقة له به ودام الخلاص فلم يقدر وساروا الى ان وصلوا الى بغداد ودخلوا على المأمون فاستدعى بهم باسمائهم واحد بعد واحد وجعل يذكره بفعله وبقوله ويضرب عنقه حتى لم يبق الا الطفيلى وفرغت العشرة فقال المأمون للموكل من هذا فقال لا اعلم يا امير المؤمنين غير انا رايناه معهم فجئنا به فقال يا امير المؤمنين امراته طالق ان كان يعرف من احوالهم شيئا ولا يعرف غير لا اله الا الله محمد رسول الله وانما رايتهم مجتمعين فظننت انها وليمة يدعون اليها فلحقت بهم فضحك المأمون وقال او قد بلغ من شوم التطفل ان يحل بصاحبه هذا المحل لقد سلم هذا الجاهل من القتل ولكن

يؤدب حتى لا يعود الى مثلها وكان ابراهيم بن المهدى حاضرا فقال يا امير المؤمنين هبه لى وانا احدثك عن نفسى فيما وقع لى فى التطفل من العجب فقال وهبته لك هات حديثك فقال يا امير المؤمنين خرجت متنكرا يوما الى سكك بغداد فاستهوى بى الطرب والتفرج فانتهى بى المسير الى موضع شممت فيه رائحة طعام وابازير قد فاحت وهفت نفسى اليها ووقفت يا امير المؤمنين لا اقدر على المشى فرفعت بصرى واذا بشباك خلفه كف بمعصم ما رايت احسن منه فبقيت حائرا ونسيت رائحة الطعام بذلك الكف فاخذت فى عمل الحيلة التى الى الوصول اليها فاذا بجانب المكان خياط فسلمت عليه فرد على السلام فقلت يا سيدى لمن هذه الدار فقال لرجل من البزازين فقلت ما اسمه فقال فلان قلت هو ممن يشرب الخمر قال نعم واظن ان عنده اليوم اصحابه تجار مثله فبينما نحن فى الكلام اذ اقبل رجلان فقال لى هؤلاء ندماؤه فقلت له ما اسماؤهما وما كناهما فقال لى فلان الفلانى وفلان الفلانى فحركت ورائهما رجلى فلحقتهما فقلت جعلت فداكما استبطاكما فلان اعزه الله ولم ازل معهما حتى اتيت البيت فدخلت ودخلا فلما رآنى صاحب البيت بينهما لم يشك الا انى معهما فرحب بى واجلسنى فى افضل الاماكن ثم جئ بالمائدة ونقلت اليها الالوان فقلت فى نفسى هذه الالوان قد من الله على ببلوغ الغرض منها بقى الكف والمعصم ثم جئ بالماء فغسلنا ايدينا ثم نقلنا الى مجلس المنادمة فاذا شكل مليح ما رايت احسن منه ولا اظرف ورايت صاحب المكان يتلطف بى ويقبل على لظنه انى ضيف لاضيافه وهم على الحالة هذه الى ان شربنا اقداحا فخرجت علينا جارية كانها غصن بان فى غاية الظرف وحسن الهيئة فسلمت من غير خجل ولا احتشام وجلست واتى بعود فجسته احسن جسة واذا هى حاذقة فى الصناعة وغنت تقول ــــــ

توهمها فكرى فاصبح خدها وصافحها كفى فآلم كفها	وفيه مكان الوهم من نظرى اثر فمن ضم كفى فى انا ملها عقر

فهيجت يا امير المؤمنين بليا الى فطربت لحسن شعرها وحذقها ثم غنت تقول

اشرت اليها هل عرفت مودتي	فردت بطرف العين انى على العهد
فحادت على الاظهار عمدا بسرها	وحادت عن الاظهار ايضا على عمد

فحسدتها يا امير المؤمنين على حذاقتها واصابتها معنى الشعر فضحكت لما اصابني من الطرب الذى لم املك نفسي معه ثم غنت تقول

اليس عجيبا ان بيتا يضمنا	واياك لا نلهو و لا نتكلم
سوى اعين تبدى سرائر انفس	وتقطيع انفاس على النار تضرم
اشارت افواه وغمز حواجب	وتكسير اجفان وكف يسلم

فزاد حسدى لها يا امير المؤمنين على حذاقتها واصابتها معنى الشعر لانها لم تخرج عن المعنى وقلت بقى عليك يا جارية شئ فرمت العود من يدها وقالت متى كنتم تحضرون البغضاء فندمت على ما كان مني ورايت القوم كانهم قد انكروا على فقلت في نفسي فاتني جميع ما املت واحببت ان اتلافى قضيتي فقلت اثم عود غير هذا قالوا نعم فاحضروا عودا فاصلحت ما اردت اصلاحه ثم قلت

ما للمنازل لا تجيب حزينا	اصممن ام قدم البلاء بلينا

فلما اتممت شعرى حتى وثبت الجارية الى وانكبت على يدى تقبلها وتقول المعذرة اليك يا سيدى والله ما علمت مكانك ولا سمعت بهذه الصناعة من احد ثم زادوا اكرامى وطربوا غاية الطرب فشربت عدة اقداح ثم غنيتهم ابياتا فرايت من طربهم شيئا عظيما حتى قلت ان ارواحهم فارقت ابدانهم فسكت عنهم ساعة حتى تراجعوا الى عقولهم فغنيتهم و قلت

هذا محبك مطويا على كمده	وجدا و ادمعه تجرى على جسده
له يد تسال الرحمن راحة	مما به واليد الاخرى على كبده
يا من يرى كلفا في حبه دنفا	كانت منيته في عينه ويده

قال فجعلت الجارية تصيح وتقول هذا والله الغناء والذى كنا فيه ليس بشئ

وشربوا القوم فلما جاء هم البسط واخذ المجلس منتهاه امر صاحب البيت عبد بن له
ان يحفظا النديمين الى منزلهما وخلوت معه فقال والله يا سيدى ذهب ما
مضى من عمرى باطلا الذى ما عرفتك قبل يومى هذا فبالله يا مولائى من انت
فجعلت ارد عليه وهو يقول ويقسم على الى ان اعلمته من انا على الحقيقة فلما
سمع ذلك قام على قدميه وقال عجبت ان تكون هذه المكارم الا لمثلك وقد
اصابنى من الدهر نعم لا اقوم بشكرها ثم قال اترى هذا يقظة ام منا ما اقمت
انى لا ازال هذه الليلة قائما الى ان تاذن لى فانى احقر من ان اجالس الملوك
فاقسمت عليه بان يجلس ثم اخذ فى الكلام وجعل يعرض على السبب الذى اوجب حضورى
عنده بالطف تعريض فاخبرته بامرى على الحقيقة ولم اخفه شيئا ثم قلت له الطعام
قد نلت منه بغيتى وبقى الامر الآخر فوثب الى باب القاعة وقال كل منكن تلبس
افخر ثيابها وتخرج علينا من الخدع ثم استدعى بهن وجعل يقول يا فلانة وهن
يخرجن واحدة بعد واحدة وانا لا ارى صاحبت الكف والمعصم الى ان اتت
اربعون امرأة فقال والله ما بقى الا اختى وها انا مخرجها اليك فقلت افعل
فقال حبا وكرامة ثم استدعاها فنزلت فرايت يدها ومعصمها فاذا هى التى رايتها
فقلت هذه الحاجة فامر غلمانه لوقته ان يأتوا بعشرة شهود ثم قام واخرج عشرين
الف درهم والفا اخرى فلما حضروا قال لهم هذا سيدى ابراهيم بن المهدى يخطب
اختى فلانة واشهدكم انى قد زوجتها له وامهرتها عنه عشرين الف درهم فقلت
قبلت الزواج ثم دفع الالف التى كان اخرجها لهم فشكروا له ودعوا ثم انصرفوا ثم
قال يا سيدى امهد لك بعض البيوت تنام مع اهلك فاعجبنى ما كان من كرمه
واستحييت ان ادخل بها فى داره فقلت له بل اجعلها فى عمارية واحملها الى منزلى
فوحقك يا امير المؤمنين لقد حمل معها من الفرش والاثاث ما ضاقت به بيوتنا
فاولدتها هذا الغلام القائم بين يديك يا امير المؤمنين فتعجب المأمون من
كرم الرجل وقال لله دره ما اكرمه والله ما سمعت بمثله قط ثم اطلق الطفيلى

وامر باحضار الرجل واستنطقه فاعجبه حسن منطقه وعقله وادبه فصيره من
جملة خواصه ومنادميه والله اعلم

ذكر خلافة ابراهيم المعتصم بن هارون الرشيد

هو ثامن خلفاء بني العباس وكان شديد القوة ما كان في بني العباس مثله في القوة والشجاعة والاقدام قيل انه اصبح ذات يوم وكان برده شديدا وثلجه عتيدا فلم يقدر احد على اخراج يده ولا امساك قوسه فاوتر المعتصم في ذلك اليوم اربعة آلاف قوس وكان يدعى المثمن وانشد ابو تمام حبيب بن

اوس الطائي يمتدح المعتصم بن هارون الرشيد يقول

ان جس عودا رايت الخيل راقصة	كانها من سماع هزها نغم
او حركت يده اليمنى له وترا	على اعاديه غنى اليوم والرخم

وكان يقول بخلق القرآن وضرب على ذلك احمد بن حنبل على ان يقول ذلك فلم يقل رضي الله عنه وله معه كلام طويل فانظره في حياة الحيوان (ومن لطائف الحكايات) ما روي عن احمد بن ابي دواد القاضي انه قال جئ بتميم بن جميل الى المعتصم اسيرا وكان قد خرج عليه قال فما رأيت رجلا عرض عليه الموت فلم يكترث به سواه ثم دعا بالسيف والنطع فلما مثل بين يديه نظر اليه فاعجبه حسنه وقده ومشيه الى الموت غير مكترث فاطال الفكر فيه ثم كلمه لينظر اين عقله ولسانه من جماله فقال يا تميم ان كان لك عذر فات به فقال اما اذا اذن امير المؤمنين في الكلام فاني اقول الحمد لله الذي احسن كل شئ خلقه وبدأ خلق الانسان من طين ثم جعل نسله من سلالة من ماء مهين يا امير المؤمنين جبر الله بك صدع الدين ولم بك شعث المسلمين واخمد بك نار الباطل وانار بك سبل الحق ان الذنوب تخرس الالسنة وتصدع القلوب وايم الله لقد عظمت الجريرة وانقطعت الحجة وساء الظن الا فيك وهو اشبه بك واليق ثم انشد

ارى الموت بين السيف والنطع كامنا
يلاحظنى من حيث لا اتلفت

واكبر ظنى انك اليوم قاتلى
واى امرئ عما قضى الله يفلت

ومن ذا الذى يأتى بعذر وحجة
وسيف المنايا بين عينيه مصلت

يعز على الاوس بن تغلب موقف
يسل على السيف فيه واسلت

وما جزعى من اموت وانى
لاعلم ان الموت شئ موقت

ولكن خلفى صبية قد تركتهم
واكبادهم من حسرة تتفتت

كانى اراهم حين انعى اليهم
وقد لطموا احمر الوجوه وصوتوا

فان عشت عاشوا فى سرور ونعمة
اذود الردى عنهم وان مت موتوا

فكم قائل لا ابعد الله داره
وآخر جذلان يسر ويشمت

قال فبكى المعتصم ثم قال ان من البيان لسحرا كما قال النبى صلى الله عليه وسلم يا تميم كادوالله ان يسبق السيف العذل قد غفرت لك الهفوة ووهبتك للصبية ثم عقد له ولاية على عمله واعطاه خمسين الف دينار وانتهى من زهر الكمام فى قصة يوسف عليه السلام (وذكر صاحب تاريخ بغداد عن مخارق المغنى) قال تطفلت تطفيلة قامت على امير المؤمنين المعتصم بتسعين الف درهم قيل له وكيف ذلك قال شربت معه ليلة الى الصبح فلما اصبحنا قلت له يا امير المؤمنين ان رايت ان اخرج الى الرصافة فاتنسم الى وقت انتباه امير المؤمنين قال نعم فامر البوابين ان يتركونى فخرجت اتمشى فى الرصافة واذا بجارية كان الشمس تترقرق من جبينها فتبعتها ورايت معها زنبيلا فوقفت على فاكهانى واشترت سفرجلة بدرهم وانصرفت فتبعتها فالتفتت فرأتنى فقالت يا ابن الفاعلة الى اين قلت خلفك يا سيدتى فقالت ارجع يا ابن الزانية لئلا يراك احد فيقتلك فتأخرت ومشيت وتمشت امامى ثم التفتت فرأتنى فشتمتنى شتما قبيحا ثم جاءت الى دار كبيرة فدخلت فيها وجلست انا عند الباب وقد ذهب عقلى ونزلت على الشمس وكان يوما حارا فلم البث ان جاء فتيان كانهما بدران على حمارين فلما وصلا

الى الباب اذن لهما فدخلا ودخلت معهما فظننا ان صاحب المنزل قد دعاني
وجئ بالطعام فأكلنا وغسلنا ايدينا فقال لنا صاحب المنزل هل لكم في فلانة
فقالوا ان تفضلت قال فاستدعى بتلك الجارية فخرجت فاذا هي صاحبتي
ووراءها وصيفة تحمل عودها فوضعته في حجرها فغنت فشربوا وطربوا وهو تلطفي
وتشك في فقالوا لمن هذا الصوت فقالت لسيدي مخارق فلم البث ان قلت يا جارية
شدي يدك فشدت اوتارها وخرجت عن ايقاعها الذي تقول عليه قال
فاستدعيت بمدورة وقضيب وغنيت الصوت الذي قالته الجارية فقاموا
الي وقبلوا رأسي قال وكان مخارق من احسن الناس صوتا وكان يوقع
بالقضيب توقيعا عجيبا قال ثم غنيت الصوت الثاني والثالث فكادت عقولهم
تطير فقالوا بالله من انت يا سيدي فقلت مخارق فقالوا وما سبب مجيئك
قلت طفيلي اصلح الله شأنكم واخبرتهم بخبري فقال صاحب البيت لصديقيه
اما تعلمان اني اعطيت في هذه الجارية ثلاثين الف درهم فامتنعت من بيعها
قالا نعم قال هي لك فقال صديقاه علينا عشرون الف درهم وعليك عشرة
الآف قال مخارق فملكوني الجارية وجلست عندهم الى العصر وانصرفت بها وكلما
مررت بالمواضع التي شتمتني فيها اقول يا مولاتي اعيدي كلامك فتستحي مني
فاحلف عليها لتعيدنه فتعيده حتى وصلت الى امير المؤمنين فقيل له انه انتبه
فطلبك في منازل ابناء القواد فلم يجدك وتغيظ غيظا شديدا فدخلت عليه
ويدي في يدها فلما رآني سبني وشتمني فقلت يا امير المؤمنين لا تعجل و
حدثته الحديث فضحك وقال نحن نكافئهم عنك فاحضرهم وامر لكل واحد منهم
بثلاثين الف درهم والله اعلم انتهى (حكاية غريبة عن محلها) قال الاصمعي
دعاني بعض العرب الكرام الى قراء الطعام فخرجت معه الى البرية فأتوا بباطية
وعليها السمن غارق فجلسنا للاكل واذا باعرابي ينسف الارض نسفا حتى
جلس من غير نداء فجعل يأكل والسمن يسيل على كراعه فقلت لاضحكن الحاضرين

عليه فقلت بيت

كانك اثلة في ارض هش ... اتاها وابل من بعد رش

فالتفت الى بعين مغلقة وقال لي الكلام انثى والجواب ذكر وانت

كانك بعرة في است كبش ... مدلاة وذاك الكبش يمشي

فقلت له هل تعرف شيئا من الشعر وترويه فقال كيف لا اقول الشعر وانا امه وابوه فقلت له ان عندي قافية تحتاج الى غطاء فقال هات ما عندك فغطست في بحور الاشعار فما وجدت قافية اصعب من الواو المجزومة فقلت

اقوم بنجد عهدناهم ... سقاهم الله من النو

وقلت اتذر النو ماذا فقال

نو تلألأ في دجا ليلة ... حالكة مظلمة لو

فقلت له لو ماذا فقال

لو سار فيها فارس لانثنى ... على بساط الارض منطو

فقلت له منطو ماذا فقال

منطوي الكشح هضيم الحشا ... كالباز ينقض من الجو

فقلت له الجو ماذا فقال

جوي السما والريح تعلو به ... اشتم ريح الارض فاعلو

فقلت له فاعلو ماذا فقال

فاعلو لما عيل من صبره ... فصار نحو القوم ينعو

فقلت له ينعو ماذا فقال

ينعو رجالا للفنا شرعت ... كفيت ما لاقوا ويلقو

قال فعلمت انه لا شئ بعد الفناء ولكن اردت ان اثقل عليه فقلت له ويلقو ماذا فقال

ان كنت ما تفهم ما قلته ... فانت عندي رجل بو

فقلت له البو ماذا فقال

البو سليح قد حشي جلده		يا الف قرنان تقوم او	

فقلت له او ماذا فقال

او اضرب الرأس بصوانة		تقول في ضربتها قو	

فخفت ان اقول له قو ماذا فيضربني و يكمل البيت فقلت له انت ضيفي الليلة فقال لا يأبى الكرامة الا اللئيم فقلت لزوجتي اصنعي لنا دجاجة ففعلت فاتيته بها وجئته انا وزوجتي وابناي وبنتاي وقلت له فرق يا بدوي فقال الرأس للرأس ولعطاني الرأس وقال الولدان جناحان لهما الجناحان والبنتان لهما الرجلان والمرأة العجز لها العجز وانا زائر الزور واكل الدجاجة ونحن ننظر اليه وبتنا نتحدث فلما اصبحنا قلت لزوجتي اصنعي لنا خمس دجاجات ففعلت واتيته بالدجاج وقلت له اقسم يا بدوي فقال تريد شفعا او وترا فقلت ان الله وتر يحب الوتر فقال كانك تريد بالفرد فقلت نعم فقال انت وزوجتك ودجاجة وابناك ودجاجة وابنتاك ودجاجة وانا ودجاجتان فقلت لا ارضى بهذه القسمة فقال كانك تريد شفعا فقلت نعم فقال انت وولداك ودجاجة وزوجتك وبنتاها ودجاجة وانا وثلاث دجاجات والله لا احول عن هذه القسمة قال الاصمعي فغلبني مرتين مرة في الشعر ومرة في الدجاج ثم انصرف انتهى

خلافة امير المؤمنين الواثق بالله

قال ابنه محمد الذي يقال له المهدي بالله كان ابي الواثق بالله اذا اراد ان يقتل رجلا احضرنا في ذلك المجلس فبينما نحن عنده ذات يوم اذا اتي بشيخ مقيد فقال ائذنوا لابي عبد الله يعني ابن ابي دواد ودخل الشيخ في مصلاه فقال السلام عليك يا امير المؤمنين فقال لا سلم الله عليك فقال الشيخ يا امير المؤمنين بئسما ادبك المؤدب قال الله تعالى واذا حييتم بتحية فحيوا باحسن منها او ردوها وانت والله ما حييتني بها ولا باحسن منها فقال ابن ابي دواد يا امير المؤمنين الرجل متكلم فقال الواثق كلمه فقال للشيخ ما تقول في القرآن فقال الشيخ لم تسألني

السؤال أسأله فقال له الامير سله فقال الشيخ لابن ابى دواد ما تقول فى القرآن فقال ابن ابى دواد مخلوق فقال الشيخ هذا شئ علمه النبى صلى الله عليه وابو بكر وعمر وعثمان وعلى رضى الله عنهم اجمعين والخلفاء الراشدون ام شئ لا يعلمونه فقال شئ لا يعلمونه فقال سبحان الله شئ لا يعلمه النبى صلى الله عليه وسلم ولا ابو بكر ولا عمر ولا عثمان ولا على ولا الصحابة ولا الخلفاء الراشدون وعلمته انت قال فخجل وقال اقلنى قال قد فعلت والمسألة بحالها قال نعم قال ما تقول فى القرآن فقال مخلوق قال هذا شئ علمه النبى صلى الله عليه وسلم وابو بكر وعمر وعثمان وعلى رضى الله عنهم والخلفاء الراشدون ام لم يعلموه قال علموه ولم يدعوا الناس اليه قال افلا وسعك ما وسعهم قال ثم قام ابى فدخل مجلس الخلوة واستلقى على قفاه ووضع احدى رجليه على الاخرى وهو يقول هذا شئ لم يعلمه النبى صلى الله عليه وسلم ولا ابو بكر ولا عمر ولا عثمان ولا على ولا الخلفا الراشدون وعلمته انت سبحان الله انتهى (وذكر الحافظ ابو نعيم فى حليته) قال الحافظ ابو بكر الآجرى بلغنى عن المهدى رحمة الله انه قال ما قطع ابى يعنى الواثق الا شيخ جئ به من المصيصة فمكث فى السجن مدة ثم ان ابى ذكره يوما فقال على بالشيخ فأتى به مقيدا فلما وقف بين يديه سلم عليه فلم يرد عليه السلام فقال له يا امير المؤمنين ما سلكت بى ادب الله ولا ادب رسوله صلى الله عليه وسلم قال الله تعالى واذا حييتم بتحية فحيوا باحسن منها او ردوها وامر النبى صلى الله عليه وسلم برد السلام فقال ابى وعليك السلام ثم قال لابن ابى دواد سله فقال يا امير المؤمنين انا محبوس مقيد اصلى فى الحبس بتيمم منعت الماء فمر بقيودى تحل ومر بماء اتوضأ به اصلى ثم سلنى فامر به فحلت قيوده وامر له بماء فتوضأ وصلى ثم قال لابن ابى دواد سله فقال الشيخ المسألة لى فمره ان يجيبنى فقال سل فاقبل الشيخ على ابن ابى دواد فقال له اخبرنى عن هذا الامر الذى تدعوا الناس اليه اشئ دعا اليه النبى صلى الله عليه وسلم قال لا قال افشئ دعا اليه ابو بكر الصديق رضى الله عنه

بعده قال لا قال افتشئ دعا اليه عمر بن الخطاب بعدهما قال لا قال افتشئ دعا اليه
عثمان بن عفان بعدهم قال لا قال افتشئ دعا اليه علي بن ابي طالب بعدهم
قال لا قال الشيخ افتشئ لم يدع اليه الرسول صلى الله عليه وسلم ولا ابو بكر ولا
عمر ولا عثمان ولا علي تدعوا انت الناس اليه ليس يخلوا ان تقول علموه او جهلوه
فان قلت علموه وسكتوا عنه توسعنا وسعنا واياك من السكوت ما وسع القوم فان
قلت جهلوه وعلمته انت فيا لكع ابن لكع شيء يجهله النبي صلى الله عليه وسلم و
الخلفاء الراشدون رضي الله عنهم وتعلمه انت واصحابك قال المهتدي فرايت
ابي وثب قائما ودخل الحجرة فجعل ثوبه في فيه وجعل يضحك ثم جعل يقول
صدق الشيخ الى آخر ما تقدم وقال المهتدي ما زلت اقول القران مخلوق صدرا
من خلافة الواثق حتى اقدم علينا احمد بن دواد شيخا من اهل الشام فادخل الشيخ
على الواثق مقيدا وهو جميل الوجه تام القامة حسن الشيبة فرايت الواثق قد
استحيا منه ورق له فما زال يدنيه ويقربه حتى قرب منه فسلم عليه الشيخ فاحسن
السلام ودعا فابلغ واوجز فقال له الواثق اجلس ثم قال يا شيخ ناظر ابن ابي دواد
على ما يناظرك فقال الشيخ يا امير المؤمنين ابن ابي دواد يقل ويصغر ويضعف
عن المناظرة فغضب الواثق وعاد مكان الرقة له غضبا وقال ابو عبد الله بن ابي
دواد يقل ويصغر ويضعف عن مناظرتك انت قال الشيخ هون عليك يا امير
المؤمنين ما بك واذن لي في مناظرته فقال الواثق ما دعوتك الا للمناظرة فقال
الشيخ يا احمد يا ابن ابي دواد الام دعوت الناس ودعوتني اليه فقال ان تقول
القران مخلوق لان كل شيء دون الله مخلوق فقال الشيخ يا امير المؤمنين ان رايت ان تحفظ علي
وعليه ما تقول فقال افعل فقال الشيخ يا احمد اخبرني عن مقالتك هذه واجبة داخلة في
عقد الدين فلا يكون الدين كاملا حتى يقال فيه ما قلت قال نعم فقال الشيخ اخبرني عن رسول الله صلى الله
عليه وسلم بعثه الله عز وجل الى عباده هل ستر شيئا مما امر الله به في دينه فقال لا قال
الشيخ فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم الى مقالتك هذه فسكت ابن ابي دواد

فقال الشیخ تکلم فسکت فالتفت الشیخ الی الواثق فقال یا امیر المؤمنین قل واحدة
فقال الواثق واحدة فقال الشیخ یا احمد اخبرنی عن الله عز وجل حین انزل
آخر القران علی رسوله صلی الله علیه وسلم فقال الیوم اکملت لکم دینکم واتممت علیکم
نعمتی ورضیت لکم الاسلام دینا اکان الله صادقا فی اکماله ام انت الصادق
فی نقصانه فلا یکون کاملا حتی یقال فیه بمقالتک هذه فیکون کاملا فسکت
ابن ابی دواد فقال الشیخ اجب یا احمد فلم یجبه فقال الشیخ یا امیر المؤمنین قل اثنتان
فقال اثنتان فقال الشیخ یا احمد اخبرنی عن مقالتک هذه اعلمها رسول الله
صلی الله علیه وسلم ام جهلها فقال ابن ابی دواد علمها فقال فدعا الناس الیها
فسکت ابن ابی دواد فقال الشیخ یا امیر المؤمنین قل ثلاثة فقال الواثق ثلاثة
فقال الشیخ یا احمد فاتسع لرسول الله صلی الله علیه وسلم کما زعمت ولم یطالب
امته بها قال نعم فقال الشیخ واتسع لابی بکر الصدیق وعمر بن الخطاب وعثمان بن
عفان وعلی بن ابی طالب رضی الله عنهم فقال ابن ابی دواد نعم فاعرض الشیخ
عنه واقبل علی الواثق فقال یا امیر المؤمنین قد قدمت ان احمد یقل ویصغر و
یضعف عن المناظرة یا امیر المؤمنین ان لم یتسع لک من الامساک عن هذه
المقالة ما اتسع لرسول الله صلی الله علیه وسلم ولابی بکر وعمر وعثمان وعلی
رضی الله عنهم فلا وسع الله علی من یتسع له منا ما اتسع لهم من ذلک فقال الواثق
نعم ان لم یتسع لنا من الامساک عن هذه المقالة ما اتسع لرسول الله صلی الله
علیه وسلم ولابی بکر وعمر وعثما وعلی رضی الله عنهم فلا وسع الله علینا ثم قال
اقطعوا قید الشیخ فلما قطع ضرب الشیخ بیده فاخذ القید فوضعه فی کمه فقال
الواثق لم فعلت هذا فقال الشیخ لانی نویت ان اقدم الی من اوصی الیه اذا مت
ان یجعله بینی وبین کفنی حتی اخاصم به هذا الظالم عند الله عز وجل یوم
القیمة واقول یا رب سل عبدک هذا لم قیدنی وروع اهلی وولدی و
اخوانی بلا حق اوجب ذلک علی وبکی الشیخ فبکی الواثق وبکینا ثم ساله الواثق ان یجعله

فی حل وسعة مما ناله منه فقال الشیخ یا امیر المؤمنین لقد جعلتک فی حل وسعة من اول یوم اکراما لرسول الله صلی الله علیه وسلم اذا انت رجل من اهله فقال الواثق لی الیک حاجة فقال الشیخ ان کانت ممکنة فعلت فقال الواثق تقیم عندنا تنتفع بک فتیاننا فقال الشیخ یا امیر المؤمنین ان ردک ایای الی الموضع الذی اخرجنی منه هذا الظالم انفع لک من مقامی عندک فقال ولم ذلک فقال لاسیر الی اهلی وولدی فاکف دعاءهم عنک فقد خلفتهم علی ذلک فقال الواثق افتقبل مناصلة تستعین بها علی دهرک فقال الشیخ یا امیر المؤمنین انا غنی وذو ثروة قال فتسالنا حاجة قال وتقضیها قال نعم قال تخلی سبیلی الی السفر الساعة وتاذن لی قال اذنت لک فسلم علیه الشیخ وخرج قال صالح فقال المهتدی بالله فرجعت عن هذه المقالة من ذلک الیوم والله اعلم (فائدة) روی الدار قطنی وشیخنا الحاکم وابن عدی عن عمران النبی صلی الله علیه وسلم کان فی محفل من اصحابه اذ جاء اعرابی من بنی سلیم قد اصطاد ضبا وجعله فی کمه لیذهب به الی رحله فرای جماعة محتفین بالنبی صلی الله علیه وسلم فقال علی من هؤلاء قالوا علی هذا الذی یزعم انه نبی فاتاه فقال یا احمد ما اشتملت الناس علی ذی لهجة اکذب منک ولولا ان تسمینی العرب عجولا لقتلتک فسررت بقتلک الناس اجمعین فقال عمر یا رسول الله دعنی اقتله فقال رسول الله صلی الله علیه وسلم اما علمت ان الحلیم کاد ان یکون نبیا ثم اقبل الاعرابی علی رسول الله صلی الله علیه وسلم فقال واللات والعزی لا آمنت بک حتی یؤمن بک هذا الضب واخرج الضب من کمه وطرحه بین یدیه رسول الله صلی الله علیه وسلم فقال رسول الله صلی الله علیه وسلم یا ضب فتکلم الضب بلسان فصیح عربی صریح یفهمه القوم جمیعا فقال لبیک وسعدیک یا رسول رب العالمین فقال رسول الله صلی الله علیه وسلم من تعبد قال الذی فی السماء عرشه وفی الارض سلطانه وفی البحر سبیله وفی الجنة رحمته وفی النار عذابه قال فمن انا یا ضب قال انت رسول رب العالمین وخاتم

النبيين قد افلح من صدقك وخاب من كذبك فقال الاعرابي اشهد ان لا اله الا الله
وانك رسول الله حقا والله لقد اتيتك وما على وجه الارض احد ابغض مني اليك
والله لانت الساعة احب الي من نفسي ومن ولدي فقد آمن بك شعري وبشري و
داخلي وخارجي وسري وعلانيتي فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم الحمد لله
الذي هداك الى هذا الدين الذي يعلو ولا يعلى عليه ولا يقبله الله تعالى
الا بصلاة ولا يقبل الصلوة الا بقراءة قال فعلمني فعلمه النبي صلى الله عليه وسلم
الحمد لله وقل هو الله احد فقال يا رسول الله ما سمعت في البسيط ولا في الوجيز
احسن من هذا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان هذا كلام رب العالمين
وليس بشعر اذا قرأت قل هو الله احد ثلاثا او قال ثلاث مرات فكانما قرأت القرآن
كله فقال الاعرابي ان الهنا يقبل اليسير ويعطي الكثير انتهى باختصار من حياة الحيوان
الكبرى ووقف رجل على الواثق فقال يا امير المؤمنين صل رحمك وارحم اقاربك
وارحم رجلا من اهلك فقال الواثق من انت فاني لا اعرفك قبل اليوم قال ابن خليلك
آدم فقال يا غلام اعطه درهما فقال يا امير المؤمنين وما اصنع بالدرهم قال ارأيت
لو قسمت المال بين اخوتك اولاد جدك اكان ينوبك منه حبة فقال لله درك
ما اذكى فهمك فامر له بعطاء وانصرف مكرما

خلافة المتوكل على الله

(حكي عنه) انه قال ذات يوم لابي العيناء ما اشد ما مر عليك في ذهاب عينيك
فقال فقد رؤيتك يا امير المؤمنين فاستحسن منه هذا الجواب وامر له بجائزة
نفيسة (ومما حكاه ابو القاسم علي بن محمد الذهبي) عن ابي عبد الله النحوي
قال لما حج محمد بن عبد الله بن طاهر راى في الطواف جارية في نهاية الحسن
فسأل عنها فقيل انها لرجل من الادباء قد رواها الاشعار والاخبار والنحو و
العروض وقد احسنت ضرب العود وطريق الغناء فاشتراها بمائة الف درهم
فلما قدم بها مدينة دار السلام شغف بها شغفا شديدا واخفى امرها وما

ومايجده منها تخوفا من امير المؤمنين المتوكل وكان من شدة وجده بها يعتبر
عندها اياما لايظهر للناس فيظنون انه زمن وامره معها مستور ففطن به
سويد بن ابي العالية صاحب البريد وكان بينه وبين محمد منافرة فلم يجد سويد
مايكيده به الا ان كتب الى المتوكل وهو نازل على اربعة فراسخ من بغداد كتابا
نسخته (بسم الله الرحمن الرحيم) اما بعد يا امير المؤمنين فان محمد بن عبد الله اشترى
جارية بثمانمائة الف درهم فهو يصطبح معها ويغتبق زمانه كله معها وقد اشتغل
بها عن النظر في امور المسلمين وعن التوقيع في قصص المظلومين ولا يأمن
امير المؤمنين ان تخرب عليه بغداد مع كثرة ما فيها من الغوغاء فيتعب امير
المؤمنين في اصلاحها وقد انهى المملوك ذلك امير المؤمنين ايده الله وهو
اعلى رأيا والسلام عليه ورحمة الله وبركاته) قال فلما قرأ المتوكل الكتاب رفع
رأسه الى نرجس الخادم وقال له امض الساعة الى محمد بن عبد الله بن طاهر
وادخل عليه داره بغتة من غير اذن وانظر الى ما يصنع ثم خذ منه جاريته
فلانة وأت بها من غير تأخير فمضى نرجس من ساعته وكان محمد قد اصطبح
معها في ذلك اليوم فدخل عليهما نرجس من غير استئذان فلم يشعر محمد الا وهو
واقف عليه فتغير وجهه وانتقع لونه وفاضت عيناه وارتعدت فرائصه لعلمه
ان نرجسا ما دخل عليه من غير اذن الا وقد اضمر له السوء فقال له يا نرجس ما الذي
اقدمك قال امير المؤمنين امرني اني آخذ جاريتك هذه قال يا نرجس هذا
يوم قد حضر شره وغاب خيره وقد ترى ما نحن فيه وانا لا اخالف ما امر به
امير المؤمنين ثم امر للخادم بكرسي فجلس عليه بعد ان امتنع ساعة وقال ان مثلي
لايجلس مع مثلك ثم ان محمدا نظر الى الجارية وبكى بكاء شديدا وقال لها غني
لا تزودمنك فاخذت العود وغنت بصوت حزين تقول

لله من لمعذبين وما هما	بثمانة العذال والحساد
اما الرحيل فحين جد تحملت	مهج النفوس به من الاجساد

ثم انهما اعلنا بالبكاء والنحيب والشهيق فرحمهما الخادم ورق لهما حين عاين ما حل بهما فقال ايها الاصراي وابيت ان امضي وادعكما على ما انتما عليه واتعلل عنكما لامير المؤمنين فعلت فقال يا نرجس من خلفه مثل ابي سويد كيف يمكنه التعلل ولكن ارفق بنا فقالت الجارية والله يا سيدي لا يملكني غيرك ابدا ولئن دفعتني اليه لاقتلن نفسي فقال لها محمد لو كان غير امير المؤمنين لكان لي في ذلك اوسع حيلة ولقد وددت ان ياخذ مني يا امير المؤمنين جميع ما املك ويعزلني عن عملي ويبقيك علي ولكن هذا قضاء الله وقدره ثم التفت الى نرجس وقال لقد شاهدت مني ومن هذه الجارية ما شهد قلبك علينا بالمحبة والمودة والالفة وليس يخفى عن علمك ان صنائع المعروف تقي مصارع السوء ومثلك من يصنع المعروف مع مثلي فخذها وامض بها الى امير المؤمنين وقل ما شئت مما يليق بمروتك ثم التفت اليها وقبلها وبكى وبكت وبكى نرجس ثم اخذها وخرج وهي تبكي وتخمش خدها ووجهها ثم حملها نرجس على بغلة امير المؤمنين وسار حتى دخل على المتوكل فلما رآه قال ما وراءك يا نرجس فقال وراي يا امير المؤمنين كل بلية ثم انه جلس بين يديه وقص عليه حالهما ولم يخف منه شيئا فقال المتوكل وكل هذا الوجد يجد محمد من هذه الجارية فقال يا امير المؤمنين والذي خفي اكثر مما ظهر وما اظنه يعيش بعدها فرق عليه قلب المتوكل وقال يا نرجس ارجع بها اليه الساعة من وقتك هذا وادركه قبل ان تزهق روحه وقد امرت له بمائة الف درهم ولها مع ذلك مثله وجعلت امر ابي سويد اليه يصنع به ما يشاء ثم كتب له توقيعا بذلك ودفعه الى نرجس فرجع الخادم بالجارية والتوقيع ولم يتمهل حتى دخل عليه فوجده عريانا يتقلب على حصر سامان من شدة الكرب والوجد وقد احدقت به الجواري يروحنه بالمراوح فقال ابشر يا محمد ان امير المؤمنين قد رد جاريتك عليك من غير ان يوقع نظره عليها وقد حكمك في ابي سويد ثم ناوله التوقيع بذلك ودخلت الجارية عليه فوثب

اليها وعانقها وقبلها ساعة ثم خرج فجلس على باب داره وبعث الى ابى سويد فلما حضر دفع اليه التوقيع فلما قراه قال اعوذ برضاك من سخطك وبعفوك من عقوبتك وان تهدم منى ركنا انت شيدته وان تضيع صنيعة اصطنعتها الى مثلى فمثلى من هفا ومثلك من عفا ثم قام وقبل البساط فقال له محمد لا ابدل نعمة الله كفرا ثم امر له بخمسين الف درهم فقالت الجارية وانا ايضا اهب له خمسين الف درهم مما وهبه لى امير المؤمنين شكرا لله تعالى على ذلك ثم اقره على ما كان عليه وامر ان يحمل المال بين يديه الى منزله ورجع محمد والجارية الى ما كانا عليه فى اطيب عيش واحسن حال متظاهرا بذلك غير مستتر ولا خائف انتهى واتى للمتوكل بمحمد بن النصيب ووزيره ابن الديروانى وكان محمد هذا قد خرج على المتوكل واستوزر ابن الديروانى فلما مثل بين يدى المتوكل قال له ما حملك على ما فعلت يا محمد قال الشقوة وحسن الظن بعفوك يا امير المؤمنين وانشد يقول

ابى الناس الا انك اليوم قاتلى	امام الهدى والعفو بالحر اجمل
تضاءل ذنبى عند عفوك قلة	فجد لى بعفو منك فالعفو افضل

فقال المتوكل خلوا سبيله ثم قدم ابن الديروانى فقال اضربوا عنقه فقال سبحان الله يا امير المؤمنين تعفو عن الرأس وتقطع الذنب فضحك المتوكل وعفا عنه انتهى (وكتب محمد بن عبد الملك بن الزيات) وهو فى السجن وقد اشتد به الحال رقعة الى المتوكل يستعطفه على نفسه من شدة ما قاسى من الاهوال والعذاب فى السجن يقول فيها هذين البيتين

هى السبيل فمن يوم الى يوم	كفرحة النائم الفرحان باليوم
لا تعجلن رويدا انها دول	دنيا تنقل من قوم الى قوم

فلما قراها المتوكل رق له وبكى وامر باطلاقه فذهبوا الى السجن فوجدوه ميتا رحمه الله

خلافة امير المؤمنين المعتصم بالله احمد

كان يسمى السفاح الثانى لانه جدد ملك بنى العباس بعد ان اخلقته الاتراك واذلته
وفى ذلك يقول على بن العباس الرومى

كما بابى العباس انشئ ملككم	كذا بابى العباس ايضا يجدد

ولقد اتفق فى ايامه على ما حكى امر فظيع كشفه الله له بهيبته فى نفوس الناس فانه
كان لا يتجرأ احد منهم ان يكتم ما فى نفسه مخافة صولته لانه كان لشدة حذقه يخيل
لهم انه يعلم ما فى نفس الانسان من الضمير فاتفق ان احد وزرائه واكبر قواده
بنى بناء عاليا مشرفا على منازل جيرانه فلم يعارضه احد فيه من جيرانه لمكانته
من سلطانه وعزه وكان يجلس كثيرا فى ذلك البناء فراى يوما من الايام فى دار من
دور جيرانه جارية بارعة الجمال فاولع بها فسأل عنها فاخبر انها بنت احد التجار
فارسل الى والدها خاطبا فقال له ابوها وكان من اهل اليسار لست ازوجها
الا من تاجر مثلى فانه ان تزوجها من هو مثلى لم يظلمها وان ظلمها قدرت على النصفة
منه وانت ان ظلمتها لم اقدر لها على النصفة منك ولا على الحيلة لنصرتها فلم يزل
يرومه فى ذلك بكل امر وتوسط اليه الاكابر والاماثل من الناس وهو مع
ذلك يمتنع فلما ييئس منه ان يجيبه شكى الى احد خواصه فقال له الف مثقال يقوم
لك هذا فقال كيف ذلك والله لو علمت انى انفق عليها مائتى الف مثقال او اكثر
وتأتينى بها لفعلت قال له عليك ان تحضر لى الف دينار فامر باحضارها فمشى
بها ذلك الرجل الى عشرة رجال كانوا اعدولا عند القاضى فى شهادتهم وذكر لهم الامر
وقال هذا امر ليس عليكم من الله فيه تبعة فانه يصدقها كذا وكذا الفا وعلى لهم المهر
وانكم تحيون نفسا اشرفت على الهلاك ويكون لكم عنده مع هذا من الجاه ما
ترغبون وابوها انما هو عاضل لها فى الزواج والا فما يمنعه من ذلك وقد خطبها
مثل فلان فى جلالة قدره ومكانة امره وقد اعطاه صداقا لا يعطى الا لبنت ملك
ثم هو مع هذا يابى هل هذا الاعضل بين ولكن لكم الف مثقال لكل واحد منكم
مائة وتشهدون انه قد زوجها منه فانه اعلم ابوها بانكم قد شهدتم عليه رجع

الى هذا اذ ليس فيه الا الخير والخيرة فاخذ الشهود كل واحد مائة وشهدوا ان
اباها زوجها على صداق مبلغه كذا لو رفعوا في الصداق الى غاية ما ترفع اليه صدقات
الملوك فلما علم ابوها بذلك زاد نفارا واباء فمشى الوزير وذلك القائد الى القاضي
وقال انى تزوجت فلانة بنت فلان على هذا الصداق وهؤلاء شهدوا عليه ثم
قد ناكرني وانكر الشهود وقد اردت ان ادفع له حق ابنته واخذها فامر القاضي
باحضار الشهود فشهدوا عنده واحضر مال النقد بين يدي القاضي والرجل على
انكاره متماديا فامر القاضي بامضاء الحكم عليه وان تؤخذ ابنته منه احب او كره
وامر بحمل المال اليه فلما حصلت الجارية عند الوزير لم يزل ابوها يروم الوصول
الى المعتصم وكان المعتصم غليظ الحجاب لا يصل اليه احد من غير الخاصة فقيل للرجل
انه يحضر كل يوم ساعة من النهار على بنيان له بقصره فان استطعت ان تكون
مع جملة رجال الخدمة تصل اليه وتكلمه بما اردت ففعل الرجل ذلك وغير شكله
ودخل في جملة رجال الخدمة للبناء فلما كان في ذلك الوقت الذي كانت عادة
امير المؤمنين المعتصم يقف على ذلك البناء خرج ذلك الرجل فترامى الى الارض
وجعل يحثو التراب على راسه ويستغيث فسأله عن شأنه فقص عليه القصة فارسل
المعتصم في ذلك المقام خلف ذلك القائد واغلظ عليه في القول فحملته هيبته له
وقلة اقدامه على الكذب له ان وصف له الصورة على ما كانت عليه وهو يطمع ان
يعذره في ذلك اذ قد جعل لها من الصداق ما هو فوق قيمة قدرها وامر
باحضار الشهود فصنعوا مثل صنيع صاحبهم وذلك كله رهبة له واجلالا ان
يخاطبوه بكذب مع تخيلهم انه يصفح لهم عن هذه الزلة اذ قد اراد واحياء نفس
ذلك الوزير وايضا قد دفع له بين يدي القاضي نقدا لا يكون الا في صداقات الملوك
وقد جعل لها من الصداق ما هو فوق قيمة قدرها فكانه قد اخذها بحقها واكثر
من حقها فلما تحققت عنده جلية الخبر امر ان يصلب كل شاهد منهم على باب داره
وان يوضع ذلك الوزير في جلد ثور طري السلخ ويضرب بالمرازب حتى يختلط عظمه

ولحمه

ولحمه ودمه ثم امر به لما صنع به ذلك ان يفرغ بين يدي نمور كانت عنده فلما
لعقت تلك النمور ذلك الدم امر الرجل صاحب البنت ان ياخذ ابنته و ياخذ كل ما
ذكر وللها على ذلك الوزير فى صداقها من عقار وعدور ومال ثم مات المعتصم وولي
ابنه المقتدر وكان صبيا صغير السن فعادت الاتراك الى ما كانت عليه من ذلك
والله تعالى اعلم (ويقرب من شبها منه هذا الملك) ما ذكره فى حياة الحيوان فى ترجمة
يعقوب بن يوسف بن عبد المؤمن صاحب البلاد المغرب من انه وقع بينه وبين
الاذفونش نصرانى طليطلة مكاتبات قال بعث الاذفونش الى الامير يعقوب
يتوعده ويتهدده ويطلب منه بعض حصون وكتب له رسالة من انشاء وزيره
ابن الفخار وهى (باسمك اللهم فاطر السموات والارض وصلى الله على السيد المسيح روح الله
وكلمته الفصيح اما بعد فانه لا يخفى على ذى ذهن ثاقب ولا ذى عقل لازب انك امير الملة الحنيفية كما انى امير
الملة النصرانية وقد علمت ما عليه رؤساء الاندلس من التخاذل والتواكل والتكاسل واهمالهم امر الرعية
واخلادهم الى الراحة والامنية وانا اسومهم بحكم القهر واخلاء الديار وسبي الذرارى
وامثل بالرجال واذيقهم عذاب الهوان وشديد النكال ولا عذر لك فى التخلف
عن نصرتهم اذا امكنتك القدرة وساعدك من عساكرك وجنودك كل ذى راى
وانتم تزعمون ان الله تعالى قد فرض عليكم قتال عشرة منا بواحد منكم والان خفف
الله عنكم وعلم ان فيكم ضعفا رحمة منه ونحن الان نقاتل عشرة منكم بواحد منا لا
تستطيعون دفاعا ولا تملكون امتناعا ولقد حكى عنك انك اخذت فى الاحتفال واشرفت
على ربوة القتال وتماطل نفسك سنة بعد اخرى تقدم رجلا وتؤخر اخرى فلا
ندرى اكان الجبن ابطاك ام التكذيب بما وعد ربك ثم قيل لى انك لا تجد الى الجواز
سبيلا ولعله لا يسوغ لك التقحم فيه ميلا وها انا اقول لك ما فيه الراحة واعتذر
عنك ولك على ان تفى بالعهود والمواثيق والاستكثار من البرهان والا جئت
بجملتى اليك واقاتلك فى اعز الاماكن عليك فان كانت النصرة لك كانت غنيمة كبيرة
جاءت اليك وان كانت لى كانت يدى العليا عليك والله الموفق للشقاق لا رب غيره

ولا خير الا خبر قال فمزق يعقوب الكتاب وكتب على قطعة منه ارجع اليهم فلنأتينهم بجنود لا قبل لهم بها ولنخرجنهم منها اذلة وهم صاغرون الجواب ما ترى لا ما تسمع واستشهد ببيت المتنبي

ولا كتب الا المشرفية عنده	ولا رسله الا الخميس العرمرم

ثم امر بكتب الاستنفار واستدعاء الجيوش من الامصار وضرب السرادقات من يومه بظاهر البلد وصار الى البحر المعروف بزقاق سبتة فعبر فيه الى الاندلس ودخل الى بلاد الافرنج فكسرهم كسرة شنيعة وعاد بغنائمهم والله اعلم (ومن غرائب المنقول وعجائبه) عن الامير بدر الدين ابي المحاسن يوسف المهمندار المعروف بمهمندار العرب انه قال حكى لي الامير محمد شجاع الدين الشيرازي متولي القاهرة في ايام الكامل سنة ثلاثين وستمائة قال بتنا عند رجل بالصعيد فاكرمنا وكان الرجل شديد السمرة وهو شيخ كبير فحضر له اولاد بيض الوجوه حسان الاشكال فقلنا له هؤلاء اولادك قال نعم ثم قال كانكم انكرتم على بياضهم وسوادي قلنا نعم فقال هؤلاء كانت امهم افرنجية اخذتها ايام الملك الناصر صلاح الدين وانا شاب فقلنا وكيف اخذتها قال حديثي معها عجيب وامري غريب فقلنا اتحفنا به فقال زرعت كتانا في هذه البلدة وقلعته ونفضته فصرفت عليه خمسمائة دينار ثم لم يبلغ الثمن اكثر من ذلك فحملته للقاهرة فلم يصل اكثر من ذلك فاشير علي بحمله الى الشام فحملته فلم يزد على تلك القيمة شيئا فوصلت به الى عكا فبعت بعضه لاجل والبعض تركته واكتريت حانوتا لابيع على مهل الى ان تنقضي المدة فبينما انا ابيع اذ مرت بي امرأة افرنجية ونساء الافرنج يمشون في الاسواق بلا نقاب فاتت تشتري مني كتانا فرايت من جمالها ما ابهرني فبعتها وسامحتها ثم انصرفت واتت لي بعد ايام فبعتها وسامحتها اكثر من المرة الاولى فتكررت الي وعلمت اني احبها فقلت للعجوز التي كانت معها انني قد تلفت بحبها واريد منك الحيلة فقالت لها العجوز ذلك فقالت تروح ارواحنا الثلاثة انا وانت وهو ناعات

على الجواب فقلت لها اما انا فقد سمحت بروحى فى حبها واتفق الحال على ان ادفع
لها خمسين دينارا فوزنتها وسلمتها للعجوز فقالت نحن الليلة عندك قال فمضيت
ما جهزت ما قدرت عليه من مأكول ومشروب وشمع وحلوى فجاءت الافرنجية
فاكلنا وشربنا وجن الليل ولم يبق غير النوم فقلت فى نفسى اما تستحى من الله وانت
غريب تعصى الله مع نصرانية اللهم انى اشهدك انى قد عففت عنها فى هذه الليلة
حياء منك وخوفا من عقابك ثم نمت الى الصبح فقامت من السحر وهى غضبانة و
مضت ومضيت الى حانوتى فجلست فيه فاذا هى قد عبرت على والعجوز وهى مغضبة
وكانها القمر فهلكت وقلت فى نفسى ومن هو انت حتى تترك هذه البارعة فى
حسنها ثم لحقت العجوز وقلت لها ارجعى فقالت وحق المسيح ما ارجع لك الا بمائة
دينار فقلت نعم ليتم الله فمضيت فوزنت مائة دينار فلما حضرت الجارية عندى
لحقتنى الفكرة الاولى وعففت عنها وتركتها حياء من الله تعالى ثم مضت و
مضيت الى موضعى ثم عبرت على بعد ذلك وقالت وحق المسيح ما عدت تفرح
بى عندك الا بخمسمائة دينار او تموت كمدا فارتعت لذلك وعزمت على انى اصرف
ثمن الكتان جميعه فبينما انا كذلك والمنادى ينادى معاشر المسلمين ان الهدنة
التى كانت بيننا وبينكم قد انقضت وقد امهلنا من هنا من المسلمين الى جمعة فانقطعت
عنى واخذت فى تحصيل ثمن الكتان الذى لى والمصالحة على ما بقى منه واخذت
معى بضاعة حسنة وخرجت من عكا وفى قلبى من الافرنجية ما فيه فوصلت الى
دمشق وبعت البضاعة باوفى ثمن بسبب فراغ الهدنة ومن الله على بكسب وافر
واخذت اتجر فى الجوارى لعل يذهب ما بقلبى من الافرنجية فمضت ثلاث سنين
وجرى للملك الناصر ما جرى من وقعة حطين واخذ جميع الملوك وفتح بلاد الساحل
باذن الله تعالى فطلب منى جارية للملك الناصر فاحضرت له جارية حسناء
فاشتراها منى بمائة دينار فوصلوا الى تسعين دينارا وبقيت العشرة دنانير
عنده فلم يجدوها فى خزانة الملك فى ذلك اليوم لانه انفق جميع الاموال

فلما حضرت الغنيمة جاء الملك فشاوروه على ذلك فقال امضوا به الى الخيمة التي فيها
السبي من نساء الافرنج فخيروه في واحدة منهن ياخذها بالعشرة دنانير التي
بقيت له فاتيت الخيمة فعرفت غريمتي فقلت اعطوني هذه الجارية فاخذتها
ومضيت الى خيمتي وخلوت بها وقلت لها اتعرفيني قالت لا فقلت لها انا صاحبك
التاجر الذي جرى لي معك ما جرى واخذتي مني الذهب وقلت ما عدت
تراني عندك الا بخمسمائة دينار وقد اخذتك ملكا بعشرة دنانير فقالت مد يدك
انا اشهد ان لا اله الا الله واشهد ان محمدا رسول الله فاسلمت وحسن اسلامها فقلت
والله لا وصلت اليها الا بامر القاضي فتوجهت الى ابن شداد وحكيت له ما جرى
فتعجب وعقد لي عليها وباتت تلك الليلة عندي فحملت مني ثم رحل العسكر و
اتينا دمشق فبعد مدة يسيرة ارسل الملك يطلب الاسارى والسبايا باتفاق
وقع بين الملوك فردوا من كان اسيرا من الرجال والنساء ولم يبق الا التي عندي
فطلبت مني فحضرت وقد تغير لوني فاحضرتها بين يدي الملك الناصر والرسول
فقلت هذه اسلمت وصارت امراتي فقال الملك الناصر بحضرة الرسول
اترجعين الى بلادك او الى زوجك فقد فككنا اسرك واسر غيرك فقالت يا
مولانا السلطان انا قد اسلمت وحملت وها بطني كما ترونه ولم يبق لي رغبة في
الرجوع الى بلادي ولا رغبتي الا في الاسلام وزوجي فقال لها الرسول ايما احب
اليك هذا المسلم او زوجك الافرنجي فاعادت عبارتها الاولى فقال الرسول
لمن معه من الافرنج اسمعوا كلامها ثم قال لي الرسول خذ زوجتك وتوجه
فوليت بها فطلبني ثانيا وقال ان امها ارسلت معي كسوة وقالت ان ابنتي اسيرة
واشتهي ان توصل لها هذه الكسوة فتسلمت الكسوة ومضيت الى الدار ففتحت
القماش فاذا هو قماشها بعينه قد سيرته لها امها ووجدت من داخله الصرتين
الذهب الخمسين دينار والمائة دينار كما هي بربطتي فلم يتغير وهؤلاء الاولاد
منها وهي التي صنعت لكم هذا الطعام والله اعلم (ويحكى ان بعض الملوك

ارسل رجلا من بطانته الى بعض الجهات ليعرف خبرعاملها ويطالعه باخبار الرعية
فلما وصل الرجل فطن له العامل فارسل اليه بمال وتحف ثم قال عرفت ماجئت له
وانا ارغب اليك فى كتاب تكتبه الى الملك تذكر فيه انى حسن السيرة وسالك طريق
العدل فان انت فعلت ذلك فلك منى ما تشتهى رغبتك اليه من الخير والعطاء وان
ابيت ذلك امرت الشرطيين ان ينهوا الى من امرك فى الملاء ما يوجب قتلك اما
حدا واما سياسة فاقتلك بمحضر من قاضى البلد ووجوه الناس فتذهب كامس الماضى
فلما لم يجد الرجل بدا من موافقته ولم يكن ليعوق مرسله كتب بحضرته كتابا الى الملك
(اما بعد اعز الله الملك واكرمه فانى قدمت الى مدينة كذا وكذا فوجدت العامل
فلانا آخذا بالحزم عاملا بالعزم قد ساوى بين رعيته وعدل بينهم فى اقضيته
وارضى بعضهم عن بعض وجعل طاعته عليهم فرضا وانزلهم منزلة الاولاد و
اذهب ما بينهم من الاحقاد واراحهم من السعى فى الدنيا وفرغهم للعمل فى الاخرى
اغنى القاصد وارضى الوارد فجميع اهل عمله داعون للملك يودون النظر الى
وجهه الكريم والسلام) فلما وصل الكتاب منه الى الملك فكر فيه وقال للوزير ان
فلانا لم يكن عندى بمتهم فان كتابه هذا يدل على ظلم العامل فالتمس لى رجلا
يصلح لعمله فانى قد عزلته فقال الوزير اصلح الله الملك وكيف ذلك قال لان
قوله آخذا بالحزم عاملا بالعزم اى انه خائف منى لما اعتمده فى الولاية واما قوله
ساوى بين رعيته وعدل بينهم فى اقضيته فمعناه انه لم يخص احدا بظلمه بل الجميع
سواء وقوله وارضى بعضهم عن بعض اى ذهبت احقادهم لان الشدائد تذهب
الاحقاد وقوله انزلهم منزلة الاولاد معناه اخذ اموالهم ورأى انها له اخذا من
قوله صلى الله عليه وسلم انت ومالك لابيك وقوله واراحهم من السعى فى الدنيا
معناه انه اخذ اموالهم ولم يترك لهم ما يسعون به ولا ما به يتجرون وقوله فرغهم
للعمل فى الاخرى معناه انهم لزموا المساجد والعبادة لفقرهم وقوله اغنى الوارد
وارضى القاصد فانه يعنى نفسه اى انه اعطاه مالا ليكتب الى بذلك واما قوله

جميع اهل عمله داعون لنا معناه ان يبصرنا الله بامرهم ونطلع على ماهم فيه وقوله
يودون النظر لوجهنا اى يشكون الينا مالقوه منه ويستغيثون بنا ثم ان الملك
طلب العامل واحضره الى بابه وانصف الناس منه ورد عليهم ماكان العامل
ظلمهم فيه واقتص منه فيما وجب عليه فيه القصاص وقابله على افعاله والله اعلم

وهذه قصيدة الزينبية

صرمت حبالك بعد وصلك زينب	والدهر فيه تصرم وتقلب
نشرت ذوائبها التى تزهو بها	سودا ورأسك كالثغامة اشيب
واستنفرت لما رأتك وطالما	كانت تحن الى لقاك وترغب
وكذاك وصل الغانيات فانه	آل ببلقعة وبرق خلب
فدع الصبا فلقد عداك زمانه	وازهد فعمرك مر منه الاطيب
ذهب الشباب فماله من عودة	وأتى المشيب فاين منه المهرب
دع عنك ماقد كان فى زمن الصبا	واذكر ذنوبك وابكها يامذنب
واذكر مناقشة الحساب فانه	لابد يحصى ماجنيت ويكتب
لم ينسه الملكان حين نسيته	بل اثبتاه وانت لاه تلعب
والروح فيك وديعة اودعتها	ستردها بالرغم منك وتسلب
وغرور دنياك التى تسعى لها	دار حقيقتها متاع يذهب
والليل فاعلم والنهار كلاهما	انفاسنا فيها تعد وتحسب
وجميع ماخلفته وجمعته	حقا يقينا بعد موتك ينهب
تبا لدار لا يدوم نعيمها	ومشيدها عما قليل يخرب
فاسمع هديت نصيحة اولاكها	بر نصوح للانام مجرب
صحب الزمان واهله مستبصرا	ورأى الامور بما تؤوب وتعقب
لاتأمن الدهر الخؤن فانه	مازال قدما للرجال يؤدب
وعواقب الايام فى غصاتها	مضض يذل لها الاعز الانجب

فعليك تقوى الله فالزمها تفز ... ان التقي هو البهي الاهيب
واعمل بطاعته تنل منه الرضا ... ان المطيع له لديه مقرب
فاقنع ففي بعض القناعة راحة ... واليأس عما فات فهو المطلب
فاذا طمعت كسيت ثوب مذلة ... فلقد كسي ثوب المذلة اشعب
وتوق من غدر النساء خيانة ... فجميعهن مكايد لك تنصب
لا تأمن الانثى حياتك انها ... كالافعوان يراع منه الانيب
لا تأمن الانثى زمانك كله ... يوما ولو حلفت يمينا تكذب
تغري بلين حديثها وكلامها ... واذا سطت فهي الصقيل الاشطب
وابدأ عدوك بالتحية ولتكن ... منه زمانك خائفا تترقب
واحذره ان لاقيته متبسما ... فالليث يبدو نابه اذ يغضب
ان العدو وان تقادم عهده ... فالحقد باق في الصدور مغيب
واذا الصديق رايته متملقا ... فهو العدو وحقه يتجنب
لا خير في ود امرئ متملق ... حلو اللسان وقلبه يتلهب
يلقاك يحلف انه بك واثق ... واذا توارى عنك فهو العقرب
يعطيك من طرف اللسان حلاوة ... ويروغ منك كما يروغ الثعلب
وصل الكرام وان جفوك بهفوة ... فالصفح عنهم بالتجاوز اصوب
واختر قرينك واصطفيه تفاخرا ... ان القرين الى المقارن ينسب
ان الغني من الرجال مكرم ... وتراه يرجى ما لديه ويرغب
ويبش بالترحيب عند قدومه ... ويقام عند سلامه ويقرب
والفقر شين للرجال فانه ... حقا يهون به الشريف الانسب
واخفض جناحك للاقارب كلهم ... بتذلل واسمح لهم ان اذنبوا
ودع الكذوب فلا يكن لك صاحبا ... ان الكذوب يشين حرا يصحب
وزن الكلام اذا نطقت ولا تكن ... ثرثارة في كل ناد تخطب

واحفظ لسانك واحترز من لفظه … فالمرء يسلم باللسان ويعطب
والسر فاكتمه ولا تنطق به … ان الزجاجة كسرها لا يشعب
وكذاك سر المرء ان لم يطوه … نشرته السنة تزيد وتكذب
لا تحرصن فالحرص ليس بزائد … في الرزق بل يشقي الحريص ويتعب
ويظل ملهوفا يروم تحيلا … والرزق ليس بحيلة يستجلب
كم عاجز في الناس ياتي رزقه … رغدا ويحرم كيس ويخيب
وارع الامانة والخيانة فاجتنب … واعدل ولا تظلم يطيب المكسب
واذا اصابك نكبة فاصبر لها … من ذا رايت مسلما لا ينكب
واذا رميت من الزمان بريبة … اونالك الامر الاشق الاصعب
فاضرع لربك انه ادنى لمن … يدعوه من حبل الوريد واقرب
كن ما استطعت عن الانام بمعزل … ان الكثير من الورى لا يصحب
واحذر مصاحبة اللئيم فانه … يعدي كما يعدي السليم الاجرب
واحذر من المظلوم سهما صائبا … واعلم بان دعاءه لا يحجب
واذا رايت الرزق عز ببلدة … وخشيت فيها ان يضيق المذهب
فارحل فارض الله واسعة الفضا … طولا وعرضا شرقها والمغرب
ولقد نصحتك ان قبلت نصيحتي … فالنصح اغلى ما يباع ويوهب

انتهى من حياة الحيوان وما احسن قول صالح بن عبد القدوس

المرء يجمع والزمان يفرق … ويظل يرقع والخطوب تمزق
ولان يعادي عاقلا خير له … من ان يكون له صديق احمق
فارغب بنفسك ان تصادق احمقا … ان الصديق على الصديق مصدق
وزن الكلام اذا نطقت فانما … يبدي عقول ذوي العقول المنطق
ومن الرجال اذا استوت احلامهم … من يستشار اذا استشير فيطرق
حتى يجيل بكل واد قلبه … فيرى ويعرف ما يقول وينطق

لا الفينك ثاويا في غربة ... ان الغريب بكل سهم يرشق
ما الناس الا عاملان فعامل ... قد مات من عطش وآخر يغرق
لو يرزقون الناس حسب عقولهم ... الفيت اكثر ما ترى يتصدق
لكنه فضل المليك عليهم ... هذا عليه موسع ومضيق
واذا الجنازة والعروس تلاقيا ... ورايت دمع نوائح يترقرق
سكت الذي تبع العروس مبهتا ... ورايت من تبع الجنازة ينطق
واذا امرؤ لسعته افعى مرة ... تركته حين يجر حبل يفرق
بقي الذين اذا يقولوا يكذبوا ... ومضى الذين اذا يقولوا يصدقوا

(وذكر ابن الجوزي في الاذكياء وغيره) ان عمران بن حطان كان احد الخوارج وهو القائل يمدح عبد الرحمن بن ملجم المرادي لعنهما الله تعالى على قتل الامام

(علي بن ابي طالب رضي الله عنه وكرم وجهه)

يا ضربة من تقي ما اراد بها ... الا ليبلغ من ذي العرش رضوانا
اني لاذكره يوما فاحسبه ... اوفى البرية عند الله ميزانا
اكرم بقوم بطون الارض اقبرهم ... لم يخلطوا دينهم بغيا وعدوانا

فبلغت القاضي ابا الطيب الطبري رحمه الله هذه الابيات فقال مجيباله

اني لابرا مما انت قائله ... عن ابن ملجم الملعون بهتانا
اني لاذكره يوما فالعنه ... دينا والعن عمران بن حطانا
عليك ثم عليه الدهر متصلا ... لعائن الله اسرارا واعلانا
فانتم من كلاب النار جاء لنا ... نص الشريعة برهانا وتبيانا

اشار ابو الطيب رحمه الله تعالى الى قوله صلى الله عليه وسلم الخوارج كلاب النار انتهى من حياة الحيوان ومنه ما روى عن نافع عن ابن عمر رضي الله عنه قال جاؤا برجل الى النبي صلى الله عليه وسلم فشهدوا عليه انه سرق جملا لهم فامر به النبي صلى الله عليه وسلم ان يقطع فولى الرجل وهو يقول اللهم صل على محمد

حتى لا يبقى من صلاتك شئ وبارك على محمد حتى لا يبقى من بركاتك شئ وسلم على محمد حتى لا يبقى من سلامك شئ فتكلم الجمل وقال يا محمد انه برئ من سرقتى فقال النبى صلى الله عليه وسلم من يأتينى بالرجل فابتدره سبعون من اهل بدر فجاؤا به الى النبى صلى الله عليه وسلم فقال يا هذا ما قلت آنفا فاخبره بما قال فقال النبى صلى الله عليه وسلم لك نظرت الملائكة يخترقون سكك المدينة حتى كادوا يحولون بينى وبينك ثم قال النبى صلى الله عليه وسلم لتردن على الصراط ووجهك اضوء من القمر ليلة البدر انتهى

(وهذه القصيدة يقال انها لامير المؤمنين الراضى بالله)

زيادة المرء فى دنياه نقصان	وربحه غير محض الخير خسران
وكل وجدان حظ لا ثبات له	فان معناه فى التحقيق فقدان
يا عامرا لخراب العمر مجتهدا	بالله هل لخراب الدهر عمران
ويا حريصا على الاموال يجمعها	انسيت ان سرور المال احزان
دع الفؤاد عن الدنيا وزخرفها	فصفوها كدر والوصل هجران
احسن الى الناس تستعبد قلوبهم	فطالما استعبد الانسان احسان
وكن على الدهر معوانا لذى امل	يرجو نداك فان الحر معوان
من جاد بالمال مال الناس قاطبة	اليه والمال للانسان فتان
من كان للخير مناعا فليس له	عند الخليقة اخدان واخوان
لا تخدشن بمطل وجه عارفة	فالبر يخدشه مطل وليان
حسب الفتى عقله خلا يعاشره	اذا تحاماه اخوان وخلان
لا تستشر غير شخص حازم فطن	قد استوت منه اسرار واعلان
فللتدابير فرسان اذا ركضوا	فيها ابروا كما للحرب فرسان
ووافق الرفق فى كل الامور فلم	يندم رفيق ولم يذممه انسان
ولا تكن عجلا فى الامر تطلبه	فليس يحمد قبل النضج بحران
هما رضيعا لبان حكمة وتقى	وساكنا وطن مال وطغيان

من مدّ طرفا بفرط الجهل نحو هوى — اغضى عن الحق يوما وهو خزيان
من استشار صروف الدهر قام له — على حقيقة طبع الدهر برهان
من عاشر الناس لاقى منهم نصبا — لان طبعهم بغي وعدوان
ومن يفتش عن الاخوان مجتهدا — فجل اخوان هذا الدهر خوان
من يزرع الشر يحصد في عواقبه — ندامة ولحصد الزرع ابان
من استنام الى الاشرار نام وفي — قميصه منهم صل وثعبان
من سالم الناس يسلم من غوائلهم — وعاش وهو قرير العين جذلان
وان اساء مسيء فليكن لك في — عروض زلته صفح وغفران
اذا نبا بكريم موطن فله — وراءه في بسيط الارض اوطان
لا تحسبن سرورا دائما ابدا — من سره زمن ساءته ازمان
يا ظالما فرحا بالعز ساعده — ان كنت في سنة فالدهر يقظان
يا ايها العالم المرضى سيرته — ابشر فانت بغير الماء ريان
دع التكاسل في الخيرات تطلبها — فليس يسعد بالخيرات كسلان
صن حر وجهك لا تهتك غلالته — فكل حر لحر الوجه صوان
لا تحسب الناس طبعا واحدا فلهم — غرائز ليس يحصيهن انسان
من استعان بغير الله في طلب — فان ناصره عجز وخذلان
واشدد يديك بحبل الله معتصما — فانه الركن ان خانتك اركان
لا ظل للمرء يغني عن تقى ورضى — وان اظلته اوراق وافنان
يا رافلا في ثياب المال منتشيا — من كاسه فاقدا للرشد نشوان
لا تغترر بشباب ناعم خضل — فكم تقدم قبل الشيب شبان
ويا اخا الشيب لو ناصحت نفسك لم — يكن لمثلك في الاسراف امعان
هب الشبيبة تبدي عذر صاحبها — ما بال شيبك يستهويه شيطان
كل الذنوب فان الله يغفرها — ان شيع المرء اخلاص وايمان

وكل كسر فان الله يجبره	وما لكسر قناة الدين جبران
خذها سرائرا امثال مهذبة	فيها لمن يبتغي التبيان تبيان
ما ضر حسانها والطبع صائغها	ان لم يصغها قريع الشعر حسان

وذيل عليها بعضهم فقال

وكن لسنة خير الخلق متبعا	فانها للنجاة العبد عنوان
فهو الذي شملت للخلق انعمه	وعمهم منه في الدارين احسان
ومذ أتى ابصرت عمي القلوب به	سبل الهدى ووعت للحق آذان
جبينه قمر قد زانه خفر	وثغره درر غر ومرجان
فالبدر يخجل من انوار بهجته	والشمس من حسنه الوضاح تزدان
به توسلنا في محو زلتنا	لربنا انه ذو الجود منان
يا رب صل عليه ما همى مطر	فاينعت منه اوراق واغصان
وابعث اليه سلاما زاكيا عطرا	والآل والصحب لا تفنيه ازمان

وعن حماد الراوية قال كنت محبا للوليد بن عبد الملك فلما ولي اخوه يزيد الخلافة هربت الى الكوفة فبينما انا في المسجد الاعظم اذ اتاني رسول محمد بن يوسف الثقفي وقال اجب الامير فدخلت عليه فقال ورد كتاب امير المؤمنين على بحملك اليه وبالباب نجيبان فاركب احدهما ودفع اليه كيسا فيه الف دينار وقال هذه نفقة لمنزلك فدخلت دمشق في اليوم الثامن واستأذن لي الرسول فدخلت عليه فاذا هو جالس في دار مبطلة بالرخام الاحمر وفيها سرادق خز احمر في وسط قبة حمراء من خز فرشها وكل ما فيها احمر وعلى رأسه جاريتان عليهما ثياب حمر بيد واحدة منهما ابريق وفي احدى يدي الاخرى نبيذ احمر وفي ليد الاخرى نبيذ ابيض فلما واجهته سلمت عليه بالخلافة فرد على السلام وقال ادن يا حماد اتدري فيم بعثت اليك قلت لا يا امير المؤمنين قال في بيت شعر ذهب عني ولا قلت من اي عروض وقافية قال لا ادري الا انه بيت فيه ابريق فقلت في نفسي ان لم

تغن الرواية يوما فالآن ففكرت ساعة ثم قلت نعم يا امير المؤمنين لعله قول التبع اليماني او عدى بن زيد العبادى

بكر العاذلون فى وضح الصبح	يقولون لى اما تستفيق
ويلومون فيك يا ابنة عبد الله والقلب عندكم موهوق	
لست ادرى اذا كثر العذل فيها	اعدوّ يلومنى او صديق
ودعوا بالصبوح يوما فجاءت	قينة فى يمينها ابريق

فصاح يزيد وقال هو والله الشعر بعينه وشرب وقال يا جارية اسقيه فسقتنى كاسا اذهبت ثلث عقلى ثم استعاد الشعر وشرب وقال اسقيه فسقتنى فقلت يا امير المؤمنين ذهب ثلثا عقلى فقال سل حاجتك قبل ان يذهب الثلث الاخير فقلت احدى هاتين الجاريتين فقال هما لك بما لهما وما عليهما ومائة الف تحسن بها سيرك ثم ناولتنى الجارية كاسا فشربتها وانصرفت ونهضت وقد ذهب عقلى فعدل بى الى دار الضيافة فانتبهت آخر الليل واذا بشمع يوقد والجاريتان يرصان الامتعة والبغال تحمل مالهما من اثاث وغيره واصبحت قبضت المال وانصرفت وانا ايسر اهل الكوفة انتهى ولما وقف الشيخ تقى الدين بن حجة رحمه الله على هذه الحكاية قال انظر ايها المتأدب الى نفاق عظيم الادب فى ذلك الارب وبشهادة انسان البيت الذى طلب حماد الراوية بسببه من العراق الى دمشق واجيز عليه بالجاريتين والمائة الف تانف نفسى ان انظم فى سلك قصيدة من قصائدى

وهو هذا البيت

ودعوا بالصبوح يوما فجاءت	قينة فى يمينها ابريق

وكنت اريد ان اكون فى ذلك العصر ويسمع يزيد بن عبد الملك من نظمى

فى هذا الباب قولى

فى ليلة رقم البدر المنير لها	طرازا له بعصا الجوزاء نقرات
وبان لى من لماها حين تبسم لى	فوق اللثات درٌّ وعبقات

والراح دبت على فهمي فصورها	لكن لها ضاع في الكاسات نفحات
كانت علامات تحقيقي فقامتي	هي المنازل لي فيها علامات
مذ انشأتنا سجعنا في محاسنها	مغردين وللانشاء سجعات
هذا وافواه كاساتي قد ابتسمت	لما جنتها ثغور لؤلؤيات
ومن يقل حركات الدهر ما سكنت	فللحباب على التسكين جزمات

والطف من ذلك ما حكاه محمد بن يزيد المبرد قال كان ابو عثمان المازني قد جاء اليه يهودي وسأله ان يقرئه كتاب سيبويه وبذل له مائة دينار فامتنع ابو عثمان من ذلك فقلت له سبحان الله ترد مائة دينار مع فاقتك وحاجتك الى درهم واحد فقال نعم يا ابا العباس اعلم ان كتاب سيبويه يشتمل على ثلثمائة آية من كتاب الله ولا ارى ان امكن منها كافرا فسكت ولم يتكلم قال المبرد فما مضت الا ايام حتى جلس الواثق يوما للشرب وحضر ندماؤه فغنت جارية في المجلس هذا الشعر

اظلوم ان مصابكم رجلا	اهدى السلام تحية ظلم

فنصبت رجلا فلحنها بعض الحاضرين من الندماء وقال الصواب الرفع لانه خبر ان فقالت الجارية ما حفظته من معلمي الا هكذا ثم وقع النزاع بين الجماعة من القائل الصواب معه ومن القائل الصواب معها فقال الواثق من بالعراق من اهل العربية ممن يرجع اليه فقالوا بالبصرة ابو عثمان المازني وهو اليوم واحد عصره في هذا العلم فقال الواثق اكتبوا الى والينا بالبصرة يسيره الينا معظما مبجلا فما كان الا ايام حتى وصل الكتاب الى البصرة فامر الوالي ابا عثمان بالتوجه وسيره على بغال البريد فلما وصل دخل على الواثق فرفع مجلسه وزاد في اكرامه وعرض عليه البيت فقال الصواب مع الجارية ولا يجوز في رجل غير النصب لان مصاب مصدر بمعنى الاصابة ورجل منصوب به والمعنى إن اصابتكم رجلا اهدى السلام تحية ظلم فظلم خبر ان ولا يتم الكلام الا به ففهم

الواثق

الواثق كلام ابی عثمان وعلم ان الحق ما قالته واعجب به وانقطع الرجل الذی
انکر علی الجاریة ثم امر الواثق لابی عثمان المازنی بالف دینار واتحفه بتحف وهدایا
کثیرة لاهله ووهبت له الجاریة جملة اخری ثم سیره الی بلده مکرما فلما وصل جاء
المبرد فقال له ابو عثمان کیف رایت یا ابا العباس ترکت لله مائة فعوضنی الفا
فقال المبرد من ترک شیئا لله عوضه الله خیرا منه انتهی وعن انس رضی الله عنه
قال قال رسول الله صلی الله علیه وسلم سألت الله الاسم الاعظم فجاءنی جبرئیل
به مختوما وهو اللهم انی اسالک بالاسم المخزون المکنون الطهر الطاهر المطهر
المقدس المبارک الحی القیوم قالت عائشة بابی وامی علمنیه فقال یا عائشة
نهینا عن تعلیمه النساء والصبیان والسفهاء اه فائدة کان ابو محمد عبد الله
بن یحیی الصنیعی من اصحاب الشافعی وکان اماما صالحا عالما من اهل الیمن
من اقران صاحب البیان من تصنیفه احترازات المهذب والتعریف فی الفقه
روی ان ناسا ضربوه بالسیوف فلم تقطع سیوفهم فیه فسئل عن ذلک فقال
کنت اقرأ ولا یؤده حفظهما وهو العلی العظیم فالله خیر حافظا وهو ارحم الراحمین
له معقبات من بین یدیه ومن خلفه یحفظونه من امر الله انا نحن نزلنا الذکر
وانا له لحافظون وحفظناها من کل شیطان رجیم وحفظا من کل شیطان مارد
وحفظا ذلک تقدیر العزیز العلیم ان کل نفس لما علیها حافظ ان بطش ربک لشدید
الی آخر السورة وینبغی ان یزاد فیها ان ربی علی کل شیء حفیظ ثم قال کنت خرجت یوما
مع جماعة فرایت ذئبا یلاعب شاة عجفاء ولا یضرها بشیء فلما دنونا منه نفر منها الذئب
فوجدنا فی عنق الشاة کتابا مربوطا فیه هذه الآیات المتقدمة انتهی فائدة
قال معاذ بن جبل احتبس عنا رسول الله صلی الله علیه وسلم ذات غداة عن
صلاة الصبح حتی کدنا نتراءی عین الشمس فخرج سریعا فثوب بالصلاة فصلی
وتجوز فی صلاته فلما سلم دعا بصوته فقال لنا مصافکم کما انتم ثم انفتل الینا
فقال اما انی ساحدثکم ما حبسنی عنکم الغداة انی قمت من اللیل فتوضأت وصلیت

ماقدر لی فنعست فی صلاتی حتی استثقلت فاذا انا بربی تعالی فی احسن صورة
فقال یا محمد فقلت لبیك یا رب قال فیم یختصم الملاء الاعلی قلت رب لا ادری
قال تعالی فی الکفارات والدرجات وفی روایة قلت فی الکفارات والدرجات
قال فما هن قلت مشی الاقدام الی الجماعات والجلوس فی المساجد بعد الصلوات واسباغ
الوضوء علی المکروهات قال فیم قلت اطعام الطعام ولین الکلام والصلوة باللیل
والناس نیام قال سل قلت اللهم انی اسألك فعل الخیرات وترك المنکرات وحب
المساکین ان تغفر لی وترحمنی واذا اردت بعبادك فتنة فاقبضنی الیك غیر مفتون
اسألك حبك وحب من یحبك وحب کل عمل یقربنی الی حبك فقال رسول الله
صلی الله علیه وسلم انها حق فادرسوها ثم تعلموها قال ابو عیسی هذا حدیث
حسن صحیح انتهی من حیاة الحیوان فی حرف النون وقال ذکر لرسول الله صلی الله علیه
وسلم الشرك فقال هو اخفی فیکم من دبیب النمل وسأدلك علی شیء اذا فعلته اذهب
الله عنك صغار الشرك وکباره تقول اللهم انی اعوذ بك ان اشرك بك شیئا
وانا اعلم واستغفرك لما لا اعلم انك انت علام الغیوب تقولها ثلاث مرات انتهی
فائدة اذا علقت عین الهدهد علی صاحب النسیان ذکر ما نسیه ودمه اذا
قطر فی البیاض العارض فی العین اذهبه وروی احمد والبزار ورجال احمد ثقات
من حدیث ابی هریرة ان رسول الله صلی الله علیه وسلم رأی رجلا یشرب قائما
فقال له ایسرك ان یشرب معك الهر قال لا قال فقد شرب معك الشیطان وفی
تاریخ ابن النجار فی ترجمة محمد بن عمر الحنبلی عن انس بن مالك قال کنت جالسا
عند عائشة رضی الله عنها ابشرها بالبراءة فقالت والله لقد هجرنی القریب و
البعید حتی هجرتنی الهرة وما عرض علی طعام ولا شراب فکنت ارقد وانا جائعة
فرأیت فی منامی فتی فقال مالك حزینة فقلت مما ذکر الناس فقال ادعی بهذه
یفرج الله عنك فقلت وما هی قال قولی دعاء الفرج یا سابغ النعم ویا دافع النقم
ویا فارج الغم ویا کاشف الظلم ویا اعدل من حکم ویا حسیب من ظلم ویا ولی من

ظلم ويا اول بلا بداية ويا آخر بلا نهاية ويا من له اسم بلا كنية اجعل لي من امري فرجا ومخرجا قالت فانتبهت وانا دلينة شبعانة وقد انزل الله براءتي وجاءني الفرج انتهى من حياة الحيوان وهذا الدعاء روى الطبراني باسناد صحيح قطعة منه عن انس ان النبي صلى الله عليه وسلم مر باعرابي وهو يدعو في صلاته يقول يا من لا تراه العيون ولا تخالطه الظنون ولا يصفه الواصفون ولا تغيره الحوادث ولا يخشى الدوائر يعلم مثاقيل الجبال ومكاييل البحار وعدد قطر الامطار وعدد ورق الاشجار وعدد ما اظلم عليه الليل واشرق عليه النهار ولا تواري منه سماء سماء ولا ارض ارضا ولا بحر الا ويعلم ما في قعره ولا جبل الا يعلم ما في وعره اجعل اللهم خير عمري آخره وخير عملي خواتيمه وخير ايامي يوم لقائك فوكل النبي صلى الله عليه وسلم بالاعرابي رجلا فقال اذا صلى فائتني به فلما صلى اتاه به وقد كان اهدى للنبي صلى الله عليه وسلم ذهب من بعض المعادن فلما اتى الاعرابي وهب له الذهب وقال ممن انت ايها الاعرابي قال من بني عامر بن صعصعة فقال صلى الله عليه وسلم هل تدري لم وهبت لك هذا الذهب قال للرحم التي بيننا وبينك يا رسول الله قال صلى الله عليه وسلم ان للرحم حقا ولكن وهبت لك الذهب لحسن ثنائك على الله عز وجل انتهى من حرف الطاء وفي كتاب ثمار القلوب للثعالبي في الباب الثالث عشر منه ان الملك بهرام جور لم يكن في العجم ارمى منه ومن غريب ما اتفق له انه خرج يوما يتصيد على جمل وقد اردف جارية يعشقها فعرضت له ظباء فقال للجارية في اي موضع تريدين ان اضع هذا السهم من هذه الظباء قالت اريد ان تشتبه ذكرانها باناثها واناثها بذكرانها فرمى ظبيا ذكرا بنشابة ذات شعبتين فاقتلع قرنيه ورمى ظبية بنشابتين اثبتهما في موضع القرنين ثم سألته ان يجمع ظلف الظبي واذنه بنشابة واحدة فرمى اذن الظبي ببندقة فلما اهوى بيده الى اذنه ليحك رماه بنشابة فوصل اذنه بظلفه ثم اهوى الى الجارية مع هواه بها فرمى بها الى الارض واوطأها الجمل بسبب ما اشترطت عليه

وقال ما اوردت الاظهار عجزى فلم تلبث الا يسيرا وماتت انتهى حكاية فى القطا
يقال ان لجيم بن امامة على قوم من مراد فطرقوه ليلا فاثاروا القطا من اماكنها فرأتها
امرأة يقال لها حذام فلما رأت القطا طار ليلا نبهت زوجها مع رجال من قومها
فقالت لهم لو ترك القطا ليلا لنام فلم يلتفتوا الى قولها واخلدوا الى مضاجعهم

(فقام رجل منهم وقال)

اذا قالت حذام فصدقوها	فان القول ما قالت حذام

فنفر القوم والتجوا الى واد قريب منهم واعتصموا به حتى اصبحوا وامتنعوا من عدوهم
فضرب به المثل انتهى بتقديم وتأخير وعن ابى جعفر الخالدى قال ودعت ابا الحسن
الصغير المدنى فقلت له زودنى شيئا فقال اذا ضاع منك شئ واردت ان يجمع
الله بينك وبين ذلك الشئ او ذلك الانسان فقل يا جامع الناس ليوم لا ريب
فيه ان الله لا يخلف الميعاد اجمع بينى وبين كذا فان الله يجمع بينك وبين
ذلك الشئ او ذلك الانسان انتهى من حرف الالف وهذه ابيات

لصيد اللخم فى البحر	وصيد الاسد فى البر
وقضم الثلج فى القر	ونقل الصخر فى الحر
واقدام على موت	وتحويل الى القبر
لاشهى من طلاب العر	ف ممن عاش فى الفقر

قوله اللخم بضم اللام واسكان الخاء المعجمة ضرب من السمك ضخم يقال له الكوسج
وهو القرش انتهى من حياة الحيوان فى حرف اللام وذكر بعض اهل التواريخ
ان ملكا من الملوك خرج يدور فى ملكه فوصل الى قرية عظيمة فدخلها منفردا فاخذه
العطش فوقف بباب دار من دور القرية وطلب ماء فخرجت اليه امرأة جميلة بكوز
ماء وناولته اياه فلما نظر لها افتتن بها فراودها عن نفسها وكانت المرأة
عارفة به فعلمت انها لا تقدر على الامتناع منه فدخلت واخرجت له كتابا وقالت
له انظر فى هذا الكتاب الى ان اصلح من امرى ما تحب واعود فاخذ الملك الكتاب

بركعهما عندهم حين يريد السفر رواه الطبرانی وقال فی تتمة اخری قال الشیخ قطب الدین
القسطلانی مما حفظت من والدتی ام محمد آمنة وکانت وفاتها فی صفر سنة ست
وخمسین وستمائة اللهم بتلألؤ نور بهاء حجب عرشك من اعدائی احتجبت و
بسطوة الجبروت ممن یکیدنی استترت وبطول حول حجب عرشك من اعدائی
احتجبت وبشدید قوتك من کل سلطان تحصنت وبدیموم قیوم دوام ابدیتك
من کل شیطان استعذت وبمکنون السر من سر سرك من کل هم وغم تخلصت
یا حامل العرش عن حملة العرش یا شدید البطش یا حابس الطیر والوحش احبس عنی
من ظلمنی واغلب من غلبنی کتب الله لاغلبن انا ورسلی ان الله قوی عزیز انتهی
وقال الشیخ قطب الدین ومما حفظته من دعاء والدی من الادعیة التی تنفع فی
الحجب عن الاعداء اللهم بسر الذات وبذات السر هو انت انت هو لا اله الا انت احتجبت
بنور الله وبنور عرش الله وبکل اسم لله من عدوی وعدو الله بالف الف لا حول
ولا قوة الا بالله ختمت علی نفسی ودینی واهلی ومالی وولدی وجمیع ما اعطانی ربی
بخاتم الله القدوس المنیع الذی ختم به اقطار السموات والارض حسبنا الله ونعم
الوکیل حسبنا الله ونعم الوکیل حسبنا الله ونعم الوکیل وقال الکسائی دخلت
علی الولید ذات یوم وهو فی ایوانه وبین یدیه مال کثیر قد امر بتفرقته علی خدمه
الخاصة وبیده درهم تلوح کتابته وهو یتامله وکان کثیرا ما یحدثنی فقال هل
علمت اول من سن هذه الکتابة فی الذهب والفضة قلت هو یا سیدی عبد
الملك بن مروان قال فما کان السبب فی ذلك قلت لا اعلم غیر انه اول من احدث
هذه الکتابة قال ساخبرك کانت القراطیس للروم وکان اکثر من بمصر نصرانیا
علی دین ملك الروم وکانت تطرز بالرومیة وکان طرازها ابا وابنا وزوجة
وبنتا فلم یزل کذلك صدر الاسلام کله ونظر فیه واذا فیه الزجر عن الزنا وما
اعد الله تعالی لفاعله من العذاب الالیم فاقشعر جلده ونوی التوبة وصاح
بالمراة واعطاها الکتاب ومر ذاهبا وکان زوج المراة غائبا فلما حضر اخبرته الخبر

فتحير في نفسه وخاف ان يكون قد وقع غرض الملك فيها فلم يتجاسر على وطئها بعد ذلك ومكث
على ذلك مدة فاعلمت المرأة اقاربها بحالها مع زوجها فرفعوه الى الملك فلما امتثل
بين يدي الملك قال اقارب المرأة اعز الله مولانا الملك ان هذا الرجل قد استاجر
منا ارضا للزراعة فزرعها مدة ثم عطلها فلا هو يزرعها ولا هو يتركها لنؤجرها
لمن هو يزرعها وقد حصل الضرر للارض ونخاف فسادها بسبب التعطيل لان
الارض اذا لم تزرع فسدت فقال الملك لزوج المرأة ما يمنعك من زرع ارضك
فقال اعز الله مولانا الملك انه قد بلغني ان الاسد قد دخل ارضي وقد هبته
ولم اقدر على الدنو منها لعلمي انه لا طاقة لي بالاسد ففهم الملك القصة فقال
له يا هذا ان ارضك طيبة صالحة للزراعة فازرعها بارك الله لك فيها فان الاسد
لن يعود اليها ثم امر له ولزوجته بصلة حسنة وصرفهما انتهى من حرف الالف
(فائدة) الفرزدق اسمه همام بن غالب والفرزدق لقب غلب عليه والفرزدق
قطع العجين الواحدة فرزدقة ولقب به لغلظه وقصره انتهى (فائدة عظيمة) قال
الاطباء اذا اردت ان تعرف ان المرأة عقيم ام لا فمرها ان تحمل ثومة في قطنة
وتمكث سبع ساعات فان فاح من فمها رائحة الثوم فعالجها بالادوية فانها تحمل
باذن الله تعالى والا فلا وهي مجربة والله اعلم (فائدة) قال شيخ الاسلام محيي الدين
النووي في اذكاره في باب اذكار المسافر عند ارادته الخروج من بيته يستحب له
عند ارادة الخروج ان يصلي ركعتين لحديث المطعم بن المقداد الصحابي رضي الله
عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما خلف احد عند اهله افضل من ركعتين
يمضي على ما كان عليه الى ان ملك عبد الملك فتنبه له وكان فطنا فبينما هو
ذات يوم جالس اذ مر به قرطاس فنظر الى طرازه فامر ان يترجم بالعربية ففعل
ذلك فانكره وقال ما اغلظ هذا في دين الاسلام ان يكون طراز القراطيس هكذا
وهي تعمل في الاواني والثياب وهما يعملان بمصر وغير ذلك مما يطرز من ستور
وغيرها من عمل هذا البلد فامر بالكتاب الى عبد العزيز بن مروان وكان عامله بمصر

بابطال ذلك الطراز الذى يعمل على الثياب والقراطيس والستور وغير ذلك وان تعمل صناع القراطيس سورة التوحيد وشهد الله انه لا اله الا هو وهذا طراز القراطيس خاصة الى هذا الوقت ولم ينقص ولم يزد ولم يتغير وكتب الى عمال الآفاق جميعا بابطال ما فى اعمالهم من القراطيس المطرزة بطراز الروم ومعاقبة من وجد عنده بعد هذا النهى شئ منه بالضرب الوجيع والحبس الطويل بعد ما اثبت القراطيس بالطراز المحدث بالتوحيد وحمل الى بلاد الروم منها وانتشر خبرها ووصل الى ملكهم فترجم له ذلك الطراز فانكره وعظم عليه واستشاط غيظا فكتب الى عبد الملك ان عمل القراطيس بمصر وسائر ما يطرز هناك للروم ولم تزل تطرز بطراز الروم الى ان ابطلته فان كان من تقدمك من الخلفاء قد اصاب فقد اخطأت وان كنت قد اصبت فقد اخطأوا فاختر من هاتين الخلتين ايهما شئت واحببت وقد بعثت اليك بهدية تليق بمحلك واحببت ان تجعل رد ذلك الطراز فى جميع ما كان يطرز من اصناف القراطيس الى ما كان عليه وجميع ما كان يطرز وَلا اشكرك عليها وتأمر بقبض الهدية وكانت عظيمة القدر فلما قرأ عبد الملك كتابه رد الرسول واعلمه انه لا جواب له ورد الهدية فانصرف بها الى صاحبه فلما وافاه اضعف الهدية ورد الرسول الى عبد الملك وقال انى ظننت انك استقللت الهدية فلم تقبلها ولم تجبنى الى كتابى فاضعفت الهدية وانا ارغب اليك فى مثل ما رغبت فيه اولا من رد الطراز الى ما كان عليه اولا فقرأ عبد الملك الكتاب ولم يجبه ورد الهدية فكتب اليه ملك الروم كتابا يقتضى اجوبة كتبه ويقول انك قد استخففت بجوابى وهديتى ولم تسعفنى بحاجتى فتوهمتك استقللت الهدية فاضعفتها فجريت على سبيلك الاول وقد اضعفتها لك ثالثا وانا احلف بالمسيح لتأمرن برد الطراز الى ما كان عليه اولا آمرن بنقش الدراهم والدنانير فانك تعلم انه لا ينقش شئ منها الا ما ينقش فى بلادى ولم تكن الدراهم والدنانير نقشت فى بلاد الاسلام فتنقش عليها شتم نبيك فاذا قرأته ارفض جبينك عرقا فاحب ان تقبل هديتى وترد الطراز الى ما كان عليه اول الامر وكانت هدية بررتنى بها

ويبقى الامر بيني وبينك فلما قرأ عبد الملك الكتاب صعب عليه وعظم وضاقت به الارض وقال احسبني اشأم مولود ولد في الاسلام لاني جنيت على رسول الله صلى الله عليه وسلم من شتم هذا الكافر ما يبقى الى ابد الدهر ولا يمكن محوه من جميع مملكة العرب اذ كانت المعاملات تدور بين الناس بدنانير الروم ودراهمهم فجمع اهل الاسلام واستشارهم فلم يجد عندهم رأيا يعمل به فقال له روح بن زنباع انك لتعلم المخرج من هذا الامر ولكنك تتعمد تركه فقال ويحك بم قال عليك بالباقر من آل بيت النبي صلى الله عليه وسلم قال صدقت ولكنه ارتج الرأي فيه قال نعم فكتب الى عامله بالمدينة ان ارسل الى محمد بن علي بن الحسين مكرما ومتعه بمائة الف درهم لجهازه وثلثمائة درهم لنفقته وارح عليه في جهازه وجهاز من يخرج معه من اصحابه وحبس الرسول قبله الى موافاة محمد بن علي فلما وافاه اخبره الخبر فقال له محمد رضي الله عنه لا يعظم هذا عليك فانه ليس بشيء من جهتين احداهما ان الله عز وجل لم يكن ليطلق ما تهدد به صاحب الروم في رسول الله صلى الله عليه وسلم والثانية تدعو في هذا الوقت بصناع يضربون سككا للدراهم والدنانير وتجعل النقش عليها سورة التوحيد وذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم احدهما في وجه الدرهم والدينار والآخر في الوجه الثاني وتجعل في مدار الدرهم او الدينار ذكر البلد الذي يضرب فيه والسنة التي تضرب فيها تلك الدراهم والدنانير وتعمد الى وزن ثلاثين درهما عددا من الثلاثة اصناف التي العشرة منها وزن عشرة مثاقيل وعشرة منها وزن ستة مثاقيل وعشرة منها وزن خمسة مثاقيل فتكون اوزانها جميعا احدا وعشرين مثقالا فتجزئها من الثلاثين فيصير العدة من الجميع وزن سبعة مثاقيل وتصب صنجات من قوارير لا تستحيل الى زيادة ولا نقصان فتضرب الدراهم على وزن عشرة والدنانير على وزن سبعة مثاقيل وكانت الدراهم في ذلك الوقت انما هي الكسروية التي يقال لها اليوم البغلية لان رأس البغل ضربها لعمر بن الخطاب رضي الله عنه بسكة كسروية في الاسلام مكتوب عليها

صورة الملك وتحت الكرسي مكتوب بالفارسية (نوش خور) اى كل هنيئا وكان وزن الدرهم منها قبل الاسلام مثقالا والدراهم التى كان وزن العشرة منها وزن ستة مثاقيل والعشرة وزن خمسة مثاقيل هى السمرية الخفاف والثقال ونقشها نقش فارس ففعل ذلك عبد الملك وامره محمد بن على بن الحسين رضى الله عنه ان يكتب السكة فى جميع بلدان الاسلام وان يتقدم الى الناس فى التعامل بها وان يتهدد بقتل من يتعامل بغير هذه السكة من الدراهم والدنانير وغيرهما وان تبطل وترد الى مواضع العمل حتى تعاد الى السكة الاسلامية ففعل عبد الملك ذلك ورد رسول ملك الروم اليه بذلك ويقول ان الله عز وجل مانعك مما قد اردت ان تفعله وقد تقدمت الى عمالى فى اقطار البلاد بكذا وكذا وبابطال السكك وطراز الرومية فقيل لملك الروم افعل ما كنت تهددت به ملك العرب فقال انما اردت ان اغيظه بما كتبت اليه لانى كنت قادرا عليه بالمال وغيره برسوم الروم فاما الآن فلا افعل لان ذلك لا يتعامل به اهل الاسلام وامتنع من الذى قال وثبت ما اشار به محمد بن على بن الحسين رضى الله عنهم الى اليوم ثم رمى يعنى الرشيد بالدرهم الى بعض الخدم انتهى من حياة الحيوان وقال نصر الله بن مجلى وكان من الثقات واهل السنة رايت على بن ابى طالب رضى الله عنه فى المنام فقلت يا امير المؤمنين تفتحون مكة وتقولون من دخل دار ابى سفيان فهو آمن ثم يتم على ولدك الحسين ما تم فقال اما سمعت ابيات ابن الصيفى فى هذا قلت لا فقال اسمعها منه ثم انتبهت فبادرت الى دار حيص بيص فذكرت له الرؤيا فشهق وبكى وحلف بالله انها لم تخرج من فيه او خطه لاحد وما نظمها الا فى ليلة تم انشد فى

ملكنا فكان العفو منا سجية	فلما ملكتم سال بالدم ابطح
وحللتم قتل الاسارى وطالما	غدونا عن الاسراء نعفو ونصفح

واسم حيص بيص سعيد بن محمد ابو الفوارس التميمى الشاعر المشهور ويعرف بابن

الصيفى ولقب بحيص بيص لانه رأى الناس يوما فى حركة مزعجة وامر شديد فقال ما للناس فى حيص بيص فبقى هذا اللقب عليه ومن محاسن شعره

يا طالب الرزق فى الآفاق مجتهدا	اقصر عناك فان الرزق مقسوم
الرزق يأتى الى من ليس يطلبه	وطالب الرزق يسعى وهو محروم

وله ايضا

يا طالب الطب من داء اصيب به	ان الطبيب الذى ابلاك بالداء
هو الطبيب الذى يرجى لعافية	لا من يذيب لك الترياق فى الماء

وله ايضا

اله عما استأثر الله به	ايها القلب ودع عنك الحرق
فقضاء الله ليس يدفعه	حول محتال اذا الامر سبق

وله ايضا

انفق ولا تخش اقلالا فقد قسمت	على العباد من الرحمن ارزاق
لا ينفع البخل مع دنيا مولية	ولا يضر مع الاقبال انفاق

(ومما جاء فى الذكاء والفهم) ما حكى عن المأمون انه غضب على عبد الله بن طاهر وشاور اصحابه فى الايقاع به وكان قد حضر فى ذلك المجلس صديق له فكتب اليه كتابا فيه (بسم الله الرحمن الرحيم يا موسى) فلما فضه ووجد ذلك تعجب وجعل يطيل النظر اليه ولا يفهم معناه وكانت له جارية واقفة على راسه فقالت له يا سيدى انى افهم معنى هذا فقال وما هو قالت انه اراد قوله تعالى يا موسى ان الملاء يأتمرون بك ليقتلوك وكان قد عزم على الحضور الى المأمون فثنى العزم عن ذلك واعتذر للمأمون فى عدم الحضور فكان سبب سلامته واحسن من ذلك ما ذكره ابن خلكان قال ان بعض الملوك غضب على بعض عماله فامر وزيره ان يكتب له كتابا يتخصه به وكان للوزير بالعامل عناية فكتب اليه كتابا وكتب فى آخره ان شاء الله تعالى وجعل فى صدر النون شدة فتعجب العامل كيف وقعت

هذه الحركة من الوزير اذ من عادة الكتاب ان لا يشكلوا كتبهم ففكر في ذلك فظهر له انه اراد ان الملاء يأتمرون بك ليقتلوك نكشط الشدة وجعل مكانها الفا وختم الكتاب واعاده فلما وقف عليه الوزير سر بذلك وفهم انه اراد انا لن ندخلها ابدا ما داموا فيها انتهى وفي تاريخ بغداد و وفيات الاعيان ان ابا حنيفة رضي الله عنه كان له جار اسكافي يعمل نهاره فاذا رجع الى منزله ليلا تعشى ثم شرب فاذا دب الشراب فيه غنى وقال

اضاعوني واي فتى اضاعوا	ليوم كريهة وسداد ثغر

ولا يزال يشرب ويردد هذا البيت حتى ياخذه النوم وابو حنيفة يسمع صوته كل ليلة وكان ابو حنيفة يصلي الليل كله ففقد ابو حنيفة صوته فسأل عنه فقيل اخذه العسس منذ ليال فصلى ابو حنيفة الفجر من غده ثم ركب بغلته واتى الى دار الامير فاستأذن عليه فقال ائذنوا له واقبلوا به راكبا ولا تدعوه ينزل حتى يطأ البساط ففعل به ذلك فوسع له الامير من مجلسه وقال له ما حاجتك قال اشفع في جاري فقال الامير اطلقوه وكل من اخذ في تلك الليلة فخلوهم ايضا وذهبوا وركب ابو حنيفة بغلته وخرج والاسكافي يمشي وراءه فقال له ابو حنيفة يا فتى هل اضعناك فقال بل حفظت ورعيت فجزاك الله خيرا عن حرمة الجوار ثم تاب الرجل ولم يعد الى ما كان يفعل وقال الشافعي قلت لمالك هل رايت ابا حنيفة قال نعم رايت رجلا لو كلمك في هذه السارية ان يجعلها ذهبا لقام بحجته (فائدة) اذا عسر على المرأة ولادتها فليكتب لها بسم الله الرحمن الرحيم لا اله الا الله الحليم الكريم سبحان الله رب العرش العظيم الحمد لله رب العالمين كانهم يوم يرون ما يوعدون لم يلبثوا الا ساعة من نهار بلاغ فهل يهلك الا القوم الفاسقون (فائدة اخرى للصداع) ذكر في حياة الحيوان ان مسلمة بن عبد الملك لما حاصر عمورية حصل له صداع فلم يركب في الحرب فقال اهل عمورية للمسلمين ما لاميركم لا يركب فقالوا عرض له صداع فقالوا لنا برنس لو البسوه لم يزل عنه ما يجد فلبسه فشفي ففتشوا فيه فلم يجدوا فيه شيئا غير بطاقة مكتوب فيها هذه الآيات بسم الله الرحمن الرحيم ذلك تخفيف من

ربكم ورحم بسم الله الرحمن الرحيم يريد الله ان يخفف عنكم وخلق الانسان ضعيفا بسم الله الرحمن الرحيم الآن خفف الله عنكم وعلم ان فيكم ضعفا بسم الله الرحمن الرحيم كهيعص بسم الله الرحمن الرحيم حمعسق بسم الله الرحمن الرحيم واذا سألك عبادى عنى فانى قريب اجيب دعوة الداع اذا دعان بسم الله الرحمن الرحيم الم تر الى ربك كيف مد الظل ولو شاء لجعله ساكنا بسم الله الرحمن الرحيم وله ما سكن فى الليل والنهار وهو السميع العليم) فقال المسلمون من اين لكم هذا هذا انما انزل على نبينا محمد صلى الله عليه وسلم قالوا وجدناه هذا محفوظا فى حجر فى كنيستنا قبل ان يبعث نبيكم بسبعمائة عام انتهى قال الحافظ ابن عساكر ويكتب للصداع ايضا (بسم الله الرحمن الرحيم كهيعص ذكر رحمة ربك عبده زكريا اذ نادى ربه نداء خفيا الم تر الى ربك كيف مد الظل ولو شاء لجعله ساكنا كهيعص حمعسق كم لله من نعمة على عبد شاكر وغير شاكر وكم لله من نعمة فى قلب خاشع وغير خاشع وكم لله من نعمة فى كل عرق ساكن وغير ساكن اذهب ايها الصداع بعز عز الله بنور وجه الله وله ما سكن فى الليل والنهار وهو السميع العليم ولا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم وصلى الله على سيدنا محمد خاتم النبيين وعلى آله وصحبه اجمعين) فانه نافع وعن ابى الدرداء قال صلى بنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فمر بنا كلب فما بلغت رجله يده حتى مات فلما فرغ صلى الله عليه وسلم قال من الداعى على هذا الكلب آنفا فقال رجل من القوم انا يا رسول الله قال فما قلت قال قلت اللهم انى اسألك بان لك الحمد لا اله الا انت الحنان المنان بديع السموات والارض ذو الجلال والاكرام اكفنا هذا الكلب بما شئت فقال صلى الله عليه وسلم لقد دعا الله بالاسم الاعظم اذا دعى به اجاب واذا سئل به اعطى وهذا الحديث فى السنن الاربعة ومسند احمد وكتابى الحاكم وابن الحبان قيل وكانت صلوٰة العصر يوم الجمعة وان الرجل الداعى سعد بن ابى وقاص انتهى من حياة الحيوان (فائدة منه ايضا) تكتب هؤلاء الكلمات وتجعل فى انبوبة وتدفن فى الزرع والكرم فانه لا يؤذيه الجراد باذن الله تعالى وهى بسم الله الرحمن الرحيم اللهم صل على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه

وسلم اللهم اهلك صغارهم واقتل كبارهم وافسد بيضهم وخذ بافواههم عن معايشنا وارزاقنا انك سميع الدعاء انى توكلت على الله ربى وربكم مامن دآبة الا هو آخذ بناصيتها ان ربى على صراط مستقيم اللهم صل على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم واستجب منا يا ارحم الراحمين وهو عجيب مجرب فائدة قال القرافى اتفق الناس على تكفير ابليس بقضيته مع آدم عليه السلام وليس مدرك الكفر فيها الامتناع من السجود والا لكان كل من امر بالسجود وامتنع منه كان كافرا وليس كذلك ولا كان كفره بكونه حسد آدم عليه السلام على منزلته من الله تعالى والا لكان كل حاسد كافرا ولا كان كفره بعصيانه وفسوقه والا لكان كل عاص وفاسق كافرا وقد اشكل ذلك جماعة من الفقهاء وينبغى انه انما كفر بنسبة الحق جل جلاله الى الجور والتصرف الذى ليس بمرضى ويظهر ذلك من فحوى قوله انا خير منه خلقتنى من نار وخلقته من طين ومراده ان الزام العظيم الجليل بالسجود للحقير من الجور والظلم وهذا وجه كفره لعنه الله تعالى وقد اجمع المسلمون على ان من نسب الله تعالى لذلك فهو كافر انتهى من حياة الحيوان ومنه قول الشاعر

خليلى ان قالت بثينة ماله	اتانا بلا وعد فقولا لها لها
اتى وهو مشغول بعظم الذى به	ومن بات طول الليل يرعى السها سها
بثينة تزرى بالغزالة فى الضحى	اذا برزت لم يبق يوما بها بها
لها مقلة كحلاء وخد مورد	كأن اباها الظبى او امها مها
دهتنى بود قاتل وهو متلفى	وكم قتلت بالمزج من ودها دها

هى من مزج النغف بنون وغين معجمتين مفتوحتين ثم فاء دود يكون فى انف الابل والغنم الواحدة نغفة انتهى عن الاصمعى وقال ابو عبيدة هو الدود الابيض يكون فى النوى وماسوى ذلك الدود ليس بنغف وروى مسلم عن النواس بن سمعان فى حديثه الذى رواه فى الدجال ويبعث الله يأجوج ومأجوج فيرسل عليهم النغف فى رقابهم فيصبحون فرسى كموت نفس واحدة ومعنى قوله

فرهى قتلى وقيل للواحدة فريس من فرس الذئب الشاة وافترسها

حكاية الهامة

روى ابو نعيم فى الحلية عن ابن مسعود قال كنت عند كعب الاحبار وهو عند عمر ابن الخطاب فقال كعب الاحبار يا امير المومنين الا اخبرك باغرب شئ قرأته فى كتب الانبياء ان هامة جاءت الى سليمان بن داؤد عليهما السلام فقالت السلام عليك يا نبى الله فقال وعليك السلام يا هامة اخبرينى كيف لا تأكلين من الزرع قالت يا نبى الله ان آدم اخرج من الجنة بسببه قال فكيف لا تشربين الماء قالت لانه غرق فيه قوم نوح فمن اجل ذلك لا اشربه فقال لها كيف تركت العمران وسكنت الخراب قالت لان الخراب ميراث الله تعالى فانا اسكن ميراث الله قال الله تعالى وكم اهلكنا من قرية بطرت معيشتها فتلك مساكنهم لم تسكن من بعدهم الا قليلا وكنا نحن الوارثين فالدنيا ميراث الله كلها قال سليمان فما تقولين اذا جلست فوق خربة قالت اقول اين الذين كانوا يتنعمون فيها قال سليمان فما صياحك فى الدور اذا مررت عليها قالت اقول ويل لبنى آدم كيف ينامون وامامهم الشدائد قال سليمان عليه السلام فما لك لا تخرجين بالنهار قالت من كثرة ظلم بنى آدم لانفسهم قال فاخبرينى ما تقولين فى صياحك قالت اقول تزودوا يا غافلين وتهيؤا لسفركم سبحان خالق النور فقال سليمان ليس فى الطيور طير انصح لابن آدم ولا اشفق عليه من الهامة وما فى قلوب الجهال ابغض منها والهامة بتخفيف الميم على المشهور طير الماء انتهى من حياة الحيوان وفى كتاب فردوس الحكم قال آية من كتاب الله تعالى من قرأها يأمن من الهوام انى توكلت على الله ربى وربكم ما من دابة الا هو آخذ بناصيتها ان ربى على صراط مستقيم فائدة اليحمور حمار الوحش وفى كتاب العرائس لابى الفرج بن الجوزى ان بعض طلبة العلم خرج من بلاده فرافقه شخص فى الطريق فلما كان قريبا من المدينة التى قصدها قال له ذلك الشخص قد صار لى عليك حق وذمة وانا رجل من الجان ولى اليك حاجة قال وما هى

قال اذا اتيت مكان كذا وكذا فانك تجد فيه دجاجات بينهن ديك ابيض فاسأل
عن صاحبه واشتره منه واذبحه فهذه حاجتي اليك قال فقلت له يا اخي وانا ايضا
اسألك حاجة قال وما هي قلت اذا كان للانسان مارد لا تعمل فيه العزائم وألح
بالآدمي ما دواؤه قال يؤخذ له وتر قدر شبر من جلد اليحمور ويشد به ابهاما
المصاب من يديه شدا وثيقا ثم يؤخذ له من دهن السذاب البري ويقطر في انفه
الايمن اربعا وفي الايسر ثلاثا فان الماسك به يموت ولا يعود الى احد بعده قال فلما
دخلت المدينة اتيت الى ذلك المكان فوجدت الديك لعجوز فسألتها بيعه فابت
فاشتريته منها باضعاف ثمنه فلما اشتريته وملكته تمثل لي من بعيد وقال لي بالاشارة
اذبحه فذبحته فخرج علي عند ذلك رجال ونساء فجعلوا يضربونني ويقولون يا
ساحر فقلت لست بساحر فقالوا انك منذ ذبحت الديك اصيبت شابة عندنا
بجني وانه منذ مسكها لم يفارقها فطلبت منهم وترا قدر شبر من جلد يحمور وشيئا
من دهن السذاب البري فأتوا بهما فشددت ابهامي يدي الشابة شدا وثيقا فلما
فعلت بها ذلك صاح وقال انا علمتك على نفسي ثم قطرت من الدهن في انفها الايمن
اربعا وفي الايسر ثلاثا فخر من وقته ميتا وشفى الله تلك الشابة ولم يعاودها بعده
شيطان (فائدة) دم اليربوع يؤخذ ويطلى به الشعر الذي ينبت في الجفن بعد ان
ينتف يذهب باذن الله تعالى (فائدة) عين الهدهد اذا علقت على صاحب النسيان
ذكر ما نسيه وريشه اذا حمله انسان وخاصم غلب على خصمه وقضيت حوائجه وظفر بما
يريد ولحمه اذا اكل مطبوخا نفع من القولنج ودمه اذا اقطر في البياض العارض في العين
اذهبه وان بخر به برج حمام لم يقربه شئ يؤذيه والله اعلم وحكى القاضي شهاب
الدين بن فضل الله في كتابه مسالك الانصار في ممالك الامصار في ترجمة
الحاكم بامر الله ابي علي منصور قال فبينما هو في موكبه قبلي بركة الحبش اذ مر برجل
على بستان له وحوله عبيده فاستسقاه ماء فسقاه ثم قال يا امير المؤمنين قد
اطمعني في السؤال فان رأى امير المؤمنين ان يكرمني بزولة لاحظى بتمام السعد

فاجابه لذلك فنزل بجيشه فاخرج الرجل مائة بساط ومائة نطع ووسادة ومائة اشربة طبق فاكهة ومائة جام حلوى ومائة زبدية سكرية فبهت الحاكم وقال ايها الرجل خبرك عجيب هل علمت بنا فاعددت هذا قال لا والله يا امير المؤمنين وانما انا تاجر من رعيتك لي مائة محضية فلما اكرمتني بالنزول عندي اخذت من كل واحدة شيئا من فرشها وزائد اكلها وشربها فان لكل واحدة في كل يوم طبق طعام وطبق فاكهة وجام حلوى وزبدية شراب فسجد امير المؤمنين شكرا لله تعالى وقال الحمد لله الذي جعل في رعايانا من يسع حاله هذا ثم امر بما في بيت المال من الدراهم المضروبة في تلك السنة فكانت ثلاثة آلاف الف وسبعمائة الف ولم يركب حتى احضرها واعطاها للرجل وقال له استعن بهذا على حالك ومروتك ثم ركب وانصرف وحكى اسحاق بن ابراهيم الموصلي قال دعاني يحيى بن خالد فدخلت عليه فوجدت الفضل وجعفرا ولديه جالسين بين يديه فقال لي يا ابا اسحاق اصبحت اليوم مهموما فاردت الصبوح لا تسلى فغنني صوتا

(لعلي ارتاح له فغنيته)

اذا نزلوا بطحاء مكة اشرقت	بيحيى وبالفضل بن يحيى وجعفر
فما خلقت الا لجود اكفهم	وما خلقوا الا لاعواد منبر

فسر وارتاح وامر لي بمائة الف وامر لي كل واحد من ولديه بمائة الف فحمل الي جميعه بين يديه فاخذته وانصرفت وحكى عن مخارق قال اصبحت السماء مغيمة واصبح الرشيد مع حرمه فامرنا بالانصراف واذن لنا ان نقيم في منازلنا ثلاثة ايام فمضى الجلساء اجمعون الى منازلهم فقلت والله لاذهبن الى استاذي ابراهيم الموصلي فاعرف خبره ثم اعود وامرت من عندي ان يهيئوا لي مجلسا الى وقت رجوعي فجئت الى دار ابراهيم وقلت للبواب اخبر استاذك فاخبره فقال ادخل فدخلت فاذا هو جالس في رواق وبين يديه قدور تغرغر واباريق تزهر وستارة منصوبة والجواري خلفها فقلت ما بال الستارة لا اسمع من ورائها صوتا فقال اقعد

ويحك انى اصبحت على ما ترى فاتانى خبر ضيعة بجوارى وقد كنت طلبتها زمانا وتمنيتها فلم املكها وقد اعطى فيها الآن مائة الف فقلت وما يمنعك منها وقد اعطاك اضعاف هذا المال قال صدقت ولكن نفسى غير طيبة باخراج هذا المال وقال خذ هذا القضيب ونقر بقضيب فى يده على مدورة والقى عليه

نام الخليون من وهم ومن سقم	وبت من كثرة الاحزان لم انم
ياطالب الجود والمعروف مجتهدا	اعمد ليحيى حليف الجود والكرم

قال فاخذته واحكمته ثم قال امض الساعة الى باب الوزير يحيى بن خالد وادخل عليه وحدثه بما رايت واذكر الضيعة وعرفه انى صنعت له هذا الصوت فاعجبنى ولم اجد من يستحقه الا جارية وانها وانى القيته عليك لتلقيه عليها وائتنى بما يكون من الخبر قال فجئت الى الباب واستأذنت واعلمته فامر بنصب الستارة والقيت الصوت على الجارية مرارا حتى احكمته فقال لى تقيم عندنا او تنصرف قلت انصرف اطال الله بقاء مولانا الوزير فقال يا غلام احمل معه عشرة آلاف واحمل الى ابراهيم مائة الف فحملت مالى واتيت الى منزلى فنثرت على من عندى من الجوارى دراهم من تلك البدرة اكلت وشربت بقية يومى فلما اصبحت قلت والله لاذهبن الى استاذى واعرف خبره واتيت ودخلت فوجدته على مثل ما كان بالامس فقلت له ما الخبر الم يأتك المال قال نعم غير انه لما دخل منزلى بخلت نفسى باخراجه والقى على صوتا آخر اتيت به الفضل بن يحيى وحدثته بما كان من ابيه بالامس فامر ان يحمل معى عشرون الفا ولابراهيم مائتا الف وفعلت مثل ما فعلت بالامس وغدوت اليه لما اصبحت فوجدته على مثل حاله بمثل عذره والقى على صوتا غيره اتيت به جعفر بن يحيى واخبرته بما كان من ابيه واخيه فامر ان يحمل معى ثلاثون الفا والى ابراهيم ثلثمائة الف فحملت معى اليه فبكى ابراهيم وقال وصلت الى ستمائة الف وانا جالس فى مجلسى لم ابرح منه فعلى مثل هؤلاء يبكى فرحم الله ارواحهم اجمعين وقال اسحاق غدوت يوما وانا منحصر من ملازمة امير المؤمنين

فعرضت نفسي على ان اطوف في الصحراء والفرج وقلت لغلماني اذا جاء رسول الخليفة او غيره فلا تعرفوه مكاني فطفت وعدت وقد حمي النهار فوقفت في فناء استريح فلم البث ان جاء خادم يقود حمارا فارها وعليه جارية راكبة عليها فاخر الثياب ورايت لها قواما حسنا وظرفا فائقا فحدثت نفسي انها مغنية ثم دخلت الدار التي انا واقف عليها ثم لم البث ان جاء شابان جميلان واستأذنا فاذن لهما فدخلا ودخلت معهما فظنا ان صاحب الدار دعاني وظن صاحب البيت انني معهما وجلسنا فاتي بالطعام فاكلنا وبالشراب فوضع ودخلت الجارية وفي يدها عود فغنت وشربنا فسالهما صاحب المنزل عني فاخبراه انهما لا يعرفاني فقالوا هذا طفيلي لكنه ظريف فاجملوا عشرتي فشربنا ودار الكاس فغنت

الجارية تقول

ذكرتك اذ مرت بنا ام شادن	امام المطايا وهي بالشرب تسنح
من المولعات الرمل قد ابدتغرها	شعاع الضحى من وجهها يتوضح

فادته اداء حسنا ثم غنت اصواتا من القديم والحديث تقول

قل لمن صد عاتبا	ونأى عني جانبا
قد بلغت الذي اردت	وان كنت لاعبا

فاستعدته منها لاصححه عليها فاقبل على احد الرجلين يغنفني ويقول ما راينا طفيليا اصفق وجها منك لم ترض بالتطفيل حتى اقترحت وهذا غاية المثل طفيلي ويقترح فاطرقت وجعل صاحبه يكفه وهو لا يلتفت ثم قاموا الى الصلاة وتاخرت بعدهم قليلا واخذت عود الجارية وشددت طبقته واصلحته اصلاحا محكما وعدت الى موضعي وعادوا واخذ ذلك الرجل في عربدته على وانا صامت واخذت الجارية العود وجسته فانكرت حاله وقالت من جس عودي قالوا ما جسه احد قالت بلى والله لقد جسه حاذق متقدم وشد طبقته واصلحه اصلاح متمكن من الصناعة قلت لها انا فقالت بالله خذ واضرب فاخذته وضربت

ضربا عجيبا فيه نقرات محركة فما بقي منهم احد الا وثب وجلس بين يدي وقال صاحب المجلس اقسم بالله ان لك في هذه الصناعة اصواتا غريبة فبالله عليك الا عرفت بنفسك فقلت انا اسحاق الموصلي ووالله اني لاتيه على الخليفة اذا طلبت وانتم تروني صاحبكم هذا يسمعني ما اكره لكوني تادبت معكم وحللت عندكم والله لا نطقت بحرف ولا جلست حتى تخرجوا هذا المقوت فقال لصاحبه من مثل هذا خفت عليك واخذوا بيده وسحبوه واخرجوه وعادوا فبادرت وغنيت الاصوات التي غنتها الجارية من صنعتي فقال لي الرجل لك في خصلة قلت ما هي تقيم عندنا اسبوعا والمكافاة الجارية والجهاز لك قلت نعم افعل واقمت عنده اسبوعا لا يعرف احد اين انا والمامون يطلبني في كل حين وكل موضع ولم يقع احد على خبري فلما انقضت الايام تسلمت الجارية والجهاز والخادم وجئت بذلك الى منزلي وركبت من وقتي الى المامون فلما رآني قال يا ابا اسحاق ويحك اين كنت فاخبرته الخبر فقال علي بالرجل الساعة فدللتهم على موضعه فاحضره وسأله المامون فاخبره القصة فقال انت ذو مروءة وسبيلك ان تعان عليها وامر له بمائة الف وقال له لا تعاشر ذلك النذل المعربد انتهى ومن كلام الاحوص في حضرة يزيد غنته جارية بين يديه

اذا رمت عنها سلوة قال شافع ... من الحب ميعاد السلو المقابر
ستبقى لها في مضمر القلب والحشا ... سريرة ود يوم تبلى السرائر

فطرب يزيد وقال لمن الشعر قالت لا ادري قال ابعثوا الى الزهري وكان قد ذهب من الليل شطره فاتى به فلما صعد اليه قال لا بأس عليك لن ندعوك الا لخير فجلس وسأله عن قائل هذا الشعر فقال الاحوص قال ما فعل به قال قد طال حبسه فامر بتخلية سبيله وان يدفع له اربعمائة دينار ثم قدم عليه بعد ذلك فاجازه واحسن اليه احسانا جزيلا وكانت المغنية جارية يزيد بن عبد الملك انتهى وحكى مسرور الخادم ان الرشيد قصد الركوب في غير عادته فقلت له اين تريد يا امير المؤمنين في هذا الوقت قال الى منزل ابراهيم الموصلي قال فمضى حتى انتهى الى منزل ابراهيم

الموصلي فخرج وتلقاه وقبل حافر حماره وقال يا امير المؤمنين في مثل هذه الساعة تظهر قال نعم شوق طرق بي اليك ثم نزل وجلس في طرف الايوان واجلس ابراهيم فقال له ابراهيم يا سيدي استنبط شيئا تأكل قبل الشراب قال نعم فجاء بطعوم كانما كان معدا له فاصاب منه يسيرا ثم دعا بشراب حمل معه فقال له الموصلي يا سيدي اغنيك ام تغنيك اماؤك قال بل الجواري فخرجت جواري ابراهيم فاخذن صدر الايوان وجانبيه فقال ابراهيم ايضربن كلهن ام واحدة واحدة فقال بل يضربن اثنتان اثنتان و واحدة واحدة تغني قال فضربت اثنتان و

غنت واحدة منهن فقالت

اذا دعا باسمها داع ليحزنني	كادت لها مهجتي من حرها تقع
لو ان لي صبرها او عندها جزعي	لكنت اعقل ما آتي وما ادع
لا احمل اللوم فيها والغرام بها	ما كلف الله نفسا غير ما تسع

ثم غنت اخرى فقالت

طرقتك زائرة فحي خيالها	بيضاء تخلط بالجمال دلالها
هل يطمسون من السماء نجومها	باكفهم او يطمسون هلالها
شهدت من الانفال آخر آية	فاردتمو بجدالكم ابطالها

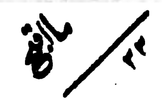
ثم غنت اخرى فقالت

شطت سعاد واضحى البين قد ابدا	واورثتك سقاما تصدع الكبدا
فما احتيالك اذ جد الرحيل بهم	وخلفوك غداة البين منفردا
لا استطيع لهم صبرا ولا جلدا	ولا تزال احاديثي بهم جددا

قال فقام حتى وصل صدر الايوان واخذ بجانبيه والرشيد يسمع ولا ينصب لشيء من غنائهن الى ان غنته صبية من صدر الايوان من حاشية الصفة

هذين البيتين لابي نواس

يا موري الزند قد اعيت قوادحه	اقبس بما شئت من قلبي بمقباس



ما اقبح الناس فی عینی واسمجهم ... اذا نظرت فلم انظرك فی الناس

فطرب الرشید لغنائها واستعاد الصوت مرارا وشرب ارطالا وسال الجاریة عن صانعه فاسکتت فاستدناها فتقاعست فامر بها فاقبلت بین یدیه فاخبرته بشیء اسرته الیه فدعا بحماره فرکبه ثم التفت الی ابراهیم الموصلی فقال له ما ضرك ان تکون خلیفة فکادت روحه تخرج حتی دعاء بعد ذلك وادناه قال وکان الذی اخبرته به سر ان الصنعة فی الصوت لاخته علیه بنت المهدی وکانت الجاریة لها فوجهتها الی ابراهیم الموصلی یطارحها ومن قول

(ابی نواس)

دع عنك لومی فان اللوم اغراء ... وداونی بالتی کانت هی الداء

صفراء لا تنزل الاحزان ساحتها ... لو مسها حجر مسته سراء

من کف ذات حر فی زی ذی ذکر ... لها محبان لوّاط وزناء

قامت بابریقها واللیل معتکر ... فلاح من وجهها فی البیت لألاء

فارسلت من فم الابریق صافیة ... کانما اخذها للعقل اخفاء

رقت علی الماء حتی لا یلائمها ... لطافة وخفی من شکلها الماء

فلو مزجت بها نور المازجها ... حتی تولد انوار واضواء

دارت علی فتیة ذل الزمان لهم ... فما یصیبهم الا بما شاؤا

فقل لمن یدعی فی العلم توسعة ... حفظت شیئا وغابت عنك اشیاء

(وقال الشاعر)

کعصفورة فی کف طفل یهینها ... تذوق مرار الموت والطفل یلعب

فلا الطفل ذو عقل یرق لحالها ... ولا الطیر مطلوق الجناح بن یهرب

وروی البیهقی فی الشعب عن مالك بن دینار قال مثل قراء هذا الزمان مثل رجل نصب فخا فجاء عصفور فدنا الی الفخ وقال مالك متغیبا فی التراب فقال للتواضع قال مم حنیت قال من طول العبادة قال فما هذه الحبة

التى فى قبلت قال اعددتها للصائمين فلما امسى تناول الفحم فى عنقه فقال العصفور ان كان العباد يخنقون خنقتك فلا خير فى هذه العبادة اليوم انتهى قال الشافعى رضى الله عنه اربعة اشياء تزيد فى الجماع اكل العصافير واكل الاطريفل واكل الفستق واكل الجرجير واربعة اشياء تزيد فى العقل ترك الفضول من الكلام والسواك ومجالسة الصالحين والعمل بالعلم واربعة تقوى البدن اكل اللحم وشم الطيب وكثرة الغسل من غير جماع ولبس الكتان واربعة توهن البدن كثرة الجماع وكثرة الهم وكثرة شرب الماء على الريق وكثرة اكل الحموضة انتهى من حرف العين ودخل ابن الخياط المكى على المهدى ومدحه فامر له بخمسين الف درهم فسأله ان يأذن له فى تقبيل يده فاذن له فقبلها وخرج فما انتهى الى الباب حتى فرقها جميعا فعوتب فى ذلك

وانشد يقول

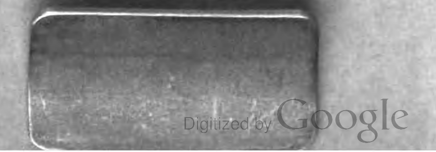
لمست بكفى كفه ابتغى الغنى	ولم ادر ان الجود من كفه يعدى
فلا انا منه ما افاد ذو الغنى	افدت واعدانى فاتلف ما عندى

فغنى بهما المهدى فامر له بخمسين الف دينار انتهى

اقول لمقلتيه حين نامت	وسحر النوم فى الاجفان سارى
تبارك توفاكم بليل	ويعلم ما جرحتم بالنهار

الامام احمد بن حنبل ومناقبه رضى الله عنه

مات سنة مائتين واحدى واربعين وحزر من حضر فى جنازته فكانوا ثمانمائة الف ومن النساء ستين الفا واسلم يوم موته رضى الله عنه عشرون الفا من اليهود والنصارى والمجوس انتهى وقال الامام النووى فى تهذيب الاسماء واللغات ان المتوكل امر ان يقاس الموضع الذى وقف الناس فيه للصلاة على الامام احمد فبلغ مقام الفى الف وخمسمائة وقد حزن عليه رضى الله تعالى عنه المسلمون واليهود والنصارى والمجوس وقال محمد بن خزيمة لما بلغنى موت الامام احمد بن حنبل رضى الله عنه اغتممت غما شديدا فرايته فى المنام وهو يتبختر فى مشيته فقلت يا


Digitized by Google

